1000 قصة وقصة

من حياة الأئمة الأربعة

أبي حنيفة النعمان
مالك بن أنس
الإمام الشافعي
أحمد بن حنبل

جمع وترتيب
رجب محمود إبراهيم بخيت



دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية



مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُهُ، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، وأستفتح بالذي هو خير: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ⑦⓪ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١).

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ، وكلَّ ضلالة في النار.

أما بعد.. فالأئمة الأربعة هم أئمة الفقهاء الأعلام، وهم أصحاب المذاهب الفقهية الأربعة التي شرقت وغربت، واشتهرت بين الناس في الماضي والحاضر، وإنما بلغ هؤلاء الأئمة ما بلغوا من منزلة ومكانة بما بذلوه من جهود عظيمة في

خدمة الشريعة الغراء والفقه الإسلامي، وبما خلفوه هم وأمثالهم من تراث فقهي ضخم، سيظل مفخرة كبرى للإسلام والمسلمين، وإن حياتهم العلمية وحياتهم الخاصة قد امتلأت بميراث ضخم من التراث والمواقف والقصص التي تعبر عن حياتهم بشتى جوانبها: علمية وفقهية ودينية واجتماعية، وتكشف عن مذهب كل منهم، ولما كانت هذه الجوانب من الأهمية بمكان لتبصير الأمة بجوانب خفية من حياة هؤلاء الأئمة فقد آليت على نفسي أن أقوم بجمع عدد من المواقف والقصص والصور من حياة الأئمة في كتاب يرضي شغاف العقول ممن يتطلعون إلى معرفة الكثير من هذه النواحي والتي لا يُعرف عنها إلا القليل.

وقد جمعت في كثير من صفحات الكتاب أقوال وأفعال صدرت عن الأئمة صارت بمثابة حِكَم وأمثال تناقلتها الأجيال، ولكي تتم الفائدة من الكتاب فقد أثبت بعض الزيادات التي وردت في بعض الروايات المتشابهة، وقد ابتعدت في جمعي لمادة هذا الكتاب عن كل ما فيه مغالاة مما يرفع القدر أو يحط به مما ورد في كتب الطبقات والتراجم، ففي بعض الأحيان تصل المغالاة إلى درجة الافتراء والكذب، فنجد أن الأحناف مثلاً بلغ بهم التمجيد في شخص أبي حنيفة إلى أن يقولوا: أن النبي ﷺ قد قال: «إن في أمتي رجلاً يقال له أبو حنيفة هو سراج الأمة»، وقد ذكر الإمام النووي أن هذا الحديث موضوع، وقد وصل القدح في بعض الأئمة إلى درجة إلصاق تهمة الزندقة بنظرائهم للتنقيص من حق الآخرين، ولحرصي الشديد على أن تتم الفائدة من هذا العمل فقد جاء في هيئة صور من حياة الأئمة الأربعة.

وقبل أن أترككم مع مادة هذا العمل أسألكم صالح الدعاء لي بغفران الذنوب وأن يتقبل الله تعالى هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم العرض عليه .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه

رجب محمود إبراهيم بخيت

أولاً ـ من قصص الإمام أبي حنيفة

القول ما قال أبو حنيفة

قال أبو حنيفة: استفتت أمي عن شيء فأفتيتها فلم تقبله، وقالت: لا أقبل إلا بقول أبي زُرعة القاص ـ الواعظ ـ فجاء بها إليه، وقال له: إن أمي تستفتيك في كذا، فقال: أنت أعلم وأفقه، فأفتها، قال: أفتيتها بكذا، فقال أبو زرعة: القول ما قال أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت[1]!

إن أمي أمرتني أن أسألك عنها

قال أبو حنيفة: ربما ذهبت إلى مجلس عمر بن ذر وأسأله مسألة، فآتيه وأذكرها له وأقول له: إن أمي أمرتني أن أسألك عنها، فيقول: وأنت تسألني عن هذا؟ فأقول: هي أمرتني، فيقول: قل لي كيف هو ـ يعني الجواب ـ حتى أخبرك؟ فأخبره بالجواب، ثم يخبرني به فآتيها وأخبرها عنه بما قال!

وما عليَّ شيء أشد من غم أمي

قال يحيى بن عبد الحميد: كان الإمام يخرج كل يوم من السجن فيُضرب ليدخل القضاء، فيأبى، فلما ضُرب رأسه وأثَّر ذلك في وجهه بكى فقيل له في ذلك فقال: إذا رأته أمي بكت واغتمت وما عليَّ شيء أشد من غم أمي!

---

(١) محمد سليمان «أخلاق العلماء» (ص: ٧٩).



أبكي غمًّا على والدتي

قال يحيى الحماني: كان أبو حنيفة يضرب على أن يلي القضاء فيأبى، ولقد سمعته يبكي وقال: أبكي غمّاً على والدتي[(١)].

بر الإمام أبي حنيفة بوالديه

كان الإمام أبو حنيفة بارًا بوالديه، وكان يدعو لهما ويستغفر لهما مع شيخه حماد، وكان يتصدق كل شهر بعشرين دينارًا عن والديه[(٢)].

كان يحمل والدته على حماره

قال أبو يوسف: كان أبو حنيفة يحمل والدته على حماره إلى مجلس عمر ابن ذر، كراهة أن يرد قولها.

فدعا له بالبركة

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة بن النعمان بن ثابت بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار: والله ما وقع علينا رق قط، ولد جدي سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون استجاب ذلك لعلي رضي الله عنه فينا.

---

(١) الذهبي «مناقب الإمام أبي حنيفة» (ص: ١٥-١٦).

(٢) وهبي الألباني «أبو حنيفة النعمان» (ص: ١٠٢).

مهرجونا كل يوم

قال مكرم بن أحمد: النعمان بن المرزبان والد ثابت هو الذي أهدى لعلي الفالوذج يوم النيروز فقال علي: نوروزونا كل يوم، وقيل: ذلك كان في المهرجان، فقال: مهرجونا كل يوم.

هو عندنا من أهل الصدق

قال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة لا بأس به، وقال مرة: هو عندنا من أهل الصدق، ولم يتهم بالكذب، ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيًا[(١)].

... الذين لم يعملوا الذنوب

قال أبو حنيفة: لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل: تعلم القرآن، فقلت: إذا حفظته فما يكون آخره؟ قالوا: تجلس في المسجد فيقرأ عليك الصبيان والأحداث ثم لا يلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو مساويك فتذهب رئاستك.

قلت: من طلب العلم للرئاسة يتفكر في ذلك، وإلا فقد ثبت قول المصطفى ﷺ: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**»[(٢)] يا سبحان الله، وهل محل أفضل من

---

(١) «السير» (جـ٦، ص: ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) البخاري، وهو مروي بلفظ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» رواه البخاري عن عثمان رضي الله عنه.

المسجد؟ وهل نشر لعلم يُقارب تعليم القرآن؟ كلا والله، وهل طلبة خير من الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟!

قلت: فإن سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن في الدنيا أحفظ مني؟ قالوا: إذا كبرت وضعفت، حدثت واجتمع عليك هؤلاء الأحداث والصبيان، لم لم تأمن أن تغلط فيرموك بالكذب فيصير عاراً عليك في عقبك فقلت: لا حاجة لي في هذا.

قلت: أتعلم النحو، فقلت: إذا حفظت النحو والعربية ما يكون آخر أمري؟ قالوا: تقعد معلمًا فأكثر رزقك ديناران إلى ثلاثة، قلت: وهذا لا عافيه له، قلت: فإن نظرت في الشعر فلم يكن أحد أشعر مني؟ قالوا: تمدح هذا فيهب لك أو يخلع عليك وإن حرمك هجوته، قلت: لا حاجة فيه، قلت: فإن نظرت في الكلام ما يكون آخر أمره؟ قالوا: لا يسلم من نظر في الكلام من مشفعات الكلام فيرمى بالزندقة فيقتل أو يسلم مذمومًا.

قلت: قاتل الله من وضع هذه الخرافة وهل كان في ذلك الوقت وجد علم الكلام! قال: قلت: فإن تعلمت الفقه؟ قالوا: تسأل وتفتي الناس وتطلب للقضاء وإن كنت شابًا، قلت: ليس في العلوم شيء أنفع من هذا فلزمت الفقه وتعلمته.

لا حاجة لي في الكلام

قال أبو حنيفة: كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغًا يشار إليَّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سلمة، فجاءتني امرأة يومًا فقالت لي: رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟ فلم أدر ما

أقول: فسألتها أن تسأل حمادًا ثم ترجع تخبرني، فسألته فقال: يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتان، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج، فرجعت فأخبرتني فقلت: لا حاجة لي في الكلام، وأخذت نعلي فجلست إلى حماد فكنت أسأل مسائله فأحفظ قوله ثم يعيدها إلى الغد فأحفظها ويخطئ أصحابه فقال: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة، فصحبته عشر سنين، ثم نازعتني نفسي الطلب للرئاسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يومًا بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما رأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجاءه تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالاً وليس له وارث غيره فأمرني أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وردت عليَّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي فغاب شهرين ثم قدم، فعرضت عليه المسائل وكانوا نحوًا من ستين مسألة، فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى أموت.

لم يكن عندي فيها جواب

قال أبو حنيفة: قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب فجعلت على نفسي ألا أفارق حمادًا حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة.

كأني أنبش قبر النبي ﷺ

قال أبو حنيفة: رأيت رؤيا أفزعتني، رأيت كأني أنبش قبر النبي ﷺ فأتيت البصرة فأمرت رجلاً يسأل محمد بن سيرين فسأله فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول الله ﷺ.

ابن المبارك وأبو حنيفة

قال عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس.

أبو حنيفة ومالك

قال الشافعي: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته.

لا ينام الليل

قال القاضي أبو يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث عني بما لا أفعل، فكان يحيي الليل صلاة وتضرعًا ودعاء[1].

خجلتني بكسائك

وعن النضر بن محمد قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطر الريح، أتيته في حاجة وعليَّ كساء قرمس، فأمر بإسراج بغلة وقال: أعطني كساءك وخذ كسائي، ففعلت فلما رجع قال: يا نضر خجلتني بكسائك هو غليظ قال: وكنت أخذته بخمسة دنانير، ثم إني رأيته وعليه كساء قوَّمته ثلاثين دينارًا.

---

(١) «السيرة» (جـ٦، ص: ٣٩٧-٣٩٩).

إن حلف بالله صادقًا

قال المثنى بن رجاء: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقًا أن يتصدق بدينار، وكان إذا انفق على عياله نفقة تصدق بمثلها.

إن كنتم تنتفعون بهذا

قال الخريبي: كنا عند أبي حنيفة فقال رجل: إني وضعت كتابًا على خطك إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه.

جزاك الله خيرًا

قال يزيد بن كميت: سمعت رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله، فانتفض واصفرَّ وأطرق وقال: جزاك الله خيرًا، ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا، ويروى أن أبا حنيفة ختم القرآن سبعة آلاف مرة.

يبكي ويتضرع

قال القاسم بن معن: أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ (القمر: ٤٦)، ويبكي ويتضرع إلى الفجر.

فهو معزول

وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي: قال أبو حنيفة: إذا ارتشى القاضي فهو معزول وإن لم يُعْزَل[١].

فعلى الرأس والعين

روى نوح الجامع عن أبي حنيفة أنه قال: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال.

ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف؟

قال إسحاق بن إبراهيم الزهري: طلب الخليفة المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف لَيَلِيَنَّ فأبى، وحلف: إني لا أفعل، فقال الربيع الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف؟ قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني فأمر به إلى السجن.

فبادر إلى الواجب

ولما رفض أبو حنيفة أن يلي القضاء دفعه أبو جعفر المنصور إلى صاحب شرطته حميد الطوسي، فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يدفع إليَّ الرجل فيقول

(١) «السير» (جـ٦، ص: ٤٠٠-٤٠١).

لي: اقتلـه أو اقطعه أو اضربه ـ ولا أعـلم بقصتـه ـ فمـاذا أفعل؟ فـقال: هل يأمرك أمير المؤمنين بأمر قد وجب؟ أو بأمر لم يجب؟ قال: بل قد وجب قال: فبادر إلى الواجب.

أترغب عما نحن فيه؟

وعن مغيث بن بديل قال: دعـا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فـامتنع فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح، قال: كذبت، قال: فقد حكم عليَّ أمير المؤمنين أني لا أصلح، فإن كنت كاذبًا فلا أصلح وإن كنت صـادقًا فقد أخبرتكم أني لا أصلح.

بل تصلح

قال الربيع الحاجب، وفيها قـال أبو حنيفة: والله ما أنا بمأمون الرضا فكيف مأمون الغضب؟ فلا أصلح لذلك، قال المنصور: كذبت، بل تصلح فقال: كيف يحل أن تولي من يكذب[1].

من شـابه أباه

قال الذهبي: وابنـه الفقيـه حماد بن أبي حنيـفة كـان ذا علم ودين وصلاح وورع تام، لما توفي والده كان عنده ودائع كثيرة وأهلهـا غائبون فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها فقال: بل دعها عندك فـإنك أهل فقال: زنها واقبضها حتى تبرأ

---

(١) «السير» (جـ٦، ص: ٤٠١-٤٠٢).

منها ذمة الوالد ثم افعل ما ترى، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها وحسابها أيامًا واستتر حماد فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين.

اتق الله ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله

وقال الربيع: رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء وهو يقول: اتق الله ولا ترعي أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك، ثم تهددتني، أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لاخترت أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك ولا أصلح لذلك فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال له: قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك أن تولي قاضيًا على أمانتك وهو كذاب؟!

أو تفعل؟!

وحكى الخطيب أيضًا في بعض الروايات: أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة، أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به، فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى، فقال له: إن لم تفعل ضربتك بالسياط، قال: أو تفعل؟! قال: نعم، فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفَّار ـ نحاس ـ ومعه آخر، فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن وعاء نحاس، فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار، قال: ليس له عليَّ شيء، فقال أبو حنيفة للصفار: ما تقول؟ فقال: استحلفه لي، فقال أبو حنيفة للرجل: قل والله الذي لا إله إلا هو، فجعل يقول: فلما رآه أبو حنيفة معتمدًا على أن يقول قطع عليه وضرب

بيده إلى كمه، فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين وقال للصفار: هذان الدرهمان عوض عن باقي وعائك فنظر الصفار إليهما وقال: نعم، فأخذ الدرهمين، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنيفة فمرض ستة أيام ثم مات(١).

قصة الإمام أبي حنيفة مع يزيد بن عمر

وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله، وكان أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد ضرب أحمد على القول بخلق القرآن.

فلم يفعل

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: مررت مع أبي بالكناسة فبكى فقلت له: يا أبت ما يبكيك؟ فقال: يا بني، في هذا الموضع ضرب ابن أبي هبيرة أبي عشرة أيام، في كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل!

يا أبا حنيفة علمني

قال الفضل بن غانم: كان أبو يوسف مريضًا شديد المرض فعاده أبو حنيفة مرارًا فصار إلى آخر مرة فرآه ثقيلاً فاسترجع ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي

---

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص:٤٠٦-٤٠٧).

للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير، ثم رزق العافية وخرج من الغد، فأُخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس إليه فعقد لنفسه مجلسًا في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسًا وأنه يلقي كلامك فيه فدعا رجلاً كان له عنده قدر فقال: سر إلى مجلس أبي يوسف فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصَّار ثوبًا ليقصره بدرهم فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب فقال له القصار: ما لك عندي شيء وأنكره، ثم إن ربَّ الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصورًا، أله أجرة؟ فإن قال لك: له أجرة، فقل له: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له، فقل له: أخطأت، فسار إليه وسأله فقال أبو يوسف: له أجرة، فقال: أخطأت، فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له، فقال له: أخطأت، فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة فقال: ما جاء بك إلا مسألة القصار، قال: أجل، قال: سبحان الله، من قعد يفتي الناس وعقد مجلسًا يتكلم في دين الله وهذا قدره، لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإجارات؟ فقال: يا أبا حنيفة علمني، فقال: إن كان قصره بعدما غصبه فلا أجرة لأنه قصر لصاحبه ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعليم فليبك على نفسه[1].

---

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص:٤٠٨).

فهو عيال على أبي حنيفة

قال الشافعي: الناس عيال على هؤلاء الخمسة، من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان.

تفتح وسال كالوادي

قال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس، وقال جعفر بن ربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتًا منه، فإذا سُئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويًا وجهارةً في الكلام.

قصة الإمام أبي حنيفة مع الحجام

قال علي بن عاصم: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تتبع مواضع البياض، فقال الحجام: لا تزد، فقال: ولِمَ؟ قال: لأنه يكثر، قال: فتتبع مواضع السواد لعله يكثر، وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام[1].

---

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص:٤٠٩).

قصة الإمام أبي حنيفة مع الإسكافي

قال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنَّه الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحمًا فطبخه أو سمكة فيشويها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دب الشراب فيه غرد بصوت وهو يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر**

فلا يزال يشرب ويردد هذا البت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جَلَبته كل ليلة، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه، فقيل: أخذته الشرطة منذ ليالٍ وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: إيذنوا له واقبلوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ببغلته ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه وقال: ما حاجتك؟ فقال: لي جار إسكاف أخذته الشرطة منذ ليالٍ، يأمر الأمير بتخليته؟ فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه وقال: يا فتى أضعناك؟ فقال: لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرًا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه.

عليكم بالشكر

قال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة وشُوي لهم فصيل سمين فاشتهوا أن يأكلوه بخلٍّ فلم يجدوا شيئًا يصبون فيه الخل فتحيروا فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك

الموضع، فأكلوا الشواء بالخل، فقالوا: تحسن كل شيء، فقال: عليكم بالشكر، فإن هذا شيء ألهمته لكم فضلاً من الله عليكم(١).

قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي

وحكى الحسن بن زياد قال: دفن رجل مالاً في موضع، ثم نسى في أي موضع دفنه فلم يقع عليه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة: ما هذا في الفقه فأحتال لك ولكن اذهب فصلِّ الليلة، فغفل الرجل ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى تذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال له: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكِّرك، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

فهل من حيلة؟

قال ابن شبرمة: كنت شديد الإزراء على أبي حنيفة فحضر الموسم وكنت حاجًا يومئذ، فاجتمع إليه قوم يسألونه، فوقفت من حيث لا يعلم من أنا، فجاءه رجل فقال: يا أبا حنيفة: قصدتك، أسألك عن أمر أهمني وأزعجني قال: وما هو؟ قال: لي ولد وليس لي غيره، فإن زوَّجته طلق، وإن سرَّيته أعتق، وقد عجزت عن هذا فهل من حيلة؟ قال له: نعم، اشتر الجارية التي يرضاها لنفسه ثم زوجها منه، فإن طلق رجعت إليك مملوكتك، وإن أعتق أعتق ما لا يملك وإن ولدت ثبت نسبه لك، فعلمت أن الرجل فقيه من يومئذ وكففت عن ذكره إلا بخير.

---

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص: ٤١٠).

ما سمعته يغتاب عدوًا قط!

وقال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً قط! فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها.

حتى يرحمه جيرانه

قال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء أربعين سنة، وكان عامة ليله يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه، وحفظ عنه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة[١].

يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة

قال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع صاحب المنصور ـ وكان يعادي أبا حنيفة ـ: يا أمير المؤمنين، هذا أبو حنيفة يعادي جدك، كان عبد الله بن عباس ﷺ يقول: إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو يومين جاز الاستثناء، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع لا تتعرض لأبي حنيفة، فلما

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص: ٤١٢-٤١٣).

خرج أبو حنيفة قال له الربيع: أردت أن تطيح بدمي، قال: لا، ولكنك أردت أن تطيح بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

أراد أن يوثقني فربطته

وكان أبو العباس الطوسي سيئ الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمر بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أيسعه أن يضرب عنقه؟ فقال: يا أبا العباس أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل؟ فقال: بالحق، قال: أنفذ الحق حيث كان ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

وقد أتعبت مَنْ بعدك

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن ابن عمارة أن يتولى غسله ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك! لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنة، وقد أتعبت مَنْ بعدك، وفضحت القراء[1].

اكتم عليَّ ما رأيت

قال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الآخرة سورة (إذا زلزلت) وأبو حنيفة

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص: ٤١١-٤١٣).

خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القناديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً أجِرِ النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذنت وإذا القناديل تزهر وهو قائم، فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القناديل، قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم عليَّ ما رأيت، وركع ركعتين وجلس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

ما يعاب على أبي حنيفة

ومناقب الإمام أبي حنيفة وفضائله كثيرة ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية، فمن ذلك ما ذكر أن أبا عمرو بن العلاء المقري النحوي سأله عن القتل بالمثل: هل يوجب القود أم لا؟ فقال: لا، كما هو قاعدة مذهبه خلافًا للإمام الشافعي رضي الله عنه فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق فقال: ولو قتله بأبا قبيس، يعني: الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى، وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول: إن الكلمات الست المعربة بالحروف - وهي أبوه وأخوه وحموه وهنوه وفوه وذو مال - أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف وأنشدوا في ذلك:

إن أباها وأبا أباها *** قد بلغنا في المجد غايتاها

وهل لغة الكوفيين، وأبو حنيفة من أهل الكوفة، فهي لغته، والله أعلم، وهذا وإن كان خروجًا عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر[1].

---

(١) «وفيات الأعيان» (جـ٥، ص: ٤١٣).

فتصدق بالثمن كله!

وكان أبو حنيفة أمينًا في تجارته لا يخدع مشتريًا ولا يشتط في أخذ الربح، ويذكر للمشتري ما في السلعة من عيب إذا كان فيها، ويروى أنه وكل إلى شريكه «حفص» أن يبيع ثيابًا فيها عيوب وأن يذكرها لمن يشتريها ولكن الشريك نسي ذلك، وحاول أبو حنيفة أن يعرف المشتري فلم يهتدِ إليه، فتصدق بالثمن كله!

جمع كلوب

ويُروى أنه لما بدأ يتعلم النحو وهو في أصله قواعد مضبوطة وأقوال مسموعة ولا مجال فيها لتصرف العقل أو تعدد الرأي، ولكن أبا حنيفة رجل يحب أن يستخدم عقله ورأيه، فأراد بمقتضى هذا أن يجمع كلمة «كلب» على «كلوب» كما تجمع كلمة «قلب» على «قلوب»، فقالوا: لابد أن يكون جمع «كلب» على «كلاب» فضاق ذرعًا بهذا الحجر وترك النحو الذي لا قياس فيه إلى تعلم الفقه الذي فيه قياس يرضي عقله وذكاءه.

إلى من تختلف؟

ويُروى أن سبب انصرافه إلى العلم أنه مر يومًا على الإمام الشعبي فدعاه إلى الجلوس وقال له: إلى من تختلف؟ يعني: إلى أي العلماء تذهب لتتعلم منه؟ فقال أبو حنيفة: أختلف إلى السوق، فقال الشعبي: لم أعنِ الاختلاف إلى السوق عنيت الاختلاف إلى العلماء، فأجاب أبو حنيفة: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال له: لا تفعل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة! ووقعت كلمة الشعبي في نفس أبي حنيفة، وأخذ يضرب بسهمه الوافر في العلم، فنفعه الله عزَّ وجلَّ بكلام الشعبي![1].

---

(١) د/ أحمد الشرباصي «الأئمة الأربعة» (ص: ٢٠).



استوثقت لنفسك!

زار أبو حنيفة أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكان عنده عيسى بن موسى فقال عيسى للمنصور عن أبي حنيفة: هذا عالم الدنيا اليوم.. فسأل المنصور أبا حنيفة: يا نعمان، عمن أخذت العلم؟ قال: عن أصحاب عبد الله بن عباس عن عبد الله وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه وعن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب علي عن علي، فقال المنصور معجبًا: استوثقت لنفسك؟!

بخ بخ

وفي رواية أخرى أنه قال للمنصور عن أخذه الفقه: «عن إبراهيم عن عمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، فقال المنصور: بخ بخ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين، صلوات الله عليهم.

له أستاذ جليل!

ولقد قال أبو حنيفة: كنت في معدن العلم والفقه فجالست أهله ولزمت فقيهًا من فقهائهم، وهو يقصد أنه عاش في بيئة علمية تموج بالعلم والفقه وتعمر بالبحث والنظر، ومن حوله أهل العلم يجالسهم ويباحثهم وله أستاذ جليل هو حماد بن أبي سلمة!

قصة الإمام أبي حنيفة مع علم الكلام

كان أبو حنيفة يتعلم علم الكلام ويجلس على مقربة من حماد وأقبلت امرأة ذات يوم على أبي حنيفة تسأله عن مسألة فلم يعرف جوابها، فأحالها إلى حماد ورجاها أن تعود إليه بعد ذلك لتخبره بجواب حماد فمضت المرأة إليه وسمعت جوابه، وعادت فأخبرت أبا حنيفة فأعجب به وقال: لا حاجة لي بعلم الكلام وتحول إلى مجلس حماد يسمع منه ويحفظ أقواله ويعيدها ببراعة، فأعجب به حماد وقال لمن حوله: لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة، وظل أبو حنيفة يلازمه حتى مات حماد[1].

واحتاج إليه الأمراء

وبعد موت حماد جلس الناس إلى ابن له يسمعون منه، راجين أن يتصل جهده بجهد أبيه العظيم فيدوم ذكره، ولكن الابن لم يصبر على مجلس الفقه إذ كان يغلب عليه صب النحو، فتقدم الناس إلى أبي حنيفة يطلبون منه أن يجلس لهم وكثر الساعون إليه في ذلك ومنهم أبو يوسف القاضي وزفر بن الهذيل وقبل أبو حنيفة، وظل نجمه يسطع ويتألق حتى ذكره الخلفاء واحتاج إليه الأمراء.

قصة وفاء الإمام أبي حنيفة لأستاذه

ولم يسهل على أبي حنيفة أبدًا أن ينسى شيخه وأستاذه حمادًا فأقام على شرعه الوفاء له يذكره بالخير ويثني على فضله وينوه بأثره فيه ويدعو له

---

(١) «الأئمة الأربعة» (ص: ٢٢-٤٣).

حتى قال أبو حنيفة: «ما صليت قط إلا دعوت لشيخي حماد ولكل من تعلمت منه علمًا أو علمته علمًا»، وفي رواية أخرى قال: «ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علمًا أو علمته علمًا».

أنتم الأطباء ونحن الصيادلة!!

وقد روي أن الأعمش المحدث أملى على أبي حنيفة طائفة من الأحاديث فوعاها وتفهمها... وبعد حين من الزمن كان أبو حنيفة في مجلس الأعمش وجاء من سأل الأعمش عن طائفة من المسائل فلم يهتد إلى الجواب فيها، فالتفت نحو أبي حنيفة وقال له: ما تقول فيها؟ فسارع أبو حنيفة بذكر أجوبتها فقال الأعمش: من أين لك هذا؟ فقال أبو حنيفة: من الأحاديث التي رويتها عنك، ثم سرد عليه طائفة من الأحاديث بأسانيدها.. فقال الأعمش: حسبك. ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة؟ ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث، يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة!

قصة الإمام أبي حنيفة مع الأثر

أساء بعض الناس الظن بأبي حنيفة حينما رأوه يستخدم العقل والرأي والاستنباط فادعوا عليه أنه يترك العمل بالحديث النبوي، وسببت هذه الدعوى لأبي حنيفة بعض المتاعب ولذلك عني بتفنيدها والرد عليها، فنراه في موطن يقول: عجبًا للناس يقولون إني أفتي بالرأي، ما أفتي إلا بالأثر. والمراد بالأثر هنا هو ما جاء في السنة.

ومع القياس

وإذا كان أبو حنيفة قد أخذ بالقياس أو الاستحسان والعرف فليس هذا مجوزًا أن يتهمه البعض بأنه يقدم القياس على الحديث لأنه كان يخضع أولاً للقرآن والحديث وأقوال الصحابة وهو الذي يقول: كذب والله وافترى علينا من يقول أننا نقدم القياس على النص وهل يُحتاج بعد النص إلى قياس؟ ويقول: نحن لا نقيس إلا عند الضرورة القصوى فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتًا عنه لا منطوقًا به، ويقول: إنا نأخذ أولاً بكتاب الله ثم بالسنة ثم بأقضية الصحابة ونعمل بما يتفقون عليه فإن اختلفوا قسنا حكمًا على حكم بجامع العلة بين المسألتين، حتى يتضح المعنى.

والحديث النبوي الشريف

وأبو حنيفة يأخذ بالأحاديث المتواترة والأحاديث المشهورة وأحاديث الآحاد وهو إذا لم يأخذ بحديث رواه شخص فإنه لا يعد نفسه طاعنًا في الحديث النبوي، ولكنه يطعن في ثبوت هذا الحديث عن النبي ﷺ ويقرر أن الطعن في الراوي أو في الثبوت وليس رفضًا لشيء جاء به النبي ﷺ، لأنه متى ثبت أن الرسول قد قال هذا القول أو فعل هذا الشيء فإنه يكون على الرأس والعين، ويقول: فردِّي على كل رجل يحدث عن النبي ﷺ بخلاف القرآن، ليس ردًا على النبي ﷺ ولا تكذيبًا له ولكنه ردٌّ على من يحدث عن النبي ﷺ بالباطل والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله ﷺ، وكذلك كل شيء تكلم به نبي الله ﷺ سمعناه أو لم نسمعه فعلى الرأس والعين قد آمنا به ونشهد أنه كما قال نبي الله ﷺ.



لعن الله من يخالف رسول الله ﷺ

وكان أبو حنيفة يدقق في قبول الأحاديث ويشترط شروطًا لتحقق صحتها، وإذا قيل له حديث في موضوع ولم تتوافر فيه شروط الصحة، توقف وقال: «لم يصح هذا عندي عن رسول الله ﷺ فأفتي به»، فإذا أساء أحد فهم هذا وقال لأبي حنيفة: أتخالف النبي ﷺ؟ سارع بالرد قائلاً في حزم وعزم: لعن الله من يخالف رسول الله ﷺ به أكرمنا الله وبه استنقذنا!.

فهو أولى بالصواب منا

ومع سعة علم الإمام أبي حنيفة ودقة الفهم منه، كان يتواضع للعلم ولا يغتر برأيه ولا يحمل الناس عليه بل يقول: «قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا».

وكأن على رؤوسنا الطير

ولم يكن للإمام أبي حنيفة شغف بالمجادلة أو المماراة، ولذلك نهى ابنه حمادًا عن الجدل والمناظرة في علم الكلام والعقائد فقال له ابنه: رأيناك تناظر فيه وتنهانا عنه؟! فأجاب أبو حنيفة: كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا (أي مناظرنا) وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم، ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه، ومن أراد أن يكفر صاحبه فقد كفر قبل أن يكفر صاحبه!

الكلام معك عار والخوض فيما أنت فيه نار!

ذهب جهم بن صفوان إلى أبي حنيفة وقال له: يا أبا حنيفة أتيتك لأكلمك في أشياء هيأتها لك، فأجابه أبو حنيفة: الكلام معك عار والخوض فيما أنت فيه نار تتلظى! قال جهم: فكيف حكمت عليَّ بما حكمت ولم تسمع كلامي ولم تلقني؟ أجاب أبو حنيفة: بلغني عنك أقاويل لا يقولها أهل الصلاة، قال جهم: أفتحكم عليَّ بالغيب؟ أجاب أبو حنيفة: اشتهر عنك ذلك وظهر عند العامة والخاصة فجاز لي أن أحقق ذلك عليك، قال جهم: لا أسألك عن شيء إلا عن الإيمان، قال أبو حنيفة: أولم تعرف الإيمان إلى الساعة حتى تسألني عنه؟ قال جهم: بلى، ولكن شككت في نوع منه، قال أبو حنيفة: الشك في الإيمان كفر، فردَّ جهم: لا يحل لك إلا أن تبين لي من أي وجه يلحقني الكفر، قال أبو حنيفة: سل، فسأله جهم: أخبرني عمن عرف الله بقلبه وعرف أنه واحد لا شريك له ولا ند، وعرفه بصفاته، وأنه ليس كمثله شيء ثم مات قبل أن يتكلم بلسانه؛ أمؤمنًا مات أم كافرًا؟ وأجاب أبو حنيفة بقوله: كافر من أهل النار حتى يتكلم بلسانه مع ما عرفه بقلبه، فسأله جهم: وكيف لا يكون مؤمنًا وقد عرف الله بصفاته؟ ورد أبو حنيفة: إن كنت تؤمن بالقرآن وتجعله حجة كلمتك به.. وإن كنت لا تؤمن به ولا تجعله حجتك كلمتك بما نكلم به من خالف ملة الإسلام، قال جهم: أؤمن بالقرآن واجعله حجة، قال أبو حنيفة: قد جعل الله تبارك وتعالى الإيمان في كتابه بجارحتين: بالقلب وباللسان فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:٨٣-٨٥)، ما وصلهم إلى الجنة بالمعرفة والقول وجعلهم مؤمنين بالجارحتين: بالقلب واللسان. . .، وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (البقرة:١٣٦-١٣٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ (الفتح:٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج:٢٤)، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر:١٠)، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (إبراهيم:٢٧)، وقال النبي ﷺ: «**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[1]، فلم يجعل الفلاح بالمعرفة دون القول. . وقال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه كذا..**»[2]، ولم يقل: يخرج من النار من عرف الله وكان في قلبه كذا، ولو كان القول لا يحتاج إليه ويكتفى بالمعرفة لكان من رد الله بلسانه وأنكره بلسانه إذا عرفه بقلبه مؤمنًا، لكان إبليس مؤمنًا لأنه عارف بربه، يعرف أنه خالقه ومميته وباعثه ومغويه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (الحجر:٣٩)، وقال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الأعراف:١٤)، وقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (الأعراف:١٢)، ولكان الكفار مؤمنين بمعرفتهم بربهم إذا أنكروا بلسانهم، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ (النمل:١٤)، فلم يجعلهم مع استيقانهم بأن الله واحد مؤمنين مع جحدهم بلسانهم وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (النحل:٨٣)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ (يونس:٣١)، فلم تنفعهم معرفتهم مع إنكارهم،

---

(١) حديث صحيح، راجع «فتح المجيد»، «شرح كتاب التوحيد».

(٢) متفق عليه، البخاري (٤٢)، ومسلم (٢٧٨).

وقال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ (البقرة:١٤٦)، فلم تنفعهم المعرفة مع كتمانهم أمره وجحودهم به! وهنا قال جهم لأبي حنيفة: قد أوقعت في خلدي شيئًا فسأرجع إليك!

كان أبو حنيفة آية

قال عبد الله بن المبارك: كان أبو حنيفة آية! فسأله أحد الأعداء: في الخير أم في الشر؟ فقال: اسكت يا هذا، فإنه يقال: آية في الخير وغاية في الشر، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ (المؤمنون: ٥٠).

من يعذرني من أبي حنيفة حيًا وميتًا!؟

ويروى أن أبا حنيفة أوصى قبيل موته أن يدفن في أرض طيبة لم يحدث فيها غصب، وألا يدفن في أرض أتهم الأمير بأنه اغتصبها، ولقد بلغت هذه الوصية مسمع أبي جعفر المنصور فقلق لها وقال: من يعذرني من أبي حنيفة حيًا وميتًا!؟

تعظيمًا للقرآن!

وقد روي أن حماد بن أبي حنيفة كان طفلاً صغيراً فحمله والده على حفظ القرآن، ولما استطاع معلمه أن يجعله يحفظ سورة الفاتحة فرح الإمام بذلك وأرسل إلى معلمه خمسمائة درهم وعجب المعلم وقال: ما صنعت حتى يرسل إليَّ هذا؟ وعلم أبو حنيفة بذلك فأحضره وقال له: لا تستحقر ما علمت ولدي والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه إليك تعظيمًا للقرآن.



أبو حنيفة وقيام الليل

كان أبو حنيفة في تهجده يطيب له أن يكرر الآية من القرآن الكريم عشرات المرات، يديرها على لسانه، ويديرها في الوقت نفسه على عقله وقلبه فهو يرددها، وهو يفكر فيها، وهو يتأثر بها وكلما كررها تجدد له إدراك، وتجدد له انفعال، ولقد روي عنه أنه كرر في تهجده ذات ليلة الآية الكريمة: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ (الطور:٢٧)، وظل يرددها في صلاته حتى طلع الفجر.

إنما ناضلت عن ديني

وكان أبو حنيفة ورعًا شديد الخشية من الله تعالى، أبيًا مترفعًا، لا يقبل أن يأكل دنياه بدينه، ولقد حدث نزاع بين الخليفة المنصور وزوجته، فاحتكما إلى أبي حنيفة، وكان الحق في جانب الزوجة، فدافع عنه أبو حنيفة، وخالف رأي الخليفة، فلما حكم بينهما وانصرف بعثت إليه زوجة المنصور بهدايا، فردها إليها وقال لرسولها: اقرئها السلام، وقل لها: إنما ناضلت عن ديني وقمت ذلك المقام لله ... ولم أرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمست به دنيا.

هكذا قيل والعهدة على الرواة!!

وقيل أن أبا حنيفة ترك أكل لحم الغنم، لما فقدت شاة من الكوفة إلى أن علم موتها، لأنه سأل عن أكثر ما تعيش فقيل له: سبع سنين، فترك أكل لحم الغنم سبع سنين تورعًا منه، لاحتمال أن تبقى هذه الشاة الحرام، فيصادف أكل شيء منها، وإن كان الإثم هنا منتفيًا للجهل بعين الشيء الحرام، هكذا قيل، والعهدة على الرواة!!

يا له من ورع

ومن قبيل ورع أبي حنيفة البالغ ما رواه عبد الله بن المبارك من أن أبا حنيفة أراد شراء أمة «جارية» فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور من أي سبي يشتري![١].

يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل؟!

ويبالغ أبو حنيفة أحيانًا في ورعه إلى درجة مثالية وقد يدل على ذلك أن يزيد بن هارون رأى أبا حنيفة جالسًا يومًا في الشمس بالقرب من بيت إنسان فقال له: يا أبا حنيفة لو تحولت إلى الظل؟ وهو يقصد ظل البيت الجالس أمامه، فقال أبو حنيفة: لي على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس في ظل داره، وفي رواية أنه قال: لي على صاحب هذه الدار شيء فكرهت أن أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة، وما أرى ذلك على الناس واجبًا ولكن العالم يحتاج أن يأخذ لنفسه من علمه بأكثر مما يدعو الخلق إليه، وعلق يزيد على هذه الحادثة بقوله: ما رأيت أورع من أبي حينفة، فأي ورع أكثر من هذا؟!

قصة أبي حنيفة مع المرأة العجوز

وكان أبو حنيفة صدوقًا في تجارته، لا يغش ولا يخادع ولا يشتط في الربح بل ينتهز فرص البيع ليؤدي ألوانًا من الخير إلى مستحقيه، ومن أمثلة ذلك أن امرأة جاءته تشتري منه ثوبًا وتقول له: إني ضعيفة وإنها أمانة فبعني هذا الثوب

---

(١) «الأئمة الأربعة» (ص: ٦٥).

بما يقوم عليك (أي بأصل ثمنه) فقال لها: خذيه بأربعة دراهم، وكان واضحًا أن الثوب في تقدير السوق يساوي أكثر من ذلك فقالت له: لا تسخر بي وأنا عجوز، فأكد لها أنه لم يسخر بها وقال: إني اشتريت ثوبين معًا، فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقى هذا الثوب على أربعة دراهم!

ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل

وكان صلبًا في الحق ثابتًا عليه، ولعل موقفه في الإصرار على رفض القضاء، وتعرضه بسبب ذلك للسجن والأذى أقوى شاهد على ذلك الثبات، ولقد قال وكيع: كان أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان الله في قلبه جليلاً كبيرًا عظيمًا، وكان يؤثر رضا ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل![1].

ولولا أخاف أن أحتاج إلى هؤلاء

كان أبو حنيفة لا يبقى عنده أكثر من أربعة آلاف درهم ويبذل الباقي، ولقد روى وكيع أن أبا حنيفة قال له: ما ملكت أكثر من أربعة آلاف درهم منذ أربعين سنة إلا أخرجته - أي أخرجت الأكثر الزائد على ذلك - وإنما بلغ غاية ما يمسك أربعة آلاف لقول علي ﷺ: أربعة آلاف ودونها نفقة، وكان أبو حنيفة يضيف إلى ذلك قوله: «ولولا أني أخاف أن أحتاج إلى هؤلاء لما أمسكت منها درهمًا واحدًا».

(١) «الأئمة الأربعة» (ص: ٦٤).

أتدرون من هذا؟!

دخل أبو حنيفة ذات مرة على الإمام مالك بن أنس فوقَّره، ولما خرج أبو حنيفة قال مالك لمن معه: أتدرون من هذا؟! قالوا: لا، قال: هذا النعمان، لو قال هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال!

اللهم من ضاق بنا صدره

ومن صفات أبي حنيفة ضبط النفس مع الوقار والحلم فهو الذي كان يقول: اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له، ولقد سبه أحد الناس بقوله: يا مبتدع يا زنديق! فرد عليه بقوله: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ذلك وإني ما أشركت به مذ عرفته ولا أرجو إلا عفوه ولا أخاف إلا عقابه.

نفض الحية وجلس مكانه!

ولقد روى النووي عن ابن المبارك قوله: ما كان أوقر مِن مجلس أبي حنيفة، ويقص علينا أن أبا حنيفة كان في مجلسه بالجامع فوقعت حية فسقطت في حجره، فخاف الناس وهربوا، ولكنه ما زاد على أن نفض الحية وجلس مكانه!

لعله الباطل الذي لا شك فيه

وكان رغم ألمعيته ونبوغه وشهرته لا يغتر برأيه ولا يتعصب بفكرته ولا يغالي في معرفته قدر نفسه، فهو يقول عن استنباطه: قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب، وقيل

له: يا أبا حنيفة هذا الذي تفتي به هو الحق الذي لا شك فيه؟ فأجاب: والله لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه...!

لا تكتب كل ما تسمعه مني

وقد عود أبو حنيفة تلميذه أبا يوسف القاضي على التثبت وعدم الاستسلام أو المتابعة له بلا تمحيص، وقال له: لا تكتب كل ما تسمعه مني (أي متعجلاً فيه مستسلمًا له) فإني قد أرى الرأي اليوم فأتركه غدًا وأرى الرأي غدًا فأتركه بعد غد!

قد أحسنتن!

ومن الأمثلة الدالة على حسن تخلصه بفرط ذكائه ما يروى أنه كان يسير يومًا مع محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة ولعله كان بينهما تنافس المتعاصرين، ومرا ببستان فيه مغنيات يغنين فلما حاذيا المغنيات سكتن فقال لهن أبو حنيفة: قد أحسنتن!

وبعد حين شهد أبو حنيفة عند أبي ليلى في قضية فقال لأبي حنيفة: شهادتك ساقطة، فقال: ولِمَ؟ قال: لقولك للمغنيات: أحسنتن؛ لأن هذا رضى منك بمعاصي الله تعالى، فسأله أبو حنيفة: متى قلت لهن: أحسنتن حين غنين أم حين سكتن؟! فقال ابن أبي ليلى: حين سكتن، فقال أبو حنيفة: الله أكبر إنما أردت بقولي: أحسنتن في السكوت لا في الغناء! فلم يسع ابن أبي ليلى إلا أن يقبل شهادته، وحينئذ تلا أبو حنيفة قول الله تعالى: ﴿ولا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر:٤٣)، وصار ابن أبي ليلى يحذر أبا حنيفة بعد ذلك!

قصة أبي حنيفة مع الخارجي

جاء رجل من الخوارج إلى أبي حنيفة وقال له: تب، فسأله أبو حنيفة: مم أتوب؟ قال الخارجي: من قولك بتجويز الحكمين (يعني الحكمين اللذين كانا يحكمان في الخلاف بين علي ومعاوية) فقال له أبو حنيفة: ألا تقبل أن تناظرني في هذا الموضوع؟ فقبل الخارجي، وهنا قال له الإمام: فإن اختلفنا في شيء مما تناظرنا فيه، فمن يحكم بيننا؟ فرد عليه الخارجي قائلاً: اجعل أنت من شئت، وكان مع الخارجي صاحب له، فالتفت أبو حنيفة إلى هذا الصاحب وقال له: اقعد فاحكم بيننا فيما نختلف فيه إن اختلفنا، وسُر الخارجي بذلك، ثم قال أبو حنيفة له: أترضى بهذا حكمًا بيني وبينك؟ قال: نعم، فقال أبو حنيفة له: فأنت جوزت التحكيم! فبهت الخارجي ولم يَحُرْ جوابًا!

أخطأ في سبعة مواضع

ومن شواهد ذكائه وتوقد ذهنه مع سعة معرفته أن امرأة معتوهة تعرضت لإيذاء رجل فقالت له: يا ابن الزانيين، وذهبوا بها إلى قاضي الكوفة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى فاعترفت بالقذف فأقام عليها الحدَّين[1] في المسجد وبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ في سبعة مواضع: بني الحكم على إقرار المعتوهة وإقرارها هدر، وألزمها الحد والمعتوهة ليست من أهل العقوبة، وأقام عليها حدين ومن قذف جماعة لا يقام عليه إلا حد واحد وأقام حدين معًا، ومن اجتمع عليه حدان لا يوالي بينهما ولكن يضرب أحدهما ثم يترك حتى يبرأ

---

(١) فعل ذلك ظنًا منه أنها تستحق حدين، لأنها قذفت شخصين هما والدا الرجل لا شخصًا واحدًا.

ثم يقام الآخر، وأقام الحد في المسجد وليس للإمام أن يقيم الحد في المسجد وضربها قائمة وإنما تضرب المرأة قاعدة وضربها بغير حضرة وليها وإنما يقام الحد على المرأة بحضرة وليها حتى إذا انكشف شيء من بدنها في اضطرابها ستر الولي ذلك عليها.

خضعوا وألقوا السلاح

وقد هيأ لأبي حنيفة الذكاء أن يكون بارعًا في الجدال والمناظرة ولذلك نراه يجتمع بطائفة من الخوارج الذين يقولون أن مرتكب الذنب كافر وتجري بينهم هذه المحاورة: قالوا له: هاتان جنازتان على باب المسجد أما إحداهما جنازة رجل شرب الخمر حتى ملأته وحشرج بها فمات والأخرى امرأة زنت حتى إذا أيقنت بالحمل قتلت نفسها! وطلبوا منه رأيه فيهما، فسألهم أبو حنيفة: من أي الملل كانا؟ من اليهود؟ قالوا: لا، قال: أفمن النصارى؟ قالوا: لا، قال: أفمن المجوس؟ قالوا: لا، قال: من أي الملل كانا؟ قالوا: من الملة التي تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، قال: فأخبروني عن الشهادة: أهي من الإيمان ثلث أو ربع أو خمس؟ قالوا: إن الإيمان لا يكون ثلثًا ولا ربعًا ولا خمسًا، قال: فكم هي من الإيمان؟ قالوا: الإيمان كله! قال: فما سؤالكم إياي عن قوم زعمتم وأقررتم أنهما كانا مؤمنين؟ قالوا: دع عنك، أمن أهل الجنة هما أم أهل النار؟ قال: أما إذا أبيتم فإني أقول فيهما ما قاله نبي الله إبراهيم في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم:٣٦)، وأقول فيهما ما قاله نبي الله عيسى في قوم كانوا أعظم جرمًا منهما: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة:١١٨)، وأقول

فيهما ما قاله نبي الله نوح إذ قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾ (الشعراء: ١١١)، قال: ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ١١٢-١١٤)، وأقول ما قال نوح عليه السلام: ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ٣١)، ولما سمع الخوارج هذا من الإمام خضعوا وألقوا السلاح!

قصة الإمام أبي حنيفة مع الملاحدة

يروى أن بعض الملاحدة الذين ينكرون وجود الخالق جلَّ جلاله التقوا به فقال لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة مملوءة بالأمتعة والأحمال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها أو يقودها، ولا متعهد يدفعها أو يسوقها، هل يجوز ذلك في العقل؟ فقالوا: لا، فهذا شيء لا يقبله العقل ولا يجيزه الوهم، فقال أبو حنيفة: فيا سبحان الله إذا لم يجز في العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أحوالها وأمورها وأعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟!

حتى لا يغتم بك صديقك

وبلغ من حرص أبي حنيفة على إصلاح هيئته وثيابه أنه كان يحث غيره على مثل هذا، ويبالغ في حثه وحرصه، ولقد رأى ذات يوم أحد جلسائه في ثياب رثة فانفرد به وقدم إليه ألف درهم ليصلح بها هيئته، فقال له الرجل:

إني موسر، وأنا في نعمة، ولا أحتاج إليها، فقال له أبو حنيفة معاتبًا: أما بلغك الحديث: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»؟[(١)]، فينبغي أن تغير حالك حتى لا يغتم بك صديقك![(٢)].

قصة الإمام أبي حنيفة مع الإمام الأوزاعي

كان الإمام الأوزاعي معاصراً لأبي حنيفة وبلغه عنه ما يكره فلما التقى فقيه الشام الإمام الأوزاعي بعبد الله بن المبارك قال له: من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة ويكنى أبا حنيفة؟ فلم يجب ابن المبارك على سؤاله مباشرة ـ وكان يحب أبا حنيفة ـ بل أخذ يعرض مسائل عويصة في الفقه، ويعرض فيها فتاوى يعجب بها الأوزاعي حتى يسأل قائلاً: من صاحب هذه الفتاوى؟ فيجيبه ابن المبارك: شيخ لقيته بالعراق.

فيقول الأوزاعي عنه: هذا نبيل من المشايخ، اذهب فاستكثر منه، فقال له ابن المبارك: هذا أبو حنيفة! وهيأت الأقدار بعد هذا اجتماع الأوزاعي بأبي حنيفة، واطلع الأوزاعي على فقه الإمام وعلمه، فقال الأوزاعي لابن المبارك فيما بعد: «غبطت الرجل بكثرة علمه ووفور عقله وأستغفر الله تعالى، لقد كنت في غلط ظاهر، الزم الرجل، فإنه بخلاف ما بلغني عنه»!!.

قصة الإمام أبي حنيفة مع الإمام الثوري

ومما يدل على إجلال السلف لأبي حنيفة أنه لما مات أخو سفيان الثوري جاء الناس يعزونه وجاء أبو حنيفة فيمن جاء فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده مكانه،

(١) «الأئمة الأربعة» (ص:٥٨-٥٩).

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وانظر «صحيح الترمذي» للعلامة الألباني ـ رحمه الله ـ (٢٢٦٠).

وقعد بين يديه، فلما تفرق الناس قال أصحاب سفيان له: رأيناك فعلت شيئًا عجيبًا مع هذا الرجل، فقال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنِّه، وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه، وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه!

درة

قال الإمام أبو حنيفة: «حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وصية الإمام أبي حنيفة عن معاملة السلطان

قال أبو حنيفة لتلميذه أبي يوسف: يا يعقوب وقر السلطان وعظم منزلته وإياك والكذب بين يديه، ولا تدخل عليه في كل وقت وفي كل حال، ما لم يدعك لحاجة علمية فإنك إن أكثرت الاختلاف إليه تهاون واستخف بك، وصغرت منزلتك في عينه، فكن منه كما أنت من النار، تنتفع بها وتتباعد عنها ولا تدن منها، فإنك تحترق وتتأذى منها، فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه وإياك وكثرة الكلام بين يديه، فإنه يأخذ عليك ما تفوه به ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك وأنه يخطئك فتصغر بذلك في أعين قومه، ولتكن إذا دخلت عليه تعرف قدرك وقدر غيرك.

مع العامة

ولا تتكلم بين يدي العامة إلا بما تسأل عنه، وإياك والكلام في المعاملة والتجارة إلا بما يرجع إلى العلم كي لا يوقف منك على رغبة في الحال فإنهم يسيئون الظن بك، ويعتقدون ميلك إلى أخذ الرشوة منهم وبسط اليد إليها.

وفي الكلام

❊

ولا تضحك ولا تبتسم فيما بين العامة، ولا تكثر الخروج إلى الأسواق، ولا تكلم الصبيان المراهقين فإنهم فتنة، ولا بأس أن تكلم الأطفال وتمسح رؤوسهم، ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ من العامة فإنك إن قدمتهم أزرى ذلك بعلمك، وإن أخرتهم ازدرى بك من حيث أنهم أسن منك، فإن النبي ﷺ قال: **«من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا»**[(١)].

والجلوس واللباس

❊

ولا تقعد على قوارع الطريق، وإذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد، ولا تقعد في الحوانيت، ولا تأكل في الأسواق والمساجد، ولا تشرب من السقايات ومن أيدي السقايين، ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الإبريسم فإن ذلك يفضي إلى الرعونة.

ومع الأهل

❊

ولا تكثر الكلام في بيتك مع أهلك في الفراش إلا في وقت حاجتك إليها بقدر ذلك، ولا تكثر لمسها ومسها، ولا تتقرب بها إلا أن تذكر الله تعالى وتستخير فيه، ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري فإنها تنبسط إليك في كلامك، ولعلك إذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الأجانب.

---

(١) أخرجه الترمذي بلفظ: **«ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»**، وقال: حديث حسن صحيح، وفي رواية لأبي داود: **«حق كبيرنا»**، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (١٥٦٦)، «صحيح أبي داود» (٤١٣٤)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٤).

وفي الـزواج

ولا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أم أو بنت إن قدرت إلا بشرط أن لا يدخل عليها أحد من أقاربها، فإن المرأة إذا كانت ذات مال يدعى أبوها أن جميع مالها له، وأنه عارية في يدها، ولا تدخل بيت أبويها ما قدرت، وإياك أن ترضى أن تزف في بيتهم، فإنهم يأخذون أموالك ويطمعون فيك غاية الطمع، وإياك أن تتزوج بذات البنين والبنات فإنها تدخر جميع المال لهم، وتسرق من مالك وتنفق عليهم، فإن الولد أعز عليهم منك، ولا تجمع بين امرأتين في دار واحدة.

وفي العـلم

ولا تتزوج إلا بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها، واطلب العلم أولاً ثم اجمع المال من الحلال ثم تزوج، فإنك إذا اشتغلت بطلب المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم، ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا، وإياك أن تشتغل بالنساء قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج إلى القيام بحوائجهم وتترك العلم، واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك ووقت فراغ قلبك وخاطرك ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك فإن كثرة المال والعيال تشوش البال، فإن جمعت المال فاشتغل بالتزوج.

وفي التقـوى

وعليك بتقوى الله وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة، ولا تستخف بالناس ووقرهم، ولا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك، وقابل

معاشرتهم بذكر المسائل العلمية فإنه إن كان من تعاشره من أهله اشتغل بالعلم وإن لم يكن من أهله اجتنبك.

وفي أصول الدين

وإياك وأن تكلم العامة في أصول الدين والكلام فإنهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك، ومن جاء يستفتيك في المسائل فلا تجب إلا عن سؤاله، ولا تضم إليه غيره فإنه يتشوش عليه جواب سؤاله.

وفي المعيشة

وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تعرض عن العلم فإنك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكًا على ما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه: ١٢٤).

وفي العبادات

ولا ترض لنفسك من العبادات إلا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها فإن العامة إذا لم يرو منك الإقبال عليها بأكثر مما يفعلونها اعتقدوا فيك السوء وقلة الرغبة فيها، واعتقدوا أن علمك لا ينفعك إلا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه.

وفي بلدة أهل العلم

وإذا دخلت بلدة فيها أهل العلم فلا تتخذها لنفسك، بل كن كواحد من أهلها ليعلموا أنك لا تقصد جاههم وإلا يخرجون عليك بأجمعهم، ويطعنون

في مذهبك والعامة يخرجون عليك وينظرون إليك بأعينهم فتصير مطعونًا عندهم فلا فائدة.

ومع الله

وكن لله تعالى في سرك كما أنت له في علانيتك، ولا يصلح أمر العالم إلا بأن يجعل سره كعلانيته.

وفي المعاملة

وإياك أن تكثر الضحك؛ فإنه يميت القلب، ولا تكثر محادثة النساء ومجالستهن؛ فإنه يميت القلب أيضًا، ولا تمشِ إلا على الطمأنينة والسكون، ولا تكن عجولاً في الأمور، ومن دعاك من خلفك فلا تجبه فإن البهائم تنادي من خلف! وإذا تكلمت فلا تكثر صياحك ولا ترفع صوتك، واتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة عادة، كي يتحقق عند الناس ثباتك.

وذكر الله

وأكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك، واتخذ لنفسك وردًا خلف الصلوات تقرأ فيه القرآن وتذكر الله تعالى وتشكره على ما أودعك من الصبر، وما أولاك من النعم، واتخذ لنفسك أيامًا معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدي غيرك بك في ذلك، ولا ترضى لنفسك من العبادات بما ترضى به العامة.



وفي المراقبة

ــــ ❊ ــــ

وراقب نفسك وحافظ على العلم لتنتفع في دنياك وأخراك بعلمك ولا تشتر بنفسك ولا تبع، بل اتخذ لك غلامًا مصلحًا يقوم بأشغالك، وتعتمد عليه في أمورك.

ومع الدنيا

ــــ ❊ ــــ

ولا تطمئن إلى دنياك وإلى ما أنت فيه فإن الله تعالى سائلك عن جميع ذلك، ولا تشتر الغلمان المرد، ولا تظهر من نفسك التقرب إلى السلاطين وإن قربوك فإنهم يرفعون إليك الحوائج، فإن قمت بها أهانوك وإن لم تقم بها عابوك.

ومع أشرار الناس

ــــ ❊ ــــ

ولا تتبع الناس في خطاياهم بل اتبعهم في صوابهم، وإذا عرفت إنسانًا بالشر فلا تذكره به، بل اطلب له خيرًا فاذكره به، إلا في باب الدين فإنك إن عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كي لا يتبعوه وليحذروه، قال ﷺ: **«اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس»**[(١)]، وإن كان ذا جاه ومنزلة الذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك ولا تبال من جاهه، فإن الله تعالى معينك وناصرك وناصر الدين، فإذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على إظهار البدعة في الدين.

---

(١) بنحوه هذا ما ذكره الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الرِّيب وهو قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه من حديث عائشة أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: **«ائذنوا له، بئس أخو العشيرة»**.

وذكر الموت

واذكر الموت، واستغفر لأساتذتك ومن أخذت عنهم العلم، وداوم على تلاوة القرآن، وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والأماكن المباركة، واقبل من العامة ما يعرضون عليك من رؤياهم في النبي ﷺ وفي رؤيا الصالحين في المساجد والمنازل المباركة والمقابر.

وفي الصلاة

وإذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد كي لا يتقدم عليك العامة، ولا تتخذ دارك في جوار السلطان، وما رأيت على جارك فاستره عليه، فإنه أمانة عندك، ولا تظهر أسرار الناس، ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما تعلم أنه يقربك إلى الله تعالى.

ومع أهل البصرة

إذا دخلت البصرة واستقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك فأنزل كل رجل منزلته، وأكرم أهل الشرف، وعظم أهل العلم، ووقر الشيوخ، ولاطف الأحداث، وتقرب من العامة، ودارِ الفجار، واصحب الأخيار، ولا تتهاون بسلطان، ولا تحقرن أحدًا، ولا تقصر في مروءتك، ولا تخرجن سرك إلى أحد، ولا تثق بصحبة أحد حتى تمتحنه، ولا تخادن خسيسًا ولا وضيعًا، ولا تألف ما ينكر عليك في ظاهره، وإياك والانبساط إلى السفهاء.

وفي المداراة

عليك بالمداراة والصبر والاحتمال وحسن الخلق وسعة الصدر، واستجد ثياب كسوتك، وتخير دابتك، وأكثر استعمال الطيب.

وفي بذل الطعام

وابذل طعامك؛ فإنه ما ساد بخيل قط، ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس؛ فمتى عرفت بفساد بادرت إلى صلاح، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية.

وفي الزيارة

واعمل في زيارة من يزورك ومن لا يزورك، والإحسان إلى من يحسن إليك أو يسيء، وخذ العفو وأمر بالعرف، وتغافل عما لا يعنيك، واترك كل ما يؤذيك، وبادر في إقامة الحقوق، ومن مرض من إخوانك فعده بنفسك وتعاهده برسلك، ومن غاب منهم افتقدت أحواله، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه.

وفي مجالس العلم

وأظهر تودداً للناس ما استطعت، وافش السلام ولو على قوم لئام، ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أو ضحك وإياهم أو مسجد وجرت المسائل



وخاضوا فيها بخلاف ما عندك، لم تبد لهم؛ فإن سئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم ثم تقول: فيها قول آخر هو كذا وكذا والحجة له كذا فإن سمعوه منك عرفوا مقدار ذلك، فإن قالوا: هذا قول من؟ قل: بعض الفقهاء، وإذا استمروا على ذلك وألفوك عرفوا مقدارك وعظموا محلك.

وفي البخل

وإياك والبخل فإنه يفتضح به المرء ولا تك طماعًا ولا كذابًا ولا صاحب تخاليط، بل احفظ مروءتك في الأمور كلها، والبس من الثياب البيض في الأحوال كلها وكن غني القلب، مظهراً من نفسك قلة الحرص والرغبة في الدنيا، وأظهر من نفسك الغنى ولا تظهر الفقر وإن كنت فقيراً، وكن ذا همة؛ فإن من ضعفت همته ضعفت منزلته.

وفي الطريق

وإذا مشيت في الطريق فلا تلتفت يمينًا وشمالاً بل داوم النظر إلى الأرض، وإذا دخلت الحمام فلا تساوِ الناس في أجرة الحمام والمجلس بل أرجح على ما تعطي العامة لتظهر مروءتك بينهم فيعظموك.

وفي تحقير الدنيا

وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم، فإن ما عندك خير منها وول أمورك غيرك ليمكنك الإقبال على العلم فذلك أحفظ لجاهك.

ومع المجانين

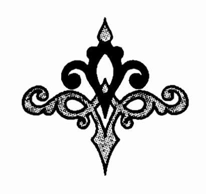
وإياك وأن تكلم المجانين ومن لا يعرف المناظرة والحجة من أهل العلم والذين يطلبون الجاه ويتسوقون بذكر المسائل فيما بين الناس؛ فإنهم يقصدون تخجيلك ولا يبالون منك وإن عرفوك على الحق.

ومع علية القوم

وإذا دخلت على قوم كبار فلا ترفع عليهم ما لم يرفعوك لئلا يلحق بك منهم أذية، وإذا كنت في قوم فلا تتقدم عليهم في الصلاة ما لم يقدموك على وجه التعظيم.

ومع مظالم السلاطين

ولا تحضر مظالم السلاطين، إلا إذا عرفت أنك إذا قلت شيئًا ينزلون على قولك في الحق، فإنهم إن فعلوا ما لا يحل وأنت عندهم ربما لا تملك منعهم ويظن الناس أن ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الإقدام عليه[1].



(١) «الأئمة الأربعة» (ص: ٤٨) وما بعدها.

ثانيًا ـ من قصص الإمام مالك

لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك

قال مالك: قال لي أبو جعفر: قد أردت أن أجعل هذا العلم علمًا واحدًا، فاكتب به إلى أمراء الأجناد وإلى القضاة فيعملون به، فمن خالف ضربت عنقه، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أو غير ذلك؟ قلت: إن النبي ﷺ كان في هذه الأمة، وكان يبعث السرايا، وكان يخرج، فلم يفتح من البلاد كثيرًا حتى قبضه الله عزَّ وجلَّ، ثم قام أبو بكر ﷺ بعده، ففتحت البلاد على يديه، ثم قام عمر ﷺ بعدهما ففتحت البلاد على يديه، فلم يجد بدًا من أن يبعث أصحاب محمد ﷺ معلمين، فلم يزل يؤخذ عنهم كابرًا عن كابر إلى يومهم هذا، فإذا ذهبت تحولهم إلى ما لا يعرفون، رأوْا ذلك كفرًا ولكن أقِر أهل كل بلدة على ما فيها من العلم، وخذ هذا العلم لنفسك، فقال لي: ما أبعدت القول، اكتب هذا العلم لمحمد ـ يعني ابنه المهدي ـ وكان المنصور يريد حمل الناس على تعلم موطأ مالك وقال لمالك: لعمري لو طاوعتني لأمرت بذلك[1].

فأين التكلم بالحق؟

قال عبد المتعال بن صالح: قيل لمالك بن أنس: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟ قال: يرحمك الله فأين التكلم بالحق؟!

(١) «الجرح والتعديل» (جـ١، ص: ٢٩).

العلم يُؤتَى ولا يأتي

قال مالك بن أنس: وجه إليَّ هارون الرشيد، فسألني أن أحدثه، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن العلم يُؤتَى ولا يأتي، فصار إلى منزلي، فاستند معي إلى الجدار، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، قال: فقام فجلس بين يدي، فقال لي بعد مدة: يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به، وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع، وكان سفيان يأتيهم إلى بيوتهم فيأخذ دراهم[١].

شاور في أمرك الذين يخافون الله

كتب الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ رسالته الشهيرة إلى هارون الرشيد يعظه فيها وينصحه، وقد جاء في مقدمتها: «أما بعد. . فإني كتبت إليك لم آلك فيه رشدًا، ولم أدخر فيه نصحًا تحميدًا لله وأدبًا عن رسول الله ﷺ فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك وأرعه سمعك، ثم اعقله بقلبك وأحضر فهمك ولا تغيبن عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة، اذكر نفسك في غمرات الموت وكُربة ما هو نازل بك منه، وما أنت موقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب، وأعدَّ لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ما يُسهل عليك أهوال تلك المشاهد وكربها، فإنك لو رأيت سخط الله تعالى، وما صار الناس إليه من ألوان العذاب، وشدة نقمته عليهم، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم، مع كلوح وجوههم، وطول

---

(١) «صلاح الأمة» (جـ٣، ص: ١٣٤).

غمهم، وتقلبهم في دركاتها على وجوههم، ولا يسمعون ولا يبصرون، ويدعون بالويل والثبور.

وأعظِم بحسرة إعراض الله عنهم وانقطاع رجائهم وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون:١٠٨)، ثم قال له: لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «شاور في أمرك الذين يخافون الله»، احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً»**[(١)]، ثم قال: لا تجر ثيابك، فإن الله لا يحب ذلك، فقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«من جر ثيابه خُيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة»**[(٢)]، اطع الله في معصية الناس، ولا تُطع الناس في معصية الله، فقد بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[(٣)] »[(٤)].

بهذا صار مالك مالكًا

قال مالك بن أنس: لو أن مناديًا ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلاً، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعي، قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله، قال: بهذا صار مالكُ مالكًا.

---

(١) وبنحوه معناه، رواه مسلم (٥٠).
(٢) رواه البخاري (٣٦٦٥)، (٥٧٨٤).
(٣) حديث صحيح «رياض الصالحين» بشرح العثيمين ـ طبعة دار السلام ـ حديث رقم (١٩٥/ ش).
(٤) «صلاح الأمة» (جـ٣، ص:١٣٥).

رأيت الناس عليه

قال خداش بن خالد: رأيت على مالك طيلسانًا طرازيًا وقلنسوة وثيابًا مروية جيادًا وفي بيته وسائد وأصحابه عليها قعود فقلت له: يا أبا عبد الله الذي أرى شيئًا حدثته أم وجدت الناس عليه؟ قال: رأيت الناس عليه.

الإمام مالك وهيئة أهل العلم

قال الزبيري: كان مالك يلبس الثياب العدنية الجياد والخراسانية والمصرية المرتفعة البيض، ويتطيب بطيب جيد، ويقول: ما أحب لأحد أنعم الله عليه إلا ويرى أثر نعمته عليه وخاصة أهل العلم.

الإمام مالك والعقيق

قال ابن بكير: «مولد مالك بذي المروة وكان ينزل أولاً بالعقيق ثم نزل المدينة، وقيل لمالك: لِمَ تنزل العقيق فإنه يشق عليك إلى المسجد، فقال: بلغني أن النبي ﷺ كان يحبه ويأتيه وأن بعض الأنصار أراد القفلة منه إلى قرب المسجد، فقال له النبي ﷺ: **«أما تحسبون خطاكم»**[1]»[2].

---

(١) المحفوظ «دياركم بني سلمة تكتب آثاركم»، وهو في البخاري.

(٢) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١١٥).

لا يقال له: من أين قلت ذا؟

قال أبو مصعب: كانوا يزدحمـون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام، وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا؟

ما شرابك يا أبا عبد الله؟

قال ابن أبي حازم: قلت لمالك: ما شرابك يا أبا عبد الله؟ قال: في الصيف السكر وفي الشتاء العسل، وكان مالك يعجبه الموز ويقول: لم يمسه ذباب ولا يد أسود، ولا شيء أشبه بثمر الجنة منه، لا نطلبه في شتاء ولا صيف إلا ووجدته، قال الله تعالى: ﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ (الرعد: ٣٥).

فعلمت بذلك ولا أعلم أحوال رعيتي

ووعظ مالك مرة أبا جعـفر المنصور في افتقاد الرعـية فقال له: أليس إذا بكت ابنتك من الجوع تأمر بحجر الرحا فيحرك كي لا يسمع الجيران بكاءها؟ فقال مالك: والله ما علم بهذا إلا الله، فقال له: فعلمت بهذا ولا أعلم أحوال رعيتي؟!

قصة عقل أبي علي الثقفي مع الإمام مالك

قال أبو فهر المصري: كان أبو بكر بن إسحاق إذا ذكر عقل أبي علي الثقفي يقول: ذلك عقل مأخوذ من الصحابة والتابعين، وذلك أن أبا علي أقام بسمرقند أربع سنين يأخذ تلك الشمائل من محـمد بن نصر المروزي، وأخـذها ابن نصر

عن يحيى بن يحيى، فلم يكن بخراسان أعقل منه ،وأخذها يحيى عن مالك أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه.

وأنت عافاك الله

قال زهير بن عباد: ما كنت أقول لمالك: رحمك الله إلا قال: وأنت رحمك الله، وإذا قلت له: عافاك الله، قال: وأنت عافاك الله، حسن أدب[1].

قصة أدب الإمام مالك

قال عبد الله بن عبد الحكم: هيأ مالك بن أنس دعوة للطلبة وكنت فيهم فمضينا معه إلى داره، فلما دخلنا الدار، قال: هذا المستراح وهذا الماء، ثم دخلنا البيت فلم يدخل معنا، ودخل بعد ذلك فأتانا بالطعام ولم يأت بالماء قبله لغسل أيدينا، ثم أتى به بعده، فلما خرج الناس سألته عما رأيت قال: أما إعلامي لكم بالمستراح والماء: فإنما دعوتكم لأبركم، ولعل أحدكم يصيبه بول أو غيره فلا يدري أين يذهب فيصل إليه الضرر، وأما تركي الدخول معكم في البيت فلعلي أقول: ها هنا أبا فلان اجلس، وها هنا أبا فلان اجلس، وقد أنس بعضكم فيظن ذلك نقصًا فيه فتركتكم حتى أخذتم مجالسكم ودخلت عليكم، وأما تركي الماء قبل الطعام فإن الوضوء قبله من سنة الأعاجم، وأما بعده فقد جاء في ذلك حديث.

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص:١١٧-١١٨).

أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيتها

قال الشافعي: سئل مالك عن الصورة في البيت قال: لا ينبغي، فقال له رجل عراقي: يا أبا عبد الله هو ذا في بيتك صورة! قال: أنا ساكن فيه منذ كذا ما رأيتها، ثم فحكها، فأخذ قناه فلف عليها خرقة ثم حكها.

ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله

قال مطرف: كان مالك إذا دخل بيته قال: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فسئل عن ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩)، وجنته بيته، وقيل: إن ذلك كان على باب مالك مكتوب ليتذكر برؤيته قول ذلك متى دخل.

اذهب فاكتب الآن

قال مالك: قلت لأمي: أذهبُ فاكتب العلم؟ فقالت: تعالى فالبس ثياب العلم، فألبستني ثياب مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتني فوقها ثم قالت: اذهب فاكتب الآن[1].

اذهب فتعلم من أدبه قبل علمه

قال مالك: كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه، قال ابن القاسم: أفضى بمالك طلبُ العلم إلى أن نقض سقف بيته فباع خشبه، ثم مالت عليه الدنيا.

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص:١١٨-١١٩).

يا بُنيه إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ

قال أنس بن عياض: جالست ربيعة ومالك يومئذ معنا وما يعرف إلا بمالك أخو النضر ثم زال حرصه في طلب العلم حتى صرنا نقول النضر أخو مالك وكان مالك حين طلبه يتبع ظلال الشجر ليتفرغ لما يريد فقالت أخته لأبيه: هذا أخي لا يأوى مع الناس، قال: يا بنيه إنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ.

... دعيه فذلك عالم الناس

قال مالك: كان لي أخ في سن ابن شهاب فألقى أبي يومًا علينا مسألة فأصاب أخي وأخطأت فقال لي أبي: ألهتك الحمام عن طلب العلم فغضبت وانقطعت إلى ابن هرمز سبع سنين وكنت أجعل في كفي تمرًا وأناوله صبيانه وأقول لهم: إن سألكم أحد عن الشيخ فقولوا: مشغول، وقال ابن هرمز يومًا لجاريته: مَنْ بالباب؟ فلم ترَ إلا مالكًا، فرجعت فقالت له: ما ثم إلا ذاك الأشقر فقال لها: دعيه فذلك عالم الناس.

قصة الإمام مالك مع الزهري

قال مالك: كنا نأتي ابن شهاب في داره في بني الريل وكانت له عتبة حسنة كنا نجلس عليها نتدافع إذا دخلنا عليه، وقال مالك: كنا نجلس إلى الزهري ومحمد بن المنكدر فيقول ابن الزهري: قال ابن عمر كذا وكذا فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه وقلنا له: الذي ذكرت عن ابن عمر من حدثك به فيقول: ابنه سالم![1].

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٢٠).

قصة الإمام مالك مع نافع مولى ابن عمر

قال مالك: كنت آتي نافعًا مولى ابن عمر وأنا يومئذ غلام ومعي غلام لي وينزل إلي من درجة له فيقعدني معه فيحدثني، وقال: كنت آتي نافعًا نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له: كيف قال ابن عمر في كذا وكذا؟ فيجيبني ثم أكتب عنه وكان فيه حدة.

قصة الزهري مع ربيعة

قال مالك: قدم علينا الزهري فأتيناه ومعنا ربيعة فحدثنا نيفًا وأربعين حديثًا ثم أتيناه الغد فقال: انظروا كتابًا حتى أحدثكم منه، أرأيتم ما حدثتكم به أمس أفي شيء في أيديكم منه؟، فقال له ربيعة: ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس فقال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات فحدثته بأربعين حديثًا منها، فقال الزهري: ما كنت أرى بقي من يحفظ هذا غيري.

قم فأنت من أوعية العلم

قال مالك: شهدت العيد فقلت: هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه فسمعته يقول لجاريته: انظري من على الباب، فنظرت فسمعتها تقول: مولاك الأشقر مالك، قال: أدخليه، فدخلت، فقال: ما أراك انصرفت بعد إلى منزلك؟ قلت: لا، قال: هل أكلت شيئًا؟ قلت: لا، قال: فاطعم، قلت: لا حاجة لي فيه، قال: فما تريد؟ قلت: تحدثني، فحدثني

سبعة عشر حديثًا ثم قال: وما ينفعك إن حدثتك ولا تحفظها! قلت: إن شئت رددتها عليك، وفي رواية قال لي: هات فأخرجت ألواحي فحدثني بأربعين حديثًا، فقلت: زدني، قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدى ثم قال: حدِّث، فحدثته بها فردها إلي وقال: قم فأنت من أوعية العلم[1].

كرهت أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم

قال عبد العزيز بن عبد الله: سئل مالك أَسَمِع من عمرو بن دينار، فقال: رأيته يحدث والناس قيام يكتبون فكرهت أن أكتب حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

قصة الإمام مالك مع أبي الزناد

قال الزبير: مر مالك بأبي الزناد وهو يحدث فلم يجلس إليه، فلقيه بعد ذلك فقال له: ما منعك أن تجلس إليّ؟ قال: كان الموضع ضيقًا فلم أرد أن آخذ حديث رسول الله ﷺ وأنا قائم.

هذا الشأن يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم

قال مالك: أدركت بهذه البلدة أقوامًا لو استسقى بهم القطر لسقوا، قد سمعوا العلم والحديث كثيرًا، ما حدثت عن أحد منهم شيئًا لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يعني: الحديث والفتيا يحتاج إلى رجل معه تقى

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٢١-١٢٢).

وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غداً فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ولا هو حجة ولا يؤخذ عنهم.

قصة الإمام مالك مع عطاء

وقيل لمالك: لِمَ لا تكتب عن عطاء قال: أردت أن آخذ عنه وأردت أن انظر إلى سمته وأمره فاتبعته، أتى منبر النبي ﷺ فمسح الغاشية والدرجة السفلى، يعني من المنبر، فلم أكتب عنه إذ ذاك من فعل العامة، والدرجة السفلى والغاشية شيء أصلحه بنو أمية، فلما رأيته لا يفرق بين منبر النبي ولا غيره ويفعل فعل العامة تركته.

قصة الإمام مالك مع أيوب السختياني

قال مالك: رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين فما كتبت عنه، ورأيته في الثالثة قاعداً في فناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي عنده يبكي حتى أرحمه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه[1].

ما تقول فيها يا أبا عثمان؟

قال سفيان بن عيينة: دارت مسألة في مجلس ربيعة، فتكلم فيها ربيعة، فقال مالك: ما تقول فيها يا أبا عثمان؟ قال ربيعة: أقول فلا تقول، وأقول إذ لا تقول، وأقول فلا تفقه ما أقول، ومالك ساكت فلم يجب بشيء وانصرفت،

---

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٢٣-١٢٤).

فلما راح إلى الظهر جلس وحده وجلس إليه القوم، فلما صلى المغرب اجتمع إلى مالك خمسون أو أكثر، فلما كان من الغد اجتمع إليه خلق كثير، قال: جلس للناس وهو ابن سبع عشرة سنة وعرفت له الإمامة وبالناس حياة إذ ذاك.

لا خير فيمن يرى نفسه في حالة لا يراه الناس لها أهلاً

قال ابن وهب: قال لنا مالك يومًا: دعاني الأمير في الحداثة أن أحضر المجلس فتأخرت حتى راح ربيعة فأعلمته وقلت: لم أحضر حتى جئت أستشيرك، فقال ربيعة: نعم، قال ابن وهب: فقلت: لو لم يقل لك احضر لم تحضر، ثم قال: يا أبا محمد لا خير فيمن يرى نفسه في حالة لا يراه الناس لها أهلاً.

ما جلست حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك

قال مالك: لما حضرت مع ربيعة عند السلطان رأيت الكراهية في وجهه، فقلت له لما خرجنا: إن كنت تكره لم أحضر إنما تعلمنا منك، قال: فلا أكره أن يحضر معنا من أنت أفقه منه، قال مالك: ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه لذلك أهلاً جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخًا من أهل العلم أني موضع لذلك.

جسرت على أن تفتي يا أبا عبد الرحمن؟

قال ابن وهب: جاء رجل يسأل مالكًا عن مسألة، فبادر ابن القاسم فأفتاه فأقفل عليه مالك كالمغضب وقال له: جسرت على أن تفتي يا أبا عبد الرحمن؟



يكررها عليه، ما أفتيت حتى سألت: هل أنا للفتيا موضع؟ فلما سكن غضبه قيل له: من سألت؟ قال: الزهري وربيعة الرأي، قال مالك: وربيعة إذا سأله الرجل فلم يفهم عنه يقول له: سل هذا، فأقول للسائل إنما ينهاك عن كذا[(١)].

ما ترى يا مالك؟

قال ابن بكير وغيره: أول ما بان من فقه مالك أن رجلاً أوصى عند وفاته قد زوج ابنتيه من ابني أخيه وقد أخذ مهورهما ومات الرجل فأحضر الوالي، وكان الحسن بن يزيد والناس، وفيهم ابن أبي ذئب وابن عمران وابن أبي سبرة ومالك وهو حدث وذكر المسألة، فقال جميعهم: ذلك جائز ـ ومالك ساكت ـ فقال: ما ترى يا مالك؟ قال: ذلك لا يجوز، فغضب الجميع، وقال ابن أبي ذئب: لا يشاء أن يرد علينا إلا رد، فقال الوالي: أصاب وأخطأتم، ثم قال: من أين قلت يا أبا عبد الله هذا؟ قال: أرأيتم إن هديتنا جميعًا إلى زوجيهما فتعلق كل واحد منهما بهودج واحدة، كل واحد يقول: هي زوجتي دون الأخرى، لمن تقضون بها؟ فسكت القوم، قالوا: أصاب، قال: فما ترى يا أبا عبد الله؟ قال: النكاح مفسوخ حتى تسمى كل امرأة لرجل معين.

فانصرف الناس وقد بان فضل علمه

وقال ابن الماجشون: مما عُلم به مالك أن سارقًا أُخذ ومعه قمح وقد سرقه من تَلاَكِيس بهذا وهذا، حتى اجتمع قمح كثير فاعترف بذلك فأحضر الوالي مَنْ

---

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٢٦-١٢٧).

بالمدينة وفيهم ربيعة ويحيى بن سعيد ومعهم مالك على حداثة سنه لمعرفتهم بعلمه، فلما أخذوا مجالسهم سألهم الوالي عن المسألة، وأخرج القمح فإذا شبيه، فكلهم رأى أن عليه القطع ومالك ساكت، فقال له: تكلم، قال: لا قطع عليه، فاستعظم ذلك مَنْ هناك، وسألوه من أين قاله؟ فقال لهم: هل يجب القطع إلا في ربع دينار فصاعداً؟ فأما أن يسرق من هذا التليس ما يساوي درهمًا ومن هذا ما يساوي درهمًا هكذا، فهذا لا قطع عليه، فانصرف الناس وقد بان فضل علمه.

اتق الله يا مالك إذا كنت مالك وإلا فأنت هالك

قال أبو المحاسن المطالبي: سأل مالكًا صفوان بن سليم وهو أحد شيوخ مالك الجلة الفضلاء النقاد عن رؤيا رآها في النوم ومالك إذ ذاك غلام صغير السن فقال له: ومثلك يسأل مثلي؟ فقال له: وما عليك يا ابن أخي، رأيت كأني أنظر في مرآة، فقال له مالك: أنت تنظر في أمر آخرتك وما يقربك إلى ربك، فقال له صفوان: أنت اليوم مويلك ولئن بقيت لتكونن مالكًا، اتق الله يا مالك إذا كنت مالك وإلا فأنت هالك، قال مالك: وكان قبل يدعوني مويلك، فلما سألني قال: يا أبا عبد الله، وهو أول يوم كنَّاني فيه.

الإمام مالك ووصية ابن هرمز

قال الحرث: أوصى ابن هرمز مالكًا وعبد العزيز بن أبي سلمة: إذا دخلتما على السلطان فكونا آخر من يتكلم، فلزم مالك وصيته فبلغني أنه حضر عند الأمير مع ابن أبي ذئب ونظرائه فاستفتاهم في رجل أقر على نفسه بالقتل عمداً

فأفتى كلهم بالقتل إلا أن يعفو الأوليـاء، ومالك ساكت، فسأله فقال: انظر وهو مطرق، ثم سأله فقال: هو القتل حتى أنـظر، فقالوا: ما تنظر رجل أقر أنه قتل عمداً أي شيء هذا؟ فقـال: أين القاتل المقـر؟ فإذا فتى حدث السن، فقال: منذ كم حُبس؟ قيل: منذ كذا، فإذا حبسه وإقراره قبل أن يحتلم، فَسُرحَ.

طبقات الإمام مالك

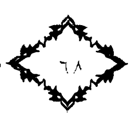
قال أحمد بن صالح: كان مالك في ثلاث طبـقات، طبقة دونه وأخرى معه وأخرى فوقه، ولم يـكن في الثلاث طبقات مثله من يجيـد الطلب، فاق الثلاث طبقات، فـالتي فوقه من ولد في الثمانين، ابـن عجلان وابن أبي ذئب وغمطهم، والتي معـه عبـد العزيز بن الماجـشون وأبي الزناد وسليـمان بن بلال وغـيرهم، والذين دونهم ابن الدراوردي وابن أبي حازم وأنس وعياض.

ما ندري منهم إلا أربعة

قال ابن القاسم: قال لي مالك: كنا نجلس إلى ربيعة أربعين معتمًا سوى من لا يعـتم ما نـدري منهم إلا أربعة، أمـا أحـدهم فـغلبت عليـه الملوك يعني ابن الماجشون وفي رواية شُغل بالاغاليط أو نحو هذا، وأما الآخر فمات يعني: كثير ابن فرقد، وأما الثالث فغـرب نفسه يعني: عبد الرحمن بن عطاء، وسكت عن الرابع، فعلمنا أنه يعني نفسه[1].

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص:١٢٨-١٢٩).



إن نجب منهم فالأشقر

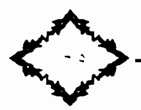
وقيل لأبي حنيفة: كيف رأيت غلمان المدينة؟ قال: إن نَجِبَ منهم فالأشقر الأزرق، يعني مالك: وفي رواية: رأيت بها علمًا مبثوثًا فإن يجمعه أحد فالغلام الأبيض الأحمر، قال ابن غانم: فذكرت ذلك لمالك، فقال: صدق، لقيته فرأيت رجلاً له علم وفهم لو بنى على أصل، يعني: أثر أهل المدينة.

مَنْ السفلة يا مالك؟

قال ابن أبي أويس: قال مالك: أقبل علي ذات يوم ربيعة فقال لي: مَنْ السفلة يا مالك؟ قلت: الذي يأكل بدينه، فقال لي: فمن سفلة السفلة؟ قلت: الذي يأكل غيره بدينه، فقال: زه وصدرني.

ما بين المالكية والأحناف

قال الشافعي: ذاكرت محمد بن الحسين يومًا فقال لي: صاحبنا أعلم - يعني: أبا حنيفة - من صاحبكم؟ - يعني: مالكًا - فقلت له: الإنصاف تريد أم المكابرة؟ قال: الإنصاف، قلت له: نشدتك بالله الذي لا إله إلا هو من أعلم بكتاب الله وناسخه ومنسوخه؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت له: فمن أعلم بسنة رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت: فمن بأقوال أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: اللهم صاحبكم، قلت: فلم يبق إلا القياس قال: صاحبنا أقْيَسُ، قلت: القياس لا يكون إلا على هذه الأشياء فعلى أي شيء يقيس ونحن ندعي لصاحبنا ما لا تدعونه لصاحبكم.



إنه فقيه يا مصري

قال الليث: لقيت مالكًا بالمدينة، فقلت له: إني أراك تمسح العرق عن جبينك، قال: عرفت مع أبي حنيفة، إنه لفقيه يا مصري، ثم لقيت أبا حنيفة فقلت: ما أحسن قول ذلك الرجل فيك، فقال: والله ما رأيت أسرع منه بجواب صادق وزهد تام[1].

فكأنما نبي نطق على لسانه

قال مطرف: كان مالك إذا سئل عن مسألة نزلت فكأنما نبي نطق على لسانه.

أحمد بن حنبل والإمام مالك

قال ابن حنبل: مالك أتبع من سفيان، وسئل عن الثوري ومالك إذا اختلفا في الرواية، وفي طريق أيهما أفقه؟ فقال: مالك أكبر في قلبي، قيل له: فمالك والأوزاعي إذا اختلفا في الرواية، قال: مالك أحب إليَّ وإن كان الأوزاعي إمام، قيل: فمالك والليث؟ قال: مالك، قيل: فمالك والحكم وحماد، قيل: مالك والنخعي؟ قال: ضعه مع أهل زمانه، وقال: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومن مثل مالك متبع لآثار من مضى؟ مع عقل وأدب، قيل له: الرجل يحب أن يحفظ حديث رجل بعينه حديث من ترى يحفظ؟ قال: حديث مالك، فإنه حجة بينك وبين الله، وقال أيضًا: يرحم الله مالكًا كان من الإسلام بمكان.

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٣١).



... ومالك وعبد العزيز ينظران فيه

وقيل لابن هرمز: نسألك فلا تجيبنا ويسألك مالك وعبد العزيز فتجيبهما، فقال: دخل علي في بدني ضعف ولا آمن أن يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذلك، وأنتم إذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه ومالك وعبد العزيز ينظران فيه، فإن كان صوابًا قبلاه، وإن كان غير ذلك تركاه.

مرسلات مالك

قال يحيى بن سعيد القطان: وذكرت من مرسلات السفيانيين والشعبي والأعمش وغيرهم فقال: في بعضها شبه الريح وشبه لا شيء، قيل: فمرسلات مالك؟ قال: هي أحب إليَّ، ليس في القوم أصح حديثًا منه، وقدمه في أصحاب الزهري قال: ومالك عن سعيد أحب إليَّ من سفيان عن إبراهيم[1].

تقول: دع مالك!

قال الحسن بن علي: كنا عند وهيب بن خالد فحدث بحديث عن مالك وابن جريج، فقلت لرجل: اكتب ابن جريج ودع مالك؛ لأنه كان صياح فسمعها وهيب فقال: تقول: دع مالك! ما نعلم بين شرقيها وغربها أحدًا آمن عندنا من مالك على حديث.

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٣٥).

ارجعوا بنا إلى قول مالك

قال مطروح بن شاكر: جلس ابن شهاب وربيعة ومالك فألقى ابن شهاب مسألة فأجاب فيها ربيعة وصمت مالك، فقال ابن شهاب: لِمَ لا تجب؟ قال: قد أجاب الأستاذ أو نحوه، فقال ابن شهاب: ما نفترق حتى تجيب، فأجاب بخلاف جواب ربيعة، فقال ابن شهاب: ارجعوا بنا إلى قول مالك.

دعوني فإن الحجازي نهاني عنه

قال الدراوردي: بينما أنا جالس مع يحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة إذ سمعت أحدهما يقول للآخر: كم ذا يكون هذا الرجل بين أظهرنا أفلا نأتيه نسمع منه أو نأخذ عنه؟ فقلت في نفسي: إن هذا رجل ذهب هذان في الأخذ عنه لأجل أن لا أجهله، فقاما وقمت معهم، فأتيا باب مالك واستأذنا عليه فلم نلبث أن سمعنا وقع الوسائد وأذن لهما فدخلا عليه فدخلت معهما، فقالا: يا أبا عبد الله حدثنا عن ابن شهاب وكان سفيان الثوري إذا سُئل عن شاذ الحديث قال: دعوه فإن الحجازي نهاني عنه يعني: مالكًا.

فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتبعون أين مالك!

قال يحيى: قال الشافعي: أفطرت بالمدينة عند مالك فخرج إلى العيد وصلى وانصرف ونظر إلى الناس عند بيت النبي ﷺ وهو على باب المسجد، فقال: ما لهم؟ قال: انصرفوا يسلمون على النبي ﷺ فرجع إلى الحظيرة التي يطعم

فيها المساكين في رمضان وترك أن يدخل المسجد، فرأيت الناس قد خرجوا من المسجد يتبعون أين مالك؟![1].

قصة اقتداء الناس بالإمام مالك في الاستسقاء

قال ابن أبي أويس: حضرت الاستسقاء فلما حول الإمام رداءه قام مالك يحول ساجًا عليه، فقام الناس فحولوا أرديتهم، فلما انصرف مالك، قيل له: أمن سنة الاستسقاء إذا حول الإمام أن يقوم الناس يحولوا أرديتهم؟ قال: ليس عليهم قيام ويحولون قعودًا، وإنما قمت لأن ساجي كان تحتي فلم أقدر على تحويله حتى قمت.

قصة الإمام مالك مع ابن كنانة

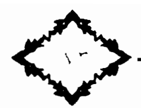
قال ابن كنانة: قال العمري لمالك: بايعني أهل الحرمين وأنت ترى ظلم أبي جعفر: فقال له مالك: تدري ما الذي منع عمر بن عبد العزيز أن يولي رجلاً صالحًا بعده؟ قال: لا، قال: كانت البيعة ليزيد فخاف عمر بن عبد العزيز إن بايع لغيره أن يقيم يزيد الهيج، ويتقاتل الناس فيفسد ما لا يصلح، فاحتمل العمري عن رأي مالك.

صورة طواف الإمام مالك

قال سفيان: كان مالك سراجًا، حج الثوري فطفت معه فلم يكن معه كثير أحد وقدم مالك فطاف فضاق الطواف بالناس لكثرتهم.

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص:١٣٨-١٣٩).



إن مالكا روى عنك

لما روى مالك عن يزيد بن عبد الله بن عبد الهادي رحل إلى يزيد قريب من ألف راحلة، فلما أصبح يزيد نظر إلى كثرة من وقف على بابه قال: ما هذا؟ قيل له: إن مالكًا روى عنك.

صورة ما يحضر الإمام مالك من جنازة

قال داود بن مهران: لما أتيت المدينة حضرت جنازة فلم يبق أحد من بني هاشم وقريش والناس إلا حضرها، فلما خرجت الجنازة قام مالك وقام الناس لقيامه فمضى ماشيًا بين يديها، فما رأيت أحدًا خلف الجنازة ومالك أمامهم(١).

مالك سيدنا وعالمنا

قال ابن وهب: سألت عبد العزيز بن الماجشون عن مسألة فقال: ما يحضرني فيها جواب، ولكن سل مالكًا وأخبرني بما يقول: فسألته وأخبرته: فقال: مالك سيدنا وعالمنا.

بقول مالك أقول، وأميل مع مالك حيث مال

وذكر عبد العزيز الماجشون مسألة اختلف فيها قول أبيه وقول مالك فقال: وبقول مالك أقول وأميل مع مالك حيث مال فإنه كان موفقًا.

ما هذه الأشياء التي تبلغني عنكم تخالفون فيها أهل المدينة؟

قال خالد بن نزار: زار مسلم بن خالد مالكًا فقال له مالك: يا مسلم ما هذه الأشياء التي تبلغني عنكم تخالفون فيها أهل المدينة؟ قال: يا أبا عبد الله أصلحك الله إني قد جمعت أشياء أريد أن أسألك عنها، قال مالك: هات، أما إني أحب أن يرشدكم الله ولكني أكره أن تخالفوا أهل المدينة إلى غيرهم.

وجعلت مالك حجة بيني وبين الله

قال محمد بن الحكم: كان الشافعي إذا سئل عن شيء يقول: هذا قول الأستاذ يعني مالكًا وقال فيه مالك أستاذي ومالك معلمي وعنه أخذنا العلم، وما أحد أَمنَّ علي من مالك وإنما أنا غلام من غلمان مالك، وجعلت مالك حجة بيني وبين الله.

رجل من أهل المدينة من الأنصار ويروي عنه ولا يعرفه مالك؟

وسئل مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الذي يحدث عنه ابن سمعان فقال: ما أعرفه، فقال الناس: رجل من أهل المدينة من الأنصار ويروي عنه ولا يعرفه مالك؟ فاتهمه الناس، فقال علي بن المديني: إذا حدث مالك عن رجل من أهل المدينة ولا تعرفه فهو حجة لأنه كان ينتقي[1].

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٤٠-١٤١).

إي والله

وحكى بعض من ألَّف في مناقبه أن ابن هرمز مر بدار بعض ذوي الأقدار وهو واقف مع مولاة له، فقال ابن هرمز: يا هذا إنك على الطريق وليس يحل لك هذا، فقال: هذه داري ومولاتي وحشمي، فما ينكر على مثلي، وقال لعبيده: طأوا بطنه فوطئوه حتى حمل إلى منزله، فعاده الناس وفيهم مالك فجعل يشكو والناس يدعون له، ومالك ساكت ثم تكلم فقال: إن هذا لم يكن لك، تأتي الرجل من أهل القدر على باب داره معه حشمه ومواليه، فقال ابن هرمز: فترى أني أخطأت؟ قال: إي والله.

أنا أمرتهم بذلك

ولما قدم حماد بن زيد المدينة لم يأته أحد من أصحاب مالك فراح حماد فشكى ذلك إليه، فقال: أنا أمرتهم بذلك، فقال: ولِمَ يا أبا عبد الله؟ قال: لأنكم يا أهل العراق تكتبون بالمدينة عمن لا شهادة له عندنا، فيتوهم عليكم أنكم تفعلون هكذا في بلادكم، فرجع حماد فأسقط عامة علمه.

قصة الإمام مالك مع سحنون

قال سحنون: جاء وافد أهل مصر بسؤلاتهم لربيعة فوجدوه قد مات، قال: فلم أرد أن أرجع بغير جواب، فرأيت في المسجد حلقة يخوضون في العلم فجلست إليهم وأخبرتهم أمري وقلت لهم: إن كان لكم أجيبوني أو فأرشدوني، فأشار عليَّ جميعهم إلى مالك بن أنس وهو يومئذ شاب جالس إلى عمود وحده ولم أدع حلقة إلا جلست إليها، وسألتهم فكلهم يدلني عليه، فأتيته فأخبرته



بخبري وبما دلني القوم عليه، وذكر أنه سأله فكلما قرأ عليه مسألة بكى، ثم أجابه، قال سحنون: بكى حين عرفها وعرف أنه احتيج إليه فيها.

أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها

قال ابن مهدي: سأل رجل مالكًا عن مسألة وذكر أنه أُرسل فيها من سير ستة أشهر من المغرب، فقال له: أخبر الذي أرسلك أنه لا علم لي بها، قال: من يعلمها؟ قال: من علَّمه الله.

فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا؟!

قال عبد الرحمن العمري: قال لي مالك: ربما وردت علي المسألة تمنعني من الطعام والشراب والنوم، فقلت: يا أبا عبد الله ما كلامك عند الناس إلا كنقش في حجر، ما تقول شيئًا إلا تلقوه منك، قال: فمن أحق أن يكون كذا إلا من كان هكذا؟! فرأيت في النوم قائلاً يقول: مالك معصوم.

قصة الإمام مالك مع السائل

قال ابن عبد الحكم: كان مالك إذا سئل مسألة قال للسائل: انصرف حتى أنظر فيها فينصرف ويترد فيها، فقلنا له في ذلك، فبكى وقال: إني أخاف أن يكون لي من السائل يوم وأي يوم، وكان مالك إذا جلس نكس رأسه ويحرك شفتيه بذكر الله ولم يلتفت يمينًا ولا شمالاً فإذا سئل عن مسألة تغير لونه وكان أحمر بصفرة فيصفر وينكس رأسه ويحرك شفتيه ثم يقول: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله.



قصة الإمام مالك مع المغربي

وسأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال: ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة في بلدنا ولا سمعنا أحدًا من أشياخنا تكلم بها ولكن تعود، فلما كان من الغد جاءه وقد حمل ثقله على بغلة يقودها، فقال: مسألتي، فقال: ما أدري ما هي! فقال الرجل: يا أبا عبد الله تركت خلفي من يقول: ليس على وجه الأرض أعلم منك، فقال مالك غير مستوحش: إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن.

ويحك أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟

وسأله آخر فقال: يا أبا عبد الله أجبني، فقال: ويحك أتريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله؟ فأحتاج أنا أولاً أن انظر كيف خلاصي ثم أخلصك[1].

الإمام مالك وقول لا أدري

وقال مالك: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري، قال عمر بن عبد العزيز: فقلت لمالك في ذلك فقال: يرجع أهل الشام إلى شامهم وأهل العراق إلى عراقهم وأهل مصر إلى مصرهم ثم لعلي أرجع عما أفتيتهم به.

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٤٦).

سلو أهل العلم؟

قال مصعب: وجهني أبي بمسألة ومعي صاحبها إلى مالك يقصها عليه فقال: فما أحسن فيها جوابًا سلو أهل العلم!

ويحك ما عرفتني؟ ومن أنا؟!

وكان الرجل يسأله المسألة فيقول: العلم أوسع من هذا، وقال بعضهم: إذا قلت أنت يا أبا عبد الله ما أدري فمن يدري؟! قال: ويحك ما عرفتني؟ ومن أنا؟ وأي شيء منزلتي حتى أدري ما لا تدرون.

إنها مسألة خفيفة سهلة

وقال مصعب: سئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري، فقال له السائل: إنها مسألة خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير، وكان السائل ذا قدر، فغضب مالك وقال: مسألة خفيفة سهلة ليس في العلم شيء خفيف أما سمعت قول الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل: ٥)، فالعلم كله ثقيل وبخاصة ما يسأل عنه يوم القيامة.

ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها؟!

وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك: ومن أين علموها؟ قال: منك، قال مالك: ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها؟!

... أرجو أن يكون خفيفًا

وسئل مالك عن الأحاديث يـقدم فيها ويؤخر والمعنى واحد، فـقال: أما ما كان من لفظ النبي ﷺ فلا ينبـغي أن يقوله إلا كما جاء، وأما لفـظ غيره فإذا كان المعنى واحدًا فلا بأس به، فقيل: حديث النبي ﷺ مزادٌ فيه الواو والألف والمعنى واحد، قال: أرجو أن يكون خفيفًا.

... إذا حدثت الناس بكل ما سمعت إني إذًا لأحمق

قال الشافعي: قيل لمالك: عند ابن عـيينة أحاديث ليست عندك، فقال: إذا حدثت الناس بكل ما سـمعت إني إذًا لأحمق، وفي رواية: إني أريد أن أضلهم إذًا، ولقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث منها سوطًا ولم أحدث بها، وإن كنت أفزع الناس من السياط.

لا تكتبها

قال مـعن: سمعت مـالكًا يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأرجع وكل مـا أقول يكتب، قال أشـهب: ورآني أكتب جوابه في مسـألة فقال: لا تكتبـها، فإني لا أدري أَثْبُتُ عليها أم لا.

حسبكم من أكثر أخطأ

قال ابن وهب: وسمعته عندما يكثر عليه بالسؤال يكف ويقول: حسبكم من أكثر أخطأ وكان يعيب كثرة ذلك وقال: يتكلم كأنه جمل مقتلم ويقول: هو كذا هو كذا يهدر في كل شيء.

سل عما يكون ودع ما لا يكون

وسأله رجل عراقي عن رجل وطئ دجاجة ميتة فخرجت منها بيضة فأفقست البيضة عنده عن فرخ أيأكله؟ فقال مالك: سل عما يكون ودع ما لا يكون. وسأله آخر عن نحو هذا فلم يجبه، فقال: لم لا تجبني؟ فقال: لو سألت عما تنتفع به أجبتك.

أنت المتهاون بعلم مالك؟

وسأله رجل عن مسألة من أهل المدينة الجواب فيها، فرده ثم عاد فرده ثلاثًا فكأنه تهاون بعلم مالك فآتاه آتٍ في نومه يقول له: أنت المتهاون بعلم مالك؟ ائته فاسأله فلو كانت مسألتك أدق من الشعر وأصلب من الصخر لوفق فيها باستعانته بما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

... ومن أحق بالبكاء مني!

قال القعنبي: دخلت على مالك فوجدته باكيًا فسألته عن ذلك فقال: ومن أحق بالبكاء مني! لا أتكلم بكلمة إلا كتبت بالأقلام وحملت إلى الآفاق وما تكلمت برأي إلا في ثلاث مسائل.

الإمام مالك وحديث النبي ﷺ

قال مطرف: كان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أم المسائل؟ فإن قالوا: المسائل خرج إليهم

فأتاهم وإن قالوا: الحديث، قال لهم: اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه طويلة وتلقى له المنصة فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود فلا يزال يبخَّر حتى يفرغ من حديث رسول الله ﷺ.

مجلس الإمام مالك

قال يحيى: كنا نجتمع على باب مالك فإذا توافينا صرخ الآذن ليدخل أهل المدينة ثم ليؤذن لغيرهم فيدخل ويسلم عليه ويسكت ونسكت ساعة، فإذا رأى ازدحامنا قال: توقروا فإنه عون لكم وليعرف صغيركم حق كبيركم، ومن رواية أخرى: كان إذنه لنا رفع سطر في أسطوانة فندخل عليه وهو قاعد قد ميَّل رأسه حتى إذا أخذ الناس مجالسهم رفع رأسه فقال: السلام عليكم إنما كان يفعل ذلك لئلا يقرب بعض الناس على بعض من العلوية أو العثمانية أو غيرهم فينتقد عليه ذلك، قال ابن قعنب: ما رأيت قط أشد وقارًا من مجلس مالك لكأن الطير على رؤوسهم.

إني أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ

قال ابن أويس: كان مالك إذا جلس للحديث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، ثم حدث فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنًا، وكان يكره أن يحدث في طريق قائمًا ومستعجلاً وقال: أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ.

قصة الإمام مالك مع العقرب

قال عبد الله بن المبارك: وكنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ستة عشر مرة ومالك يتغير لونه ويصبر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبًا، قال: إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ.

قصة الإمام مالك مع الوزغ

قال يحيى بن يحيى الأندلسي: كنت جالسًا عند مالك فوقعت على رأسه وزغتان فمرتا على قلنسوته ثم دنتا إلى عنقه دخلتا تحت طوقه حتى خرجتا من تحت ثيابه وما نفضهما وما حل صفوته.

من طلب هذا الأمر صبر عليه

قال مصعب الزبيري: كان حبيب يقرأ على مالك وأنا على يمينه وأخي عن شماله وهو أقرب إلى مالك وكان أسن مني، وكان حبيب يقرأ لنا عشية من ورقتين إلى ورقتين ونصف ولا يبلغ ثلاثًا والناس ناحية لا يدنون ولا ينظرون فإذا خرجنا جاءنا الناس فعارضوا كتبهم بكتبنا، قال: وجئنا يومًا إلى أبينا بالعرضة لنقيم عنده ونسير بالعشي إلى مالك فأصابتنا السماء بالمطر يومًا فلم نأته تلك العشية ولم ينتظرنا وعرض عليه الناس فأتيناه بالغد فقلنا: يا أبا عبد الله أصابتنا أمس سماء منعتنا عن حضور العرض، فرد علينا قائلاً: لا، من طلب هذا الأمر صبر عليه[(١)].

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٥٦).

إنما هي مجالس العلم السابق إليها أحق بها

قال جعفر بن إبراهيم: كلم صديق لأبي مالكًا أن أسمع منه فأذن فكنت أختلف إليه وأنا مدل بنسبي من رسول الله ﷺ وموضعي، فأتخطى الناس إلى وساد مالك فلا يتزحزح ويريني أنه لم يدنيني احتقارًا لي، فشكوت ذلك إلى أبي وغيره فبعثوا إليه يسألونه إكرامي وأثرتي فقال للرسول: ما هو عندنا وغيره إلا سواء، إنما هي ـ عافاك الله ـ مجالس العلم السابق إليها أحق بها، فكنت آتي وقد أحدق الناس فما يوسع لي فأستدني حيث وجدت.

الذي فعلتم بالأمس فعل السفهاء

قال عبد الرازق: بينما نحن في المسجد الحرام فقيل لنا: هذا مالك فلقيناه داخلاً من باب بني هاشم وعليه رداء وقميص صنعاني فطاف بالبيت وخرج ناحية الصفا وصلى ركعتين، فلما فرغ احتوشناه كما يصنع أصحاب الحديث فلما جلسنا قام من بيننا كالمغضب فجئنا مشايخنا، أي شيء كتبتم عن مالك فأخبرناهم بالذي فعل، فقالوا: الذي فعلتموه لا يحتمله مالك، فلما كان الغد جئنا واحدًا واحدًا وعلينا السكون فحدثنا وقال: الذي فعلتم بالأمس فعل السفهاء.

العلم أجلُّ من ذلك

قال خالد بن نزار: سألت مالكًا عن شيء وكان متكئًا فقال: حدثني يحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب ثم استوى جالسًا وتجلل بكساه فقال: أستغفر الله فقلت له في ذلك، فقال: إن العلم أجل من ذلك ما حدثت عن رسول الله ﷺ وأنا متكئ.



مثل هذا فليعرض

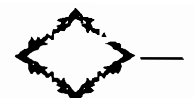
قال ابن بكير: قام رجل إلى مالك فقال له: أعرض؟ قال: نعم، قال: أحدِّثكم ابن شهاب عن سالم؟ فقال له مالك: أنت ثقيل، يقوم غير هذا، فقام آخر فقال: حدَّثكم ابن شهاب، بلا استفهام فقال مالك: أحسنت، مثل هذا فليعرض.

قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً!

حكى الزبير عن عمه مصعب وغير واحد أن هارون الرشيد لما حج أتى مالكًا فاستأذن عليه حاجبه ثم أذن له، وفي رواية بعضهم: ثم خرج إليه، فلما دخل قال: يا أبا عبد الله ما حملك على أن أبطأت وقد علمت مكاني، وفي رواية حبستنا على بابك؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن توضأت وعلمت أنك لا تأتي إلا لحديث رسول الله ﷺ فأحببت أن أتأهب له، فقال: قد علمت أن الله ما رفعك باطلاً! وأخذه بيده فمضى إلى قبر النبي ﷺ فقال: أخبرني عن مكان أبي بكر وعمر من النبي ﷺ فقال: محلهما منه في حياته كمحلهما منه بعد وفاته.

قد فعلت يا أبا عبد الله

قال هشام بن عيسى: لما قدم هارون المدينة دعا مالكًا، فقال مالك: منكم خرج هذا العلم وأولى الناس بإعظامه، ومن إعظامكم له ألا تدعوا حملته إلى أبوابكم، قال: قد فعلت يا أبا عبد الله.



يا امير المؤمنين: العلم اهل ان يوقر ويؤتى

لما حج الخليفة المهدي فدخل المدينة فسار إليه مالك وأظهر من بره وإعظامه وأمر ابنيه موسى وهارون أن يسمعا منه فبعثوا إليه فلم يصل إليهم وأعلموا المهدي فبعث إليه لِمَ لم تأتهم؟ فقال: يا أمير المؤمنين العلم أهل أن يوقر ويؤتى، قال: صدق سيروا إليه، فلما حضروه قالوا: اقرأ علينا، قال: إن هذا البلد إنما يُقرأ فيه على العالم كما يقرأ الغلام على المعلم فإذا أخطأ أصلحه، فانصرفوا عنه وأعلموا المهدي فبعث إليه، فقال: امتنعت أن تصير إليهم فصاروا إليك فامتنعت أن تقرأ عليهم، قال: يا أمير المؤمنين سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم من رجال في الروضة وهم سعيد بن المسيب وأبو سلمة وعروة والقاسم وسالم وخارجة وسليمان ونافع ثم نقل عنهم ابن هرمز وأبو الزناد ربيعة والأنصار وبحر العلم ابن شهاب وكل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرأون على أحد، قال المهدي: اذهبوا فاقرأوا ففي هؤلاء قدوة، فكان مؤدبهم يقرأ عليهم.

يا وغد اليك حُملت؟!

قال بعضهم: قدم الرشيد المدينة ومالك عليل فبعث إليه أن يأتيه ليسأله مسألة فقال: أنا عليل، فقال: لابد من لقائك ووجه إليه محفة وحمله على أيدي الخدم فلما دخل قام إليه الفضل بن الربيع فسأله عن مسألة فقال مالك: يا وغد إليك حُملت؟! لأخبرن أمير المؤمنين فأكب عليه الفضل يقبله ويستعطفه فلما دخل الرشيد سأله عما أراد.

تواضعنا لعلمك فانتفعنا به

لما قدم هارون الرشيد المدينة وجه إلى مالك وزيره جعفر البرمكي وقال له: قل له: أحمل الكتاب الذي صنفته حتى أسمعه منك فوجد من ذلك مالك واغتم وقال للبرمكي: اقرئه السلام وقل له: العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتي، فرجع البرمكي إلى هارون فأخبره بذلك فغضب، وأشار عامة أصحاب مالك أن يأتي هارون الرشيد، وقال البرمكي للرشيد: يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك فخالفك، أعزم عليه حتى يأتيك فإذا بمالك قد دخل فسلم وليس معه كتاب، فقال له هارون في ذلك فقال مالك: إن الله تعالى بعث إلينا محمداً ﷺ وأمر بطاعته واتباع سنته وأن نرعاه حيًا وميتًا وقد جعلك في هذا الموضع لعلمك فلا تكن أول من ضيَّع العلم فيضيِّعك الله، الله الله لقد رأيت من ليس هو في حسبك ولا نسبك من الموالي وغيرهم يُعِزُّ هذا العلم، ويجله ويوقره حملته، فأنت أحرى أن تجل علم ابن عمك، ولم يزل يعدد عليه حتى بكى، قال هارون: قم بنا إلى منزلك، فأتى هارون منزل مالك فدخل مالك واغتسل ولبس ثيابًا جدداً وتطيب ووضع مجامير فيها عود بخور وجلس فقال: هات، فقال هارون: تقرأ علي فقال: ما قرأت على أحد منذ زمان، قال: فأخرج عني الناس حتى أقرأه عليك فقال مالك: إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم تنتفع به الخاصة، قال: فأمر بعض أصحابه يقرأه عليه، فكان هارون قد استند إلى جنب مالك فلما بدأ يقرأ له قال: يا أمير المؤمنين من تواضع لله رفعه، فقام فقعد بين يديه فحدثه، فلما فرغ عاد إلى مكانه، قال مالك: لما كان بعد مدة قال لي الرشيد: تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان بن عيينة فلم ننتفع به، وكان يأتيهم فيحدثهم.

عمك مالك بن أنس أين يجلس

كان رجل من قريش ينتقص مالكًا ويقول: بأي شيء هو أكبر منا؟ فلما قدم هارون الرشيد وجلس الناس، قالوا له: هذا هارون ومالك يدخل وأنت تدخل فافعل ما فعل، وأرسلوا معه من ينظر فتقدم مالك فقال: السلام عليك يا أميرِ المؤمنين ورحمة الله وبركاته، عمك مالك بن أنس أين يجلس؟ قال: هاهنا تجلس، وأقبل الرجل خلفه فقبل يدي هارون، فقال هارون لمالك: إن رأيت أن تأتي ولديك فتحدثهم يعني ابني هارون قال: فما رد عليه مالك شيئًا حتى خلا من عنده، فتحول إليه فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تكون أول من أجرى على يديك ذل العلم: قال: وما ذاك؟ قال: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون، فقال: أصبت بل يأتوك، وخرج مالك، فقال هارون: هذا الذي تلومونني فيه ما رأيت رجلاً أعقل منه، قلت له آنفًا فلم يرد على شيء كراهية أن يخرج منه شيء في ذلك الجمع فلما خلوت خرج لي عما في نفسي، مروا له بكذا وكذا جائزة، فكانوا يقولون للقرشي: كيف ترى؟ فيقول: ذلك رجل معصوم.

كنت في عيني أجل من هذا

قال ابن مهدي: مشيت مع مالك يومًا إلى العقيق من المسجد فسألته عن حديث فانتهرني، فالتفت إلي وقال لي: كنت في عيني أجل من هذا، أتسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي، فقلت: إنا لله ما أراني إلا وقد سقطت من عينه، فلما قعد في مجلسه بعدت منه فقال: إذن ها هنا فدنوت فقال: قد ظننت أنا أدبناك تسألني عن حديث رسول الله ﷺ ونحن نمشي، سل عما تريد ها هنا.

القاضي أحق أن يؤدّب

قال أبو مصعب: وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه، فقيل له: إنه قاضي، فقال: القاضي أحق أن يؤدَّب فحبس إلى الغد.

مثل هذا طلب العلم

ولما حج هاشم بن جريج وهو حدث أتى مالك بن أنس وقد رحل الناس بورقتين من حديث، فقال له: اقرأ هذه الأحاديث فقد مضى الناس، فقال مالك: ينتظر أحدكم حتى إذا رحل الناس جاء فقال: اقرأ لي فقد رحل الناس، فالتفت هاشم إلى مالك فقال: أصلحك الله إن تكن حاجة أو أمر تأمر به انتهيت إلى طاعتك ووقفت عند أمرك وفرحت بذلك في نادي قومي، وسدت به على عشيرتي أستودعك الله، فإن طاعتك فرض وقولك حكم استودعك الله، قال مالك: مثل هذا طلب العلم، ردُّوه، فبعث في طلبه فأتى به فقرأ له ثم انصرف.

أفي الصلاة نحن فلا نتكلم؟

قال الحسن بن الربيع: كنت على باب مالك فنادى مناديه: ليدخل أهل الحجاز فما دخل إلا هم، ثم نادى في أهل الشام، ثم في أهل العراق، فكنت آخر من دخل وفينا حماد بن أبي حنيفة فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: فأومأ الناس إليه بأيديهم أن اسكت، فقال: أفي صلاة نحن فلا نتكلم؟ فسمعت مالكًا يقول: أستخير الله مرتين ثم قال: أخبرنا نافع فحدثنا بعشرين حديثًا ثم قال: أخرجوهم فأخذتنا المقارع.



قصة الشافعي ومالك

قال الشافعي: استأذنت على مالك وكنت أريد أن أسمع منه حديث السقيفة فقلت: إن جعلته أولاً خشيت أن يستطيله ولم يحدثني وإن جعلته آخراً خشيت أن لا أبلغه فجعلته بعد عشرة أحاديث، فأخذت أسأله فلما مرت عشرة، قال: حسبك، فلم أسمعه.

يا غلام خذ بيده فاذهب به إلى السجن

قال بشر بن آدم: سأل الأغضب مالكًا عن مسألة ثم عن أخرى فأجابه، ثم عن أخرى فلم يجبه، فقال له: هو لِمَ؟ فقال مالك: يا غلام خذ بيده فاذهب به إلى السجن، قال: إني قاضي أمير المؤمنين، قال: ذلك أهون لك، قال: لا أعود، قال: خل سبيله.

قصة الإمام مالك مع ابن المبارك

قال ابن حارث: دخل ابن المبارك وأصحابه على مالك فقالوا: يا أبا عبد الله حدثنا ولا تحدثنا إلا بحديث الزهري فقال مالك: يؤخذ بأيديهم ويقاموا عني، فقام القوم، فلما كان من الغد قال ابن المبارك لأصحابه: إن مالك بن أنس لا يضره أن ألا تسمعوا منه شيئًا، فعودوا إلى الرجل، فدخلوا عليه فلما أخذوا مجالسهم اعتبرهم وحدثهم من حديث الزهري كما أرادوا.

ولتعرفنَّهم في لحن القول، لا تعد إليَّ

قال ابن مهدي: لما أراد يحيى بن أبي زائدة الحج كلم عبد الله بن إدريس أن يكتب له كتابًا إلى المدينة ليسمع منه وكانت بينهما مودة ففعل، وكان يسمع إذا جاءه يومًا رجل فقال: يا أبا عبد الله ما تقول في رجل أوصى لعبده بمائة درهم؟ فقال مالك: الوصية جائزة، فقال له يحيى: يوصي بماله لماله؟ فنظر مالك إلى من عنده فقال: ولتعرفنهم في لحن القول لا تعد إليَّ.

هيبة الإمام مالك

قال ابن الماجشون: دخلت على أمير المؤمنين المهدي، فما كان بيني وبينه إلا خادمة، فما هبته هيبتي مالكًا.

وقال سعيد بن أبي هند: ما هبت أحدًا هيبتي عبد الرحمن بن معاوية - يريد ملك الأندلس - حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية.

قصة الإمام مالك مع السائل عن الخنثى

قال ابن وهب: قدمت المدينة فسألني الناس أن أسأل مالك عن الخنثى وقد اجتمعوا إليه، وكنت أنا الذي أسأل لهم، فهبت أن أسأله وهابه كل من في المجلس أن يسأله[1].

---

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٦٧).

قصة الإمام مالك مع الحسن بن محمد

قال الشافعي: كان محمد بن الحسن إذا حدث بالعراق عن مالك امتلأ منزله حتى يضيق بهم الموضع، وإذا حدثهم عن غيره من شيوخ الكوفة لم يجبه إلا اليسير فكان يقول: ما أعلم أحدًا أسوأ ثناءً منكم على أصحابكم.

كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟

قال بكير بن الشرود: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة ونحن نستزيده من حديثه، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو قائم في ذلك الطاق، فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم، قلنا: كيف حظى بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك؟ فقال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم.

قصة الإمام مالك مع العراقي السائل

قال إسماعيل بن يعقوب السهمي: كنت مع مالك بن أنس جالسًا يومًا عند بروز أهل الموسم فجلس إليه رجل عراقي فسأله عن مسألة فأجاب، ثم سأله مرة أخرى فأجاب، ثم سأله فأبى أن يجيب، فقال: لقد أنفقت وجئت هذا الوجه وأنا مسترشد فأرشدني، فقال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: **«لا إيمان لمن لا حياء له»**[(١)]، فقال العراقي: وأنا قد بلغني أن النبي ﷺ قال: **«إذا كشف وجه الرجل رق دينه»**[(٢)]، فوثب إليه جماعة من جلساء مالك فنزعوا عمامته وطرحوها في رقبته وخنقوه بها.

---

(١) صحيح بلفظ: «... والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

(٢) الحديث ضعيف، وراجع «السلسلة الصحيحة» للألباني.

قصة الإمام مالك مع المريض

قال أشهب: عاد مالك محمد بن علي من علة فصارت له بعيادة مالك وجهة في الناس.

قصة الإمام مالك مع يونس بن تميم

قال يونس بن تميم: قدمت المدينة سنة ستين ومائة فأتيت مالكًا فلما نظرت إليه هبته ولم أتقدم إليه، ورأيت الناس يهابونه فأقمت أتردد عشرة أيام فشكوت ذلك لأهل المدينة فقيل لي: أعط كاتبه يسأل لك عما أجبت وأما أنت فلا أحسب تتهيأ لك مسألته لأنه أهيب من ذلك في صدور الناس.

والله ما قال لي أحسن الله جزاك

قال بعض الحسنين: كنت مقيمًا عند أهلي أيام دخولي بها فأتاني مالك وأنا مع أهلي في الحجلة فاستأذن فكرهت أن أجلسه في الباب إلى أن أباعد أهلي، فخرجت من الحجلة وأرخيت الستر على وجه زوجتي فقعدت بين يدي الحجلة فأذنت له فدخل وجلس، ثم قال: إن الأمير قد حبس غلامي أخذه العسس فامض إليه حتى يطلقه، فهبت أن أخبره بموضع زوجتي أو أرجعه فتركته جالسًا وخرجت إلى الأمير فأطلق غلامه وجئت به فلما رآني مالك آخذًا بيد الغلام تلقاني وانتزع الغلام وخرج يتوكأ عليه، والله ما قال لي أحسن الله جزاك.



امض بنا إلى مالك يعزينا

قال عبد الله العباسي: كان أهل المدينة إذا مات لهم ميت يقولون: امضوا بنا إلى مالك يعزينا.

إنما أنتم حرب

قال الزهري: رأيت مالكًا وقومًا يتجادلون عنده فقام ونفض رداءه وقال: إنما أنتم حرب.

قصة الإمام مالك والسائل عن العرش

قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكًا فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه:٥)، كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليًا حتى علاه الرحضاء وما رأينا مالكًا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينتظرون ما يأمر به، ثم سُرى عنه، فقال: الاستواء معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك خبالاً، أخرجوه عني، فناداه الرجل: يا أبا عبد الله والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق فلم أجد أحدًا وُفق لما وفقت له.

خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه

قال أبو مصعب: قدم علينا ابن مهدي فصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الإمام رفعه الناس بأبصارهم ورمقوا مالكًا، وكان قد صلى خلف

الإمام، فلما سلم قال: مَنْ ها هنا من الحراس؟ فجاءه نفسان فقال: خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس، فقيل له: ابن مهدي، فوجه إليه وقال له: أما خفت الله واتقيته أن وضعت ثوبك بين يديك في الصف وأُشغِلت وأَشغَلت المصليين بالنظر إليه، وأحدثت في مسجدنا شيئًا ما كنا نعرفه وقد قال النبي ﷺ: **«من أحدث في مسجدنا حادثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[(١)]، فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه أن لا يقعد ذلك أبدًا في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره.

عليك بما تعرف واترك ما لا تعرف

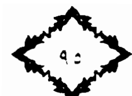
وسأل رجل مالكًا عن الشيء من علم الباطن، فغضب وقال: علم الباطن لا يعرفه إلا من عرف علم الظاهر، فمتى عرف علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن، ولا يكن ذلك إلا مع فتح قلبه وتنويره، ثم قال للرجل: عليك بالدين المحض، وإياك وبنيات الطريق، وعليك بما تعرف، واترك ما لا تعرف.

فاذهب إلى مثلك فخاصمه

قال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول إذا جاءه بعض أهل الأهواء: أما أنا فعلى بيِّنة من ربي، وأما أنت فشاك فاذهب إلى مثلك فخاصمه، ثم قرأ: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**﴾ (يوسف:١٠٨).

---

(١) الحديث صحيح متفق عليه، راجع بيان فضل المدينة المنورة ومكانتها في كتاب «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» للشيخ أحمد فريد ـ حفظه الله ـ.



الإمام مالك وأهل السنة

وسأل رجل مالكًا: مَنْ أهل السنة يا أبا عبد الله؟ قال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي ولا رافضي ولا قدري[1].

أفترى موسى سأل ربه محالاً؟!

قال ابن نافع: قلت: يا أبا عبد الله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣)، ينظرون إلى الله، قال: نعم بأعينهم هاتين، فقلت له: فإن قومًا يقولون: لا ينظر إلى الله، إنَّ ناظرة بمعنى: منتظرة إلى الثواب، قال: كذبوا بل ينظر إلى الله، أما سمعت قول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: ١٤٣)، أفترى موسى سأل ربه محالاً؟ فقال الله: لن تراني في الدنيا لأنها دار فناء ولا ينظر ما بقى بما فنى، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما بقى إلى ما بقى، وقال الله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٥).

قال: زنديق فاقتلوه

وجاء رجل إلى مالك فقال له: يا أبا عبد الله، ما تقول فيمن يقول: إن القرآن مخلوق؟ قال: زنديق فاقتلوه، فقال: يا أبا عبد الله ليس هو كلامي، إنما هو كلام سمعته، قال: لم أسمعه إلا منك.

---

(١) «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٧٢).

قصة الإمام مالك مع الطالبي

قال أشـهب: كنا عند مالك إذ وقف عليه رجل من العلويين وكـانوا يقبلون على مـجلسه فناداه: يا أبا عـبد الله، فأشـرف له مالك ولم يكـن إذ ناداه أحد يجيبـه أكثر من أن يشرف برأسـه، فقال له الطالبي: إني أريد أن أجـعلك حجة فيمـا بيني وبين الله، إذا قدمت عليه فـسألني، قلت: مالك قال لي، فـقال له: قل، قال: مَنْ خير الناس بعـد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قال العلوي: ثم من؟ قال مالك: ثم عمر، قال العلوي: ثم مَنْ؟ قال: الخليفة المقتول عثمان، قال العلوي: والله لا أجالسك أبدًا، قال له مالك: الخيار لك.

قصة الإمام مالك مع من سب الصحابة

قال مصعـب الزبيري: دخل هارون الرشيد المسجد فـركع ثم أتى قبر النبي ﷺ ثم أتى مجلـس مالك فقـال: السلام عليك ورحمـة الله وبركاته، فـقال مالك: وعليك السـلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركـاته، ثم قال لمالك: هل لمن سب أصحـاب رسول الله ﷺ في الفيء حق؟ قال: لا ولا كرامـة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال: قال الله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح:٢٩)، فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء.

قصة الإمام مالك مع المغربي السائل

قال إسـحاق بن عـيسى: رأيت رجـلاً من أهل المغرب جاء مـالك بن أنس فقال: إن الأهواء كثرت قِبلنـا فجعلت على نفسي أن آتيك إن أنا رأيتك آخذ بما

تأمرني، فوصف له مالك شرائع الإسلام؛ الصلاة والزكاة والحج والصوم، ثم قال: خُذْ بها ولا تخاصم أحدًا.

الإمام مالك والقدرية

قال ابن وهب: سُئل مالك عن أهل القدر أيكف عن كلامهم؟ قال: نعم، إذا كان عارفًا بما هو عليه، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر ويخبرهم بخلافهم ولا يواضعوا القول ولا يصلى عليهم ولا تشهد جنائزهم ولا أرى أن يناكحوا ولا يصلى خلفهم وإن والهيتموهم في ثغر فأخرجوهم منه.

الإمامان مالك وأبو حنيفة

قال الفروي: سمعت أبا حنيفة يقول لمالك: إن لنا رأيًا نعرضه عليك فإن رأيته حسنًا مضينا عليه وإن رأيته سيئًا تنكبنا عنه، لا نكفر أحدًا بذنب، المذنبون كلهم مسلمون، قال: ما أرى بها بأسًا.

قصة الإمام مالك مع سورة التكاثر

قال المغيرة: خرجت ليلة بعد أن هجع الناس هجعة فمررت بمالك بن أنس فإذا أنا به قائم يصلي فلما فرغ من الحمد لله ابتدأ بألهاكم التكاثر، حتى بلغ لتسألن يومئذ عن النعيم، فبكى بكاءًا طويلاً، وجعل يرددها ويبكي وشغلني ما سمعت ورأيت منه عن حاجتي التي خرجت إليها، فلم أزل قائمًا وهو يرددها ويبكي حتى طلع الفجر، فلما تبين له ركع فصرت إلى منزلي فتوضأت فأتيت المسجد فإذا به في مجلسه والناس حوله فلما أصبح نظرت فإذا أنا بوجهه قد علاه نور حسن.



ضحك الإمام مالك

قال بشر بن عمر: كان مالك لا يضحك فقيل له في ذلك، فقال: الضحك يدعو إلى السفه وقد بلغني أن ضحك النبي ﷺ تبسم.

حال الإمام مالك عند ذكر النبي ﷺ

قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر النبي ﷺ عنده تغير لونه وانحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له في ذلك يومًا، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم على ما ترون، كنت آتي محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه ولقد أتى جعفر بن محمد وكان كثير المزاح والتبسم فإذا ذكر النبي ﷺ عنده اخضرَّ واصفرَّ، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما رأيته إلا على ثلاث خصال: إما مصليًا، وإما صائمًا، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته قط يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

... لئلا يظن الناس أني أقوم الليل

قال ابن وهب: كان في كم مالك منديل مطوي على أربع طاقات فإذا سجد سجد عليه فقيل له في ذلك فقال: أفعله لئلا يؤثر الحط على جبهتي فيظن الناس أني أقوم الليل.

أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة

قال الشافعي: رأيت بباب مالك كراعًا من أفراس خراسان وبغال مصر فقلت: ما أحسنها! فقال: هي هبة مني إليك، فقلت: دع منها دابة لنفسك تركبها، قال: أنا أستحي من الله أن أطأ تربة نبي الله بحافر دابة.

أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك؟

قال أبو عمران الصدفي: دخلت على مالك وعليَّ ثياب صوف، فقال: اخرجوه، فقلت: لا تفعل يا أبا عبد الله إنما أتيتك لأنك من ورثة الأنبياء، فسألته عن جوائز السلطان فكرهها، فقلت: إنك تقبل؟ فقال: أتريد أن تبوء بإثمي وإثمك؟

لقد جالسناه نيفًا وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم

قال الحسيبي: كنا عند مالك وأصحابه حوله فقال رجل من أهل نصيبين: يا أبا عبد الله عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيرًا ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون فقال مالك: أصبيان هم؟ قال: لا، قال: أمجانين؟ قال: لا، قوم مشائخ وغير ذلك عقلاً، قال مالك: ما سمعت أن أحدًا من أهل الإسلام يفعل ذلك، قال الرجل: بل يأكلون ثم يقومون فيرقصون نوائب ويلطم بعضهم رأسه وبعضهم وجهه، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله، فقال أصحاب مالك للرجل: لقد كنت يا هذا شؤمًا على صاحبنا، لقد جالسناه نيفًا وثلاثين سنة فما رأيناه ضحك إلا اليوم.



فكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي

قال غتيق بن مصعب: ولما حضرت مالك الوفاة سئل عن تخلفه عن المسجد قال غتيق وكان تخلفه قبل موته بسنين، فقال: لولا أني في آخر يوم من الدنيا وأوله من الآخرة ما أخبرتكم سَلَسَ بَولي، فكرهت أن آتي مسجد رسول الله ﷺ إلا على طهارة استخفافًا لرسول الله ﷺ، وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي.

فلا يعود أبدًا

قال مطرف: لقد رأيت مالكًا يومًا وهو جالس في المجلس بعد الصبح ووجهه يصفر ويخضر حتى أطال الدعاء فأتاه سائل عن مسألة فقطع عليه فالتفت مغضبًا فقال: يأت أحدكم الرجل وهو في دعائه وقد فتح الله عليه منه ما شاء أن يفتحه مما يستدعى به الإجابة فيقطع ذلك عليه فلا يعود أبدًا.

أخرج الحمار الضال من المسجد

قال ابن أبي حازم: كان بين رجل من قريش ومالك كلام، فقال له مالك: إن كنت تريد عيبي فسلط الله عليك من يخرجك من بيتك شر مخرجك، فلما صلى بنا إمامنا الصبح جلس في محرابه فنام فيه فرأى عمر بن الخطاب معه حرس يقول: اخرج الحمار الضال من المسجد، ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه بل حلاله وحرامه وسنن نبيه وما يقرب إليه، فانتبه الإمام لينبه الناس على الرجل، وقد أخرج من المسجد ووضع في عنقه حبل؛ وجيء

به إلى دار السلطان فأخبر الناس الإمام برؤياه فأخبره الرجل بالقصة فجعل يضرع لمالك ويقول: خلني يا خير من يقول حدثنا، فاستغفر له مالك.

هذا رجل منصف

قال بشر بن عمر: جئت مع مالك إلى منزله حتى دخل المسجد فانتهى إلى جماعة فوسع له في صدرها فأبى وجلس حيث انتهى به المجلس فقلت في نفسي هذا رجل منصف كنا لا نوسع لأحد في مجلسه لا يقعد في صدور مجالس الناس.

فرجع إلى وجهه الدم

قال البهلول بن عبيدة: كنت عند مالك فأُتي برجل ملبًا، فقالوا له: الأمير يقرئك السلام ويقول لك: هذا خنق رجلاً فقتله، فقال مالك: اخنقوه حتى يموت كما فعل، وركبت مالك صفرة وتشوق حتى مدّاً بصره فأخبروه أنهم خنقوه فرجع إلى وجهه الدم، فقال: أظننتم أني ندمت؟ لكن خفت أن يبطل حكم من أحكام الله تعالى.

قصة الإمام مالك مع قاتل أخيه

قال عبد الجبار بن عمر: حضرت مالكًا وقد أحضره الوالي في جماعة من أهل العلم فسألهم عن رجل عدى على أخيه حتى إذا أدركه دفعه في البئر وأخذ رداءه وأَبَوَا الغلامين حاضرين، فقال جماعة من أهل العلم والخيار للأبوين في العفو أو القصاص، فقال مالك: أرى أن تضرب عنقه الساعة، فقال الأبوان:

ليقتل ابن الأمس ونفجع في الآخر اليوم؟ نحن أولياء الدم وقد عفونا، فقال الوالي: يا أبا عبد الله ليس ثَمَّ طالب غيرهما، وقد عفوا، فقال مالك: والله الذي لا إله إلا هو لا تكلمت في العلم أبدًا أو تضرب عنقه، وسكت، وكُلم فلم يتكلم، فارتجت المدينة وصاح الناس: إذا سكت مالك فمن يُسأل ومن يجيب؟ وكثر اللغط وقالوا: لا أحد بمصر من الأمصار مثله، ولا يقوم مقامه في العلم والفضل، فلما رأى الوالي عزمه على السكوت قدَّم الغلام فضرب عنقه فلما سقط رأسه التفت مالك إلى من كان حاضراً وقال: إنما قتلته بالحرابة حين أخذ ثوب أخيه ولم أقتله قودًا إذ عفا أبواه، فانصرف الناس وقد طابت نفوسهم حين رأوه بر بيمينه إذ كان يُعلم أنه لا يحنث.

رسول الله ﷺ وموطأ مالك

قال الدراوردي: كنت نائمًا في الروضة بين القبر والمنبر، ورأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئًا على أبي بكر وعمر، ثم رجع فقمت إليه فقلت له: يا رسول الله من أين جئت؟ قال: مضيت إلى مالك بن أنس فأقمت له الصراط المستقيم، قال: فأتيت مالكًا فوجدته يدون الموطأ فأخبرته بالخبر فبكى.

قصة الإمام مالك مع ابن الخليفة

قال أبو مصعب: سمعت مالكًا يقول: دخلت على أبي جعفر بالغداة حين وقعت الشمس بالأرض وقد نزل عن شماله إلى بساط وعلى البساط برذونان قائمان من حين دخلت إلى حين خرجت لا يبولان ولا يروثان أدبًا وإذا بصبي يخرج ثم يرجع، فقال: أتدري من هذا؟ قلت: لا، قال: هو ابني وإنما يفزع من شيبتك وهيبتك.

أبو جعفر المنصور والموطأ

وقال أبو جعفر المنصور لمالك: إني عزمت أن أكتب كتبك هذه نسخًا إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة آمرهم بأن يعملوا بما فيها ولا يتعدوها إلى غيرها من هذا العلم المحدث فإنني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعملهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الناس قد سبقت لهم أقاويل وسمعوا أحاديث وروايات وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودالوا له من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم وإنَّ ردهم عما اعتقدوا شديد، فدع الناس وما هم عليه وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم، فقال: لو طاوعتني على ذلك لأمرت به.

نجاة الموطأ والمصحف من النار

قال أبو موسى الأنصاري: وقعت نار في منزل رجل فاحترق كل شيء في المنزل إلا المصحف والموطأ.

هذا حديث رسول الله ﷺ

قال عمر بن أبي سلمة: ما من مرة أقرأ الجامع من الموطأ إلا رأيت في منامي رجلاً يقول لي: هذا حديث رسول الله ﷺ، قال: فلما قدمنا المدينة بوسيلة إلى مالك، قال لي: أحضر غدًا بكتاب المدبر والمكاتب فإنهم اجتمعوا على أن يقرأوه، فبت ليلتين فرأيت قائلاً يقول وأنا نائم: غدًا يقرأ على مالك حديث رسول الله ﷺ فغدوت إلى مالك ومعي الكتابان، فلما رآني قال لي:

أي شيء معك؟ قلت: المكاتب والمدابر فقال: إنهم قد بدا لهم وأجمعوا على قراءة الجامع، فذكرت له الرؤيا فقال لي: صدق وهو حديث رسول الله ﷺ.

إن مد بك العمر فسترى ما يراد به الله

قال مطرف: قال لي مالك: ما يقول الناس في موطأي؟ قلت: الناس رجلان: محب مطرٍ، وحاسد مفتر، فقال: إن مد بك العمر فسترى ما يراد به الله، قال: فكأنما ألقيت تلك الآثار، ما سمع منها شيء بعد ذلك.

وقد رضى الناس منكم بدون هذا

دخل مالك يومًا على هارون الرشيد فحثه على مصالح المسلمين قال: لقد بلغني أن عمر بن الخطاب كان في فضله وكرمه ينفخ لهم عام الرمادة النار تحت القدور يخرج الدخان من لحيته وقد رضى الناس منكم بدون ذلك.

الإمام مالك وشطرنج الخليفة

ودخل مرة على هارون الرشيد وبين يديه شطرنج منصوب وهو ينظر فيه فوقف مالك ولم يجلس، وقال: أحقٌّ هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: فما بعد الحق إلا الضلال؟ فرفع هارون رجله وقال: لا ينصب بين يدي بعد.

قصة الإمام مالك مع الحاجب

وروي أنه كان جالسًا مع أبي جعفر المنصور فعطس أبو جعفر فشمته مالك فلما خرج أنكر عليه الحاجب ذلك وتهدده إن عاد لتشميته، فلما كان بعد ذلك

جلس عنده فعطس أبو جعفر فنظر مـالك للحاجب ثم قال للمنصور: أي حكم تريد يا أمير المؤمنين أحكم الله أم حكم الشـيطان؟ قال: لا بل حكم الله، قال: يرحمك الله.

قصة الإمام مالك مع سفرجل معاوية

قال يعيش بن هشام الخابوري: كنت عند مالك إذ أتاه رسول هارون الرشيد ينهـاه أن يحدث بحـديث معاوية فـي السفرجـل، قال: ثم تلا مـالك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا...﴾ (البقرة:١٥٩) الآية، ثم قال: والله لأخبرن بها في هذه الصـرفـة فاندفع فـقـال: حـدثنـا نافع عن ابن عـمر قـال: كنت عند رسـول الله ﷺ فأهدي إليـه سفرجل فـأعطى أصحابه واحـدة واحدة وأعطى معـاوية ثلاثة سفرجـلات وقال: القن بهن في الجنة، وقـال رسول الله ﷺ: «السفرجل يذهب طحاء القلوب»[(١)].

أين يجلس شيخك مالك؟

ولما قدم المهدي المدينة جـاءه الناس مسلمين عليه فلما أخذوا مجـالسهم استأذن مالك فقال الناس: اليوم يجلس مـالك آخر الناس، فلما دنى ونظر ازدحام الناس، قـال: يا أميـر المؤمنين أين يجلس شيـخك مـالك؟ فناداه: عندي يا أبا عبـد الله، فتخطى الناس حتـى وصل إليه، فرفع المهدي ركبته اليـمنى وأجلسه ثم أتى المهدي بالطست والإبريق فغسل يده ثم قال للغلام: قدمـه إلى أبي عبد الله فقال له مالك: يا أمير المؤمنين ليس من الأمر المعمول به أاع يا غلام ،فأكل معه غير متوضئ.

---

(١) حديث ضعيف: راجع «السلسلة الضعيفة والموضوعات».

قصة الإمام مالك مع أمير المدينة

وروي أن مالكًا دخل على عبد الملك بن صالح أمير المدينة فجلس ساعة ثم دعا بالطعام والوضوء فقال: ابتدئ أولاً بأبي عبد الله، فقال مالك: إن أبا عبد الله ـ يعني نفسه ـ لا يغسل يده، فقال: لِمَ؟ قال: ليس هذا الذي أدركت عليه أهل العلم ببلدنا إنما هو من زي الأعاجم وقد نهى عمر عن أمر الأعاجم وكان عمر إذا أكل مسح يده ببطن قدمه، فقال له عبد الملك: أأترك يا أبا عبد الله؟ فقال: إي والله، فما عاد إلى ذلك عبد الملك بن صالح.

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا مما ترك

قال حسين بن عروة: لما قدم المهدي المدينة بعث مالك بألفي دينار أو بثلاثة آلاف دينار مع الربيع فلما خرج من عنده قال: يا جارية لا تمسي هذا المال فإني قد تفرست حين نظرت وجه الربيع ورأيت فيه أمرًا منكرًا، ولهذا المال سبب، فلما حج المهدي وقدم المدينة أتاه الربيع بعد ذلك فقال له: أمير المؤمنين يقرؤك السلام ويحب أن تعادله إلى مدينة السلام، فقال مالك: أقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له: قال رسول الله ﷺ: **«والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»**[1]، والمال عندي على حاله، أخرجيه يا جارية أخرجيه، فأبى الربيع أن يقبله فلم يزل به مالك حتى أخذه، فأتى الربيع المهدي فغمه رد المال، فلما كان وقت رحلته شيعه الناس فوصلهم ووجه إلى مالك فودعه ولم يأمر له بشيء، فلما أتى منزله وجه له بستة آلاف دينار، فالتفت إلى من كان حاضرًا وقال: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا مما ترك.

---

(١) حديث صحيح: راجع «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» للشيخ أحمد فريد.

احثوا التراب في وجوه المداحين

وقال بعض ولاة المدينة لمالك: لم لا تخضب كما يخضب أصحابك؟ فقال مالك: لم يبق عليها من العدل إلا أن أخضب؟ وأثنى على والي المدينة بحضرته عند مالك فغضب مالك، ثم التفت إليه وقال: إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير ما ليس فيك أوشك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك وترضى بها من يقولها لك في وجهك فإنك أعرف بنفسك منهم، فإنه بلغني أن رجلاً امتدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: **«قطعتم ظهره - أو عنقه - لو سمعها ما أفلح»**[1]، وقال النبي ﷺ: **«احثوا التراب في وجوه المداحين»**[2].

يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك

وناظر أبو جعفر المنصور مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فرفع أبو جعفر صوته، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، إن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢) الآية، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ (الحجرات: ٣) الآية، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ (الحجرات: ٤) الآية، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان أبو جعفر، وقال له أبو جعفر: أدعو مستقبلاً القبلة أم مستقبلاً رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به إلى ربك يشفعك، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ (النساء: ٦٤) الآية.

---

(١) لم أجد تخريجه.

(٢) لم أعثر على تخريجه.

خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه

قال زيد بن أسامة: لما قدم أبو جعفر المنصور دخلنا مسلمين عليه وأخذنا مجالسنا، فبينما نحن كذلك إذ دخل مالك فقال له المنصور: إلى ها هنا يا أبا عبد الله، ولو تركتم قول علي وابن عباس وأخذتم بقول ابن عمر، قال: لأنه أخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال المنصور: والله يا أبا عبد الله ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك، خذ بقول ابن عَمر ودعني مما سواه.

ومن قبر محمد عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم

قال مصعب: لما قدم المهدي المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال، فلما أبصر بمالك انحرف المهدي إليه فعانقه وسلم عليه وسايره، فالتفت مالك إلى المهدي فقال: يا أمير المؤمنين إنك تدخل الآن المدينة فتمر بقوم عن يمينك وعن يسارك وهم أولاد المهاجرين والأنصار فسلم عليهم فإن ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ولا خير من المدينة، فقال له: ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: لأنه لا يعرف قبر نبي اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد ﷺ ومن قبر محمد ﷺ عندهم فينبغي أن يعلم فضلهم على غيرهم، ففعل المهدي ما أمره به مالك.

نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا

ولما دخل المهدي المدينة ونزل وجَّه بغلة إلى مالك ليركبها ويأتيه فرد البغلة وقال: إني لأستحي من الله أن أركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ،

وأتاه ماشيًا، وكانت به علة فـاتكأ على المغيرة المخزومي وعلى ابن حسن العلوي وعلى ابن علي اللهلي، وهؤلاء علمـاء المدينة وأشرافهـا، فلما بصـر به المهدي قال: يا سبحان الله ترك ركوب البغلة إجلالاً لرسول الله ﷺ فقيض له هؤلاء فاتكأ عليـهم، والله لو دعوتهم أنا إلى هذا مـا أجابوني! فقـال المغيرة: يا أمـير المؤمنين نحن قد افتخرنا على أهل المدينة لما اتكأ علينا.

إنما يريدون أن يعبثوا بالدين

قال مـعن: دخل إبراهيم بن يحـيى العبـاسي أميـر المدينة يومًا على مـالك ومالك حـديث بعهد بعلَّة فـثبت في مجلسه لم يقـم ولم يوسع مجلس إبراهيم على أقل فراش مالك، ومالك لا يتزحزح مـحادثة ساعة ثم قال له: ما تقول يا أبا عبد الله في محـرم قتل قملة؟ قال: لا يقتلهـا، قال: فإنه قتلها فمـا فديتها؟ قال مالك: لا يفعل، قال: فعل، قال: لا يفعل، قال: أقول لك فعل فتقول لي لا يفعل، قال: نـعم، فقام إبراهيم مغـضبًا وسكت مالك ساعـة، ثم قال: إنما يريدون أن يعبثوا بالدين، إنما الفدية على من قتلها غير عامد لقتلها.

لم يضع أصلحك الله

قال مـعن: سأل إبراهيم العبـاسي أمير المـدينة مالكًا يومًا فـقال: أحب أن تكتب لي كتابًا، فكتب له، ثم دخـل عليـه مـالك يومـًا فقال له إبراهيم: أحب أن تكتب لي كـتابًـا مكان ذلك الكتاب فـقـد ضاع، فقـال مـالك: لم يضـع أصلحك الله، قال: بلى، وحقك لقد ضاع، فعجل علي كتابًا مثله، قال: ما أنا بفاعل، قال له: لِمَ؟ قال: لأنه لا يضيع كتاب مثلك، مُرْ به يطلب تجده إن شاء

الله، ثم عاد إليه بعد فقال: علمت يا أبا عبد الله أنا طلبنا الكتاب فوجدناه، فقال: الحمد لله أصبت حين طلبته.

الملك لله الواحد القهار

قال عتيق بن يعقوب: خرجنا مع مالك إلى المصلى يوم عيد ومالك يمشي، وخرج عبد الملك بن صالح أمير المدينة في سلاح وتعبية ورايات وأعلام فنظر إليهم مالك فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ما هكذا كان النبي ﷺ والخلفاء الراشدون، فبلغ ذلك عبد الملك فأتاه في المصلى، فقال: يا أبا عبد الله ما الذي أنكرت؟ قال: ما رأيت معك، إنما أتى الناس الصلاة خاشعين يرجون المغفرة ولقد أخبرني يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ دخل عام الفتح مكة في عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفًا وكان راكبًا وحط راحلته قطيفة قيمتها أربعة دراهم منكس الرأس وهو يقول: الملك لله الواحد القهار، وكان يأتي المصلى للعيدين والاستسقاء متوكئًا على عصا أو قوس منكسًا رأسه خاشعًا.

ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء

قال عتيق بن يعقوب: دخل مالك يومًا على عبد الله بن صالح وقد غضب على بعض أهل المدينة حتى بلغ ذلك منه، فقال له مالك: قال كعب لعمر: في التوراة مكتوب «ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء»، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، فقال كعب: ما بينهما حرف «إلا من حاسب نفسه».

أحسن الله جزاءك

وروي أن بعض الخلفاء أراد أن ينقض منبر النبي ﷺ فقال لمالك: ما ترى؟ فقال: ما أرى، فغضب وقال: لقد زاد فيه معاوية، فقال مالك: إن المنبر إذ ذاك كان صلبًا فلست آمن إن نقضته أن تذهب البركة منه، وفي رواية: أن يسقط فيتشاءم الناس منك، ويقولوا: زال على يده أثر من آثار رسول الله ﷺ، فقال: أحسن الله جزاءك، فترك ما كان نواه.

مالك والمهدي

قال ابن عبد الحكم: استأذن المهدي على مالك فحبسه ساعة ثم أذن له فلما دخل قال: يا أمير المؤمنين إن العيال سمعوا بمجيئك فأحبوا أن يصلحوا من منزلهم.

مالك وأموال الرشيد

قال عبد الله بن مسلم الخياط: لما قدم الرشيد لبست ثيابًا وغدوت إلى مالك وقلت يتوكأ عليَّ فأصيب بسببه من أمير المؤمنين مالاً، فغدا مالك فتوكأ عليَّ يرافقه يحيى، فأجاز مالك بأربعة آلاف دينار وأجاز ابنه بخمسمائة دينار وجاءته من الرشيد صلة.

إذا كان مقدار ما لو كان إمام عادل

وقال ابن أبي زنبر: وأجاز هارون مالك بثلاثة آلاف دينار، فقال له رجل من الزهاد: يا أبا عبد الله ثلاثة آلاف تأخذها من أمير المؤمنين ـ كأنه يستكثرها ـ فقال مالك: إذا كان مقدار ما لو كان إمام عادل.

أما إني محتفظ بوصيتك

قال محمد بن سلمة: دخل مالك على المهدي فقال له: أوصني، فقال: أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله ﷺ وجيرانه فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**المدينة مهاجري وبها قبري وبها بعثتي وأهلها جيراني، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني، فمن حفظهم كنت له شهيداً - أو شفيعًا - يوم القيامة، ومن لم يحفظ وصيتي في جيراني سقاه الله من طينة الخبال**»[1]، فأخرج المهدي غطاءً كثيراً وطاف بنفسه على دور المدينة، فلما أراد الخروج دخل عليه مالك فقال له: يا مالك أما إني محتفظ بوصيتك التي حدثتني بها ولئن سلمت لأغفلت عنهم.

لو لم أملك من الدنيا إلا رداءي هذا لواسيتهم به

قال هارون الزهري: سمعت مالكًا يقول: لما قدم هارون الرشيد كنت ممن لقيته فقلت: يا أمير المؤمنين إن لأهل المدينة حقًا فاستوص بهم خيراً، فقال: وما حقهم؟ فقلت: هل تعلم أنه لا يعرف على وجه الأرض قبر نبي غير نبيك محمد ﷺ؟ قال: لا، قلت: فلو أن أهل المدينة خرجوا عنها وجب عليك أن تجيء بمن يسكنها ويجاور قبره، وتجري عليه الرزق؟ فقال لي: لو لم أملك من الدنيا إلا ردائي هذا لواسيتهم به.

---

(١) راجع «وقفات تربوية مع السيرة النبوية» فصل شرف المدينة وفضلها.

كيف أجيبك؟

قال مصعب وابن زنبر: استفتى والي المدينة مالكًا في مسألة فأبى أن يجيبه وقال: كيف أجيبك وقد وليت على المسلمين خيثم بن عراك؟ فعزله وأفتاه.

لِمَ أأنا مُعدم؟!

قال يحيى بن كثير: جئت الرشيد في يمين فجمع العلماء فأجمعوا أن عليه عتق رقبة، وسأل مالكًا فقال: صيام ثلاثة أيام، فقال الرشيد: لِمَ أأنا مُعدم؟! وقال الله: ﴿فمن لم يجد﴾ فأقمتني مقام المعدم، قال: نعم يا أمير المؤمنين كل ما في يديك ليس لك فعليك صيام ثلاثة أيام.

وأردت ذلك فلم تُقلَّني ركبتاي

قال المفضل بن حرب: دخل مالك والقاضي ابن عمران في أشراف المدينة على المنصور فكان كل من أراد الانصراف ألقى أبو جعفر كمه فقبله فقال بعضهم: لأقتدينَّ اليوم بهذا الشيخ ـ يعني مالكًا ـ فإن قبل الكُم قبلت وإن لم يفعل لم أفعل، فقام مالك وأنصرف ولم يقبل وأردت ذلك فلم تُقِلَّني ركبتاي حتى قبَّلت.

لا أقعد بمكان يمثل فيه بأحد

قال معن: أفتى مالك عند والي المدينة بقتل رجل فأمر الوالي بضرب وسطه، فتهيأ مالك للقيام وقال: لا أقعد بمكان يُمثل فيه بأحد، قال تعالى:

﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد:٤)، قال الوالي: اقعد أبا عبد الله، لا تضرب وسطه اضربوا عنقه.

قصة الإمام مالك مع ابني الخليفة

قال سعيد بن داود بن أبي زنبر: دخل هارون المدينة ومعه أبو يوسف فأتى إليه مالك فسلم عليه وأبو يوسف على يسار الرشيد وأبناؤه الأمين والمأمون تجاهه، فلما دخل مالك غمز ابنيه فقال: قوما بين يدي عمكما حتى يخرج - يعني مالكًا -.

سفيه سأل عن مسائل السفهاء توليه أمور المسلمين؟!

تناظر أبو يوسف مع مالك فقال أبو يوسف لمالك: ما تقول يا أبا عبد الله في محرم كسر ثنية ظبي؟ فقال مالك: عليه الفدية، فضحك أبو يوسف وقال: وهل للظبي ثنايا؟ فرفع مالك رأسه إلى هارون وقال: سبحان الله ما علمت أحدًا يذكر العلم فيضحك فلا وقر العلم ولا مجلس أمير المؤمنين وقال: يا أمير المؤمنين سفيه سأل عن مسائل السفهاء توليه أمور المسلمين.

إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعالى حتى أجيبك!

قال معن: دخل مالك على هارون وعنده أبو يوسف فلم يزل هارون يدنيه حتى أخذ بيده وأجلسه إلى جنبه، وجعل يسأله: يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله، فقال له أبو يوسف: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ فأعرض عنه، فقال له هارون: هذا قاضينا، فأعرض عنه، وسأله أبو يوسف عن مسألة فلم يجبه، فقال له

هارون: أجبه، فقال له مالك وهو معرض عنه: إذا رأيتنا جلسنا إلى أهل الباطل فتعالى حتى أجيبك!

لو علمت أن لحميد أخًا مثل هذا ما رويت عنه

اجتمع عند أمير مكة مالك بن أنس وعمر بن قيس المعروف بسندل أخو حميد بن قيس، فقيل لعمر: هذا رجل من ذي أصبح، قال: وأنا رجل من ذي أمسى وأقبل على مالك، فقال له: ما تقول فيمن كسر ثنية ظبي؟ فقال: عليه ما نقصته، فقال عمر: الأحيان يخطئ والأحيان لا يصيب، فقال مالك: هكذا الناس، ثم فطن فقال عمر: لا ولكن هذا أنت فقام مالك على الأمير وقال: ما ظننت أن الأمير يُحضر مجلسه اللعابين، ثم قال: من هذا؟ قيل: عمر بن قيس أخو حميد، فقال: لو علمت أن لحميد أخًا مثل هذا ما رويت عنه.

باع مصحفًا فاشترى كلبًا

قال أبو داود: حج مالك فجلس عند الميزاب في ظل الكعبة وكثر الناس عليه يستفتونه، فإذا جاءه من يسأله عن الحج فقال: أفرد أفرد هي سنة النبي ﷺ فأتاه عمر بن قيس فوقف عليه وقال: يا مالك أنت هالك، جلست في حرم الله تضل بيت الله تقول: افردوا افردوا، أفردك الله، فقام إليه الناس، فقال مالك: دعوا المسكين فهو في شر من هذا إنه يشرب الخندريس ـ يعني الخمر ـ وباع مصحفًا فاشترى كلبًا، فولى عمر وقد اسود وجهه، فوضعه الله إلى يوم القيامة.

قصة الإمام مالك مع السارق

قال أبو مصعب: أرسل الوالي إلى مالك بغلام شاب شهد عليه بالسرقة وقد كان المغيرة أفتى بحبسه وابن حازم بقطعه، ومدت يده للقطع ثم قال الوالي: اذهبوا إلى مالك فأدخل عليه وقرأت عليه قصة طويلة وشهادات قوية، ثم مر به شاهد شهد أنه نظر إليه يوم سرق فوجده قد انبت فقال: انظروا مع الشاهد غيره، فلم يوجد فقال: أرى شاهدًا واحدًا على الإنبات ولم ينظر فيه حتى شك لا قطع عليه، فقال له الرسول: بكم ترى يضرب؟ قال: خمسة وسبعين سوطًا ولو احتمل لزدت.

علماؤنا أعلم من علمائكم، تحدثني عن البقالين!

قدم أبو عبد الرحمن السروجي فأتى مالكًا فجلس بين يديه وعلى مالك رداء عدني اشتراه بخمسمائة درهم فسأله عن رجل مات ولم يحج حجة الإسلام ولا أوصى بها أيحج عنه؟ فقال مالك: لا، فقال له أبو عبد الرحمن: ما هكذا يقول علماؤنا، قال: وما يقول علماؤكم؟ فقال: حدثنا هشام وذكر الحديث أن النبي ﷺ سمع رجلاً يلبي عن شبرمة فقال له النبي ﷺ: «**عن نفسك لا عن شبرمة**»، فقال مالك: علماؤنا أعلم من علمائكم تحدثني عن البقالين؟! قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (النجم: ٣٩)، ثم قال: أقيموه فأقاموني فبودي لو سكت حتى أسمع منه.

مناظرة مالك والأوزاعي

قال بعضهم: اجتمع مالك والأوزاعي فتناظرا، فجعل الأوزاعي يجر مالكًا إلى المغازي والسير فقوى عليه، فلما رأى مالك ذلك جره إلى غيرها من الفقه فقوى مالك عليه.

ونرجو من عفو الله أكثر من هذا

قال العمري: لما ضرب مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ونيلَ منه حمل مغشيًا عليه فدخل الناس عليه فأفاق فقال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل، فعدناه في اليوم الثاني فإذا به قد تماثل، قلنا له ما سمعنا منه، وقلنا له: قد نال منك، فقال: تخوفت أن أموت أمس فألقى النبي ﷺ فأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي فما كان إلا مدة حتى غضب المنصور الخليفة على ضاربه وضُرب ونيل منه أمر شديد، فبُشر مالك بذلك فقال: سبحان الله! أترون حظنا مما نزل بنا الشماتة به!؟ إنا لنرجو من عقوبة الله أكثر من ذلك، ونرجو من عفو الله أكثر من هذا، وقد ضربت فيما ضرب فيه محمد بن المنكدر وربيعة وابن المسيب ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر.

فوسع الله عليك

قال مطرف ومصعب: جلد جعفر بن سليمان مالكًا ثمانين سوطًا بسبب أن محمد بن عبد العزيز الزهري حمله عليه في عمله الأول أنه يفتي الناس أن ليس على من أكره على بيعة من شيء، قال مطرف: فرأيت آثار السياط في ظهره قد شرحته تشريحًا، وكان حين مدوه في الحبل بين يديه خلعوا كتفيه حتى كان ما

يستطيع أن يسوي رداءه، فلما ولى جعفر عمله الآخر ودخل عليه مالك سأله جعفر أن يجعله في حل، وقال: إني جهلت واستزللت والله ما جلدك إلا القرشيون، فقال له مالك: إنك ترى أن قد ظلمتني؟ قال: نعم، قال: فأنت في حل فوسع الله عليك.

ما أغبط أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذى

قال إبراهيم بن حماد الزهري: رأيت مالكًا يحمل إحدى يديه بالأخرى وقيل لمالك: هذا ابن عبد العزيز الزهري قد وقف بالمسجد، وكان قاضي المدينة الذي أفتى بجلد مالك، فقال مالك: ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم ذكر محنة محمد بن المنكدر وربيعة ثم قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما أغبط أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذى.

اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون

قال الدراوردي: لما أحضر مالك لضربه في البيعة التي أفتى بها وكنت أقرب الخلق منه وسمعته يقول كلما ضرب سوطًا: اللهم اغفر لهم فإنهم لا يعلمون حتى فرغ من ضربه، قال الليث: إني لأرجو أن يرفع الله مالكًا بكل سوط درجة في الجنة.

وما هو إلا الندم والاستغفار

قال محمد بن خالد: كنا عند جعفر بن سليمان في مرضه الذي مات فيه فدخل عليه حماد بن زيد، فقال له: يا أبا إسماعيل رأيت في منامي مالك بن

أنس فسلمت عليه فلم يرد فأعدت عليه فـرد، وقال لي: إن لي ولك غداً مقامًا عند الله فأرقت لذلـك وغمني، قال حـماد: إن مالكًا من الإسـلام بمكان جليل وما هو إلا الندم والاستغفار.

لا والله حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله

قال المـنذر: الذي أغرى بمالك جـعفـر بن سليمـان رجل من بني مـخزوم صاحب أدب وذكر، نقـل فتوى الإمام مالك إلى جـعفر بن سليمـان فنقلها إلى الخليفـة المنصور فكتب إليـه أن اجلده، فجلده ومـد يده بين العقـابين، ثم عزل جعفر عن المدينة وأعيد إليها ثانية فـأكرم مالكًا وقربه وتباعد منه مالك حتى كف عنه، فحج، فبينما مالك في الموقف قال جـعفر لأصحابه: لا تحركوا وسار فلم يشعر مالك إلا بإنسـان ضرب بسوط محمله، فرفع مالك رأسـه فقال: يا مالك هذا يوم عظيم ينظر الله إلى عـباده ويغفر لهم فاجـعلني في حِـلٍّ مما ارتكبت، فقال: لا والله حتى ألتقي أنا وأنت بين يدي الله، فرجع.

أوصيك بالقرآن خيرًا

قال أسد بن الفرات: لزمت أنا وصـاحب لي مالكًا، فلما أردنا الخروج إلى العراق أتيناه مودعين له، فقلنا له: أوصنا، فالتـفت إلى صاحبي وقال: أوصيك بالقرآن خيرًا، والتفت إليَّ وقال: أوصيك بهذه الأمة خيرًا، قال أسد: فما مات صاحبي حتى أقبل على العبادة والقرآن وولي أسد القضاء.

فإنه سيكون لك شأنٌ من الشأن

قال الشافعي: لما سرت إلى المدينة ولقيت مالكًا وسمع كلامي، نظر إلي ساعة وكانت له فراسة ثم قال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأنٌ من الشأن.

كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم

قال مطرف: جاء رجل من أهل الكوفة إلى مالك فأقام نحو الستين أو السبعين يومًا فسمع عددها أحاديث، فشكى ذلك إلى مالك وقال: نحن بالعراق نكتب من الحديث في ساعة أكثر من هذا، فقال له: يا ابن أخي بالعراق عندكم دار الضرب، يضرب بالليل ويخرج بالنهار، ثم قال مالك: كانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم فصارت الآن تجيش علينا بالحديث.

عليهم بأكل البطيخ

وقيل لمالك: إن أهل الشام يقرأون إبراهام، فقال: عليهم بأكل البطيخ.

يا مصري هل مسجدكم بواب؟

قال ابن أبي مريم: قال لي مالك: يا مصري، هل على مسجدكم بواب؟ فقلت: نعم، قال: هذا سجن وليس بمسجد.

وجدتها يا مولاي جنة

قال مالك: قدم ابن شهاب الزهري المدينة فبكَّرت إليه، فوجدته في طريق المسجد ومعه غلامه أنس وكان قد زوجه أمة له، فقال له: كيف وجدت أهلك؟ فقال: فوجدتها يا مولاي جنة، فقال ابن شهاب: الحمد لله، ففطنت وضحكت، فسألني فقلت: إنه يقول إنها لم توافقه، إن في الجنة سعة وبردًا، فقال: كذلك يا أنس؟ قال: إي والله يا مولاي!، فمازال يضحك ويعيدها إلى أن فاتته الجماعة فصلى في منزله.

تضحك إذا خرج مني ريح

قال ابن أويس: جاء رجل وامرأته إلى مالك، وكان منهما يشكو صاحبه، فقال مالك للرجل: ما نقمت عليها؟ فقال: تضحك إذا خرج مني ريح، قال مالك: فتباعد عنها إذا كان منك ذلك، فقالت المرأة: هو أصيح من ذلك، وهو رعد كرعد الخريف، فقال مالك: احشي أذنيك قطنًا، فقالت: والله لو جعلت في أذني سندان حداد لنفذه، فقال مالك: اذهبي فاضحكي حيث شئت، وقال للرجل: عليك بالصعتر تداوم عليه، فانقطع عنه.

مشيتي حسنة؟!

قال عمر بن سليم: رأى مالك فتى يمشي مشية منكرة، فقام مالك فجعل يمشي إلى جنبه يحاكيه، فوقف الفتى، فقال له مالك: مشيتي حسنة؟! قال الفتى: لا، قال: فلم تمشيها أنت؟ قال: لا أعود.

يرحمك الله كنا أبصر بعوار منزلنا منك

كان مالك يومًا جالسًا فاستأذن عليه صديق له فأذن له، وكان لمالك بطيخة في ناحية، فرمى بمنديل عليها، فدخل الرجل، فقال له مالك: ها هنا، فأبى أن يقعد إلا على المنديل فتفتحت تحته البطيخة، فقال له مالك: يرحمك الله كنا أبصر بعوار منزلنا منك.

أحق الناس باللطمة؟!

قال المزني: أحق الناس بلطمة من أكل طعامًا لم يدع إليه، وأحق الناس بلطمتين من قال له صاحب المنزل: ها هنا ولم يجلس، وأحق الناس بثلاث لطمات من قال لصاحب المنزل: ادعُ ربة المنزل تأكل معنا.

يا فرس!

وسأل رجل مالكًا عمن قال لآخر: يا حمار، قال: يجلد، قال: فإن قال له: يا فرس، قال: تجلد أنت! ثم قال: يا ضعيف وهل سمعت أحدًا يقول لآخر: يا فرس؟

يا ابن أخي! أهلي بالقرب مني وما أدري ما حدث لهم!

قال ابن مهدي: قلت لمالك: ارفق عليَّ فقد طال مقامي وما أدري ما حدث على أهلي بعدي، فتبسم وقال: يا ابن أخي أهلي بالقرب مني وما أدري ما حدث عليهم.

لله الأمر من قبل ومن بعد

قال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبد الله كيف تجدك؟ قال: ما أدري، ما نقول إلا أنكم ستعاينون غدًا من عبد الله ما لم يكن في حساب، ثم ما برحنا حتى غمَّضناه وقيل إنه تشهد ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ (الروم: ٤).

وإذا الصارخ على مالك

ورأى عمر بن يحيى بن سعيد الأنصاري في الليلة التي مات فيها مالك قائلاً يقول:

لقد أصبح الإسلام زعزع ركنه *** غداة ثوى الهادي لدى منحدر القبر
إمام الهدى مازال العلم صائنًا *** عليه سلام الله في آخر الدهر

قال: وانتبهت وكتبت البيتين في السراج، وإذا الصارخ على مالك ـ رحمه الله تعالى ـ.

سبقك بها أبو تمام

قال حبيب كاتب مالك: كنا عند مالك يوم مات في جماعة من إخواننا إذ أتاه ابن حازم، فقال: يا أبا عبد الله رأيت هذه الليلة رؤيا أحببت أن أقصها عليك، قال: قص، قال: رأيت السماء انفجرت فهبط منها ملك بيده طومار وهو يقول: يا معشر الناس هذه براءة مالك من الناس، ثم إنا لجلوس ما برحنا، حتى دخل والي المدينة ابن أبي زينب ومعه مؤدبة فقال: يا أبا عبد الله، إن مؤدبي رأى الليلة رؤيا ذكر مثلها سواء، فقال مالك: سبقك بها أبو تمام، ثم

خرجنا من عنده فلما بلغنا باب الدار أغلق وسمعنا صوائح ورجعنا، فما لبثنا أن خرج ابنه يقول: قد قبضه الله إليه.

فإذا هي ليلة مات فيها مالك

قال الشافعي: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجبًا، قلت: وما هو؟ قالت: كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض، فحسبنا تلك الليلة، فإذا هي ليلة مات فيها مالك.

كنت أشتم مالكًا

قال الحسن بن حمزة الجعفري: كنت أشتم مالكًا، فأقمت عشيتي على ذلك: فنمت فرأيت الجنة فتحت فقلت: ما هذا؟ قالوا: الجنة، قلت: فما هذه الغرف، الغرفة فوق الغرفة؟ قالوا: لمالك بن أنس بما ضبط على الناس دينهم، فلم أنتقصه بعد وصرت أكتب عنه.

ليعلم من صدق الله

ورأى آخر كأن قائلاً يقول: ليعلم من صدق الله، فقام مالك بن أنس قال بعضهم: رأيت مالك بن أنس في النوم فقلت: قد نفع الله بك ونفعت أهل بلدك، فقال: أما والله ما أردت بذلك إلا الله.

وهو على ناقة تطير بين السماء والأرض

قال أسد بن موسى: رأيت مالك بن أنس بعد موته وعليه الطويلة وثياب خضر وهو على ناقة تطير بين السماء والأرض، فقلت: يا أبا عبد الله أليس قَدْ مِتْ؟ قال: بلى، فقلت: إلى ما صرت؟ قال: قدمت على ربي فكلمني كفاحًا، قال: سلني أعطيك وتمن علي أرضيك.

مالك فوق ذلك

وذكر أن الفضيل بن عياض رأى أنه دخل الجنة قال: بينما أنا في طرقها إذ مررت بزيد بن أسلم بين غرفة من غرفها وعليه قلنسوة طويلة، فقلت: زيد؟ قال: نعم، قلت له: سكَّنك الله وشرفك، فأين مالك لا أراه؟ قال: أين مالك؟ مالك فوق ذلك، فمازال يقول: فوق ذلك حتى وقعت قلنسوته.

سبحان الحي الذي لا يموت

ورآه آخر فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قال: لماذا قال بكلمة عثمان التي كان يقولها إذا رأى الميت: سبحان الحي الذي لا يموت.

هيهات! ذلك في عليين مع البكائين

قال ابن أبي أويس: كان يحيى بن يزيد النوافلي من الزهاد العباد وكان لا يكلم مالكًا ولا أبي ذئب ولا ابن عمران وكتب إلى كل واحد منهم كتابًا يعظهم في إقبالهم على الدنيا، فأما مالك فأجابه أحسن جواب، وأما الآخران فأغلظا

عليه في القول، فقدم بعد موتهم من الغابة إلى المدينة فلم يتخلف عنه أحد فحضرته يومًا وهو يتحدث وعنده خلق كثير وهو يبكي ويقول: رأيت في هذه الليلة كأني في موضع نخيل وبساتين وخضرة وقصور وأنهار تجري فاعتمدت إلى قصر رأيت أنه أفضلها فلما ذهبت لأدخله إذا على بابه إنسان فمنعني من الدخول وقال: حتى أستأذن لك، فذهب ثم أذن لي فأدخلني، إذا بقصر لم ير الراؤون مثله حُسنًا، وإذا فيه مالك بن أنس جالس في وسطه وفي حجره مصحف وعليه ثياب خضر أحسن ما تكون، فلما وقفت سلمت عليه وقلت: قد مت؟ قال: بلى، قلت: فيم صرت إلى ها هنا؟ قال: بعفو الله وتجاوزه عني وسعة رحمته لا بعملي، قلت: فما رأيت في شأن العلم؟ قال: أكثر ما نجونا بالتوقف عنه، قلت: أين زيد بن أسلم؟ فرفع رأسه إلى السماء وأشار بإصبعه وقال: هيهات! ذلك في عليين مع البكائين.

إن مالكًا في أعلى

وعن بشير بن بكر قال: رأيت الأوزاعي والثوري وهما في الجنة، فقلت: أين مالك؟ فقالا لي: إن مالكًا في أعلى. ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوته.

فقال: اجعلوه مع أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله

قال التستري: رأى أبو زرعة الرازي فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: أكثرت علي يا أبا زرعة، وكيف يكثر مخاصمة في النوم أصحاب المقالات وقال: فقلت: إلى ربي أنهم حاولوا دونك، فقال: اجعلوه مع أبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله، مالك والثوري وابن حنبل.

فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة ولكنه العلم

قال الدراوردي: رأينا النبي ﷺ في المنام جالسًا في الروضة بين القبر والمنبر إلى الأسطوانة المغلقة فأتيناه وجلسنا إليه، إذ أقبل مالك آخرنا وسلم فأجلسه رسول الله ﷺ إلى جانبه ثم نزع خاتمه من يده ﷺ وقال به بين أصابعه وجمعهن، فليس أحد منا إلا تشرف إليه، فأخذ بيد مالك ووضعه في إصبعه، فلو كان يصلح للخلافة قلنا خليفة ولكنه العلم.

الزم ما أمرك به مالك بن أنس

وقال رجل: كنت انتقص مالك بن أنس فرأيت رسول الله ﷺ في النوم فقال لي: الزم ما أمرك به مالك بن أنس فإنه يريد بما فيه الله تعالى.

فما على ظهر الأرض أعلم منه

قال الزبير بن حبيب: كنت أتناول مالكًا فرأيت النبي ﷺ عند الأسطوانة المغلقة وأنا معه، إذ أتى رجل يسأله عن مسألة فقال له النبي ﷺ: ائت مالكًا فاسأله فما على ظهر الأرض أعلم منه.

عليك بما يقول مالك فإنه وَرِثَ وحيً

قال محمد بن رمح: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله إن مالكًا والليث يختلفان، فقال رسول الله ﷺ: عليك بما يقول مالك فإنه وَرِثَ وحيً ـ بمعنى سنتي ـ.

أعطيت مالكًا كنزًا

وعن ابن سرح: رأيت النبي ﷺ وأنا شاب والناس مجتمعون يسألونه، فقال: قد أعطيت مالكًا كنزًا وأمرته أن يصدقه عليكم.

الرؤيا تسرُّ ولا تغرُّ

وجاء رجل إلى مجلس مالك فقال: أيكم مالك؟ فقالوا: هذا، فسلم عليه واعتنقه وضمه إلى صدره، وقال: والله لقد رأيت رسول الله ﷺ البارحة جالسًا هنا، فقال: هاتوا بمالك فجيء بك ترتعد فرائصك فقال: ليس بك بأس يا أبا عبد الله، اجلس، فجلست، فقال: افتح حجرك، ففتحت، فملأه مسكًا منثورًا، وقال: ضمه إليك وبثه في أمتي، فبكى مالك وقال: الرؤيا تسرّ ولا تغر، إن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله.

خذ هذه الصرة وضعها تحت قبري

قال أبو هاشم: رأى رجل النبي ﷺ على المنبر يخطب إذ جاء مالك فقال: يا مالك، خذ هذه الصرة وضعها تحت قبري، قال أبو هاشم: هو العلم الذي بثه.

رأي مالك هو الصواب

قال أبو بكر بن سعدون صليت بمصر الضحى فرأيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن مالكًا والليث اختلفا في الضحى، فمالك يقول: اثنى عشر ركعة، والليث يقول: ثمان، فضرب بيده بين وركي وقال: رأي مالك هو الصواب.



بين يديه عمود من نور

قال يحيى بن يزيد النوافلـي: رأيت رسول الله ﷺ ومالك يمشي بين يديه بشمعة يحملهـا، وفي رواية أخرى عنه: رأيت كأننا في الجنة وإذا مالك بن أنس بين يديه عمود من نور.

فإنه يخرجها وإن كانت أدق من الشعرة

قال رجل: كانت في نفسي مسألة دقيقة كنت أحب أن أرى النبي ﷺ في النوم فأسأله عنهـا فقلت: يا رسول الله في نفسي مسألة دقـيقة أحب أن أسألك عنها، فقال: ائت مالكًا فاسأله عنها، فإنه يخرجها وإن كانت أدق من شعرة.

وددت أني رأيت ما رأيت وليس لي قوت يومي

قال محمد بن أبي بشـر: كنت في مجلس ابن حنبل فطعن قوم على مالك وآخرون على الثـوري فانصرفت وفي قلبي من الغم مـا لا أصفه فقـمت فرأيت رجلاً من أحسن مـا رأيت وأطيبه رائحة وأنقـاه ثوبًا، عن يمينه رجل وعن يساره آخر وكلاهما في هيئة جميلة غير أنه أعلاهم حالاً، فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لم أرك قبل فأعرفك، لا أخالك إلا مشهورًا لما أرى من هيئتك وحسن وجهك، فقـال: أنا نبيك مـحمـد، فقلت: صلى الله عليك بأبي أنت وأمي فـمن هذا؟ فقـال: إمام داري مـالك بن أنس، وأشار على الذي عن يمينه: وهـذا إمام أهل العراق سـفيـان الثوري، وأشـار إلى الذي عن يساره، فـاشهـد بالصدق لهـما وأحببهما فـإني أحبهما، والله ما تكلما برأي إلا أصابا فيه سنـتي، ونصحا فيما

اجتهدا فيه أنفسهما بجميع أمتي، وإنهما تأخرا عن القرن الأول غير مختلفين عن منازلهما بلزوم السنة وضبط الأثر، أقد حفظت؟ فقلت: نعم، فغدوت إلى ابن حنبل فأخبرته، فقال: وددت أني رأيت ما رأيت، وليس لي قوت يومي، هذا والله رأيي فيهما.

هو بازيك الذي صدت

قال ابن القاسم: رأيت بالإسكندرية كأني صدت بازيًا ـ طائر ـ ففضته فإذا جوفه مملوء جوهرًا فعبرت رؤياي على زيد بن شعيب، فقال لي: لعلك حدثت نفسك بشيء من طلب العلم؟ قلت: هو كذلك، قال: فمن ذكرت؟ قلت: مالك، قال: هو بازيك الذي صدت، والباز هو سيد الطير والجوهر الذي وجدت في جوفه هو العلم الذي تسأل عنه.

فقيل لي: هذا مالك

قال عمار بن يزيد بن الخشاب: رأيت كأني دخلت مدينة اختلطت على أزقتها فصرت لقوم، فقام إليَّ شيخ فأخذ بيدي حتى أخرجني إلى طريق واسع واضحة وقال: خذ عليها، فسألت عنه فقيل لي: هذا مالك.

ألا إن الحق في قول مالك لا يتعداه

قال ابن اللباد: وبلغني أيضًا أن رجلاً أعرفه كان ينتحل مذهب أبي حنيفة رأى في نومه النبي ﷺ فسلم عليه وصافحه، وقال: فأردت معانقته فأعرض عني، فقلت في نفسي: ما أراه إلا لاستحلالي النبيذ ـ فقال قائل: وددنا لو

سألناه ما تنتحل؟ ـ فقال عليه الصلاة والسلام: ألا أن الحق في قول مالك، ما يتعداه، فصار الرجل إلى مذهب مالك وترك مذهبه.

فاتق الله في هذه الأمة

وروي أن مالكًا قال لابن هرمز: رأيت كأني أنظر في مرآة، فقال ابن هرمز: من رأى هذا فهو ينظر في أمر دينه، ثم قال: يا مالك أنت اليوم مُمَلَّك فاتق الله في هذه الأمة إن كنت لها مالكًا.

لا تخبرني فقد رأيت مثل ما رأيت

قال العامري: بينما أنا في المسجد وهو غاص بأهله، وإذا أنا برسول الله ﷺ قد خرج من قبره، وبيده قارورة مسك فوقف ثم قال: أيكم مالك؟ فقال مالك: ها أنا ذا بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه، وناوله القارورة، فاقسم بين الناس، فجاء العامري يخبر بها مالكًا، فقال له مالك: لا تخبرني فقد رأيت مثل ما رأيت.

ولم لا تقوم وقد مات عالم الآفاق!!

قال إبراهيم بن أبي يحيى: نمت فرأيت الشمس قد كسفت وقد علت الأرض ظلمة حتى إن الناس لا ينظر بعضهم إلى بعض، فقلت لرجل بجنبي: أقامت القيامة؟ فقال: ولم لا تقوم وقد مات عالم الآفاق!! قلت: ومن هو؟ قال: مالك، فانتبهت وفزعت فإذا أنا به قد مات.

يا رسول الله من نسأل بعدك؟

قال ابن مزاحم: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق

قال ابن القاسم: بينما أنا نائم، أتاني آت فقال لي: إذا أردت العلم فعليك بعالم الآفاق فقلت: من هو؟ فقال لي: هذا الشيخ انظر إليه، فنظرت إليه فإذا شيخ أشقر طويل حسن اللحية فاستيقظت وقد مضى أكثر شوال فتوجهت إلى مكة وحججت فلما أتيت المدينة اغتسلت ودخلت مسجد النبي ﷺ فنظرت فإذا بالصفة التي في النوم، وإذا هو مالك، فعرفت أنه هو الذي قيل لي فيه عالم الآفاق، فلزمته.

وإذا رجل يرمي ويصيب

ورأى بعضهم أن الناس اجتمعوا في جبانة الإسكندرية يرمون غرضًا كلهم تخطاه، وإذا رجل يرمي ويصيب، قال: فقلت: من هذا؟ قيل: مالك بن أنس.

خلف مالك خمسمائة زوج من النعل

قال محمد بن عيسى بن خلف: خلف مالك خمسمائة زوج من النعل، وقد اشتهى يومًا كساء قومسيًا فما بات إلا وعنده منه سبعة بُعثت إليه[١].

---

(١) القاضي عياض «ترتيب المدارك» (جـ١، ص: ١٤٠) وما بعدها.

ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك

قال أبو داود: ضرب جعفر بين سليمان مالك بن أنس في طلاق المكره ولما ضرب حلق وحمل على بعير، فقيل له: ناد على نفسك فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول: إن طلاق المكره ليس بشيء، فبلغ ذلك جعفر بن سليمان فقال: أدركوه أنزلوه.

مالك بن انس

قال إسماعيل بن مزاحم المروزي - وكان من أصحاب ابن المبارك من العباد -: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس.

فاولت ذلك العلم واتباع السنة

قال أبو عبد الله مولى الليثين - وكان من المختارين -: رأيت رسول الله ﷺ في المسجد قاعداً والناس حوله، ومالك قائم بين يديه، وبين يدي رسول الله ﷺ مسك، وهو يأخذ منه قبضة قبضة فيدفعها إلى مالك ومالك ينشرها على الناس، قال مطرف: فأولت ذلك العلم واتباع السنة.

يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء

قال ابن وهب: سئل مالك عن الرجل يدعو يقول: يا سيدي؟ فقال: يعجبني أن يدعو بدعاء الأنبياء: ربنا . . ربنا.

كأنهم من الفقه أنبياء

قال مالك بن أنس: قال عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ: تأتي أمة محمد ﷺ علماء حكماء كأنهم من الفقه أنبياء، قال مالك: أراهم صدر هذه الأمة وحق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية والعلم حسن لمن رزق خيره، وهو قسم من الله تعالى فلا تمكن الناس من نفسك فإن من سعادة المرء أن يوفق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذل وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه(١).

إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون

قال مالك بن أنس: بلغني أن مالك قال لابنه: يا بني إن الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم في الآخرة سراع يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن دارًا تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها.

ما ترك على الأرض مثله

قال القعنبي: أتينا سفيان بن عيينة فرأيته حزينًا، فقيل: بلغه موت مالك بن أنس ﷺ، ثم قال سفيان: ما ترك على الأرض مثله.

---

(١) «الحلية» (جـ٦، ص: ٣٢٠).

ما شاء الله يا هذا!

قال عبد الرحمن بن مهـدي: رأيت رجلاً جاء إلى مالك بن أنس يسأله عن شيء أيامًا ما يجيبه، فقال: يا أبا عبد الله إني أريد الخروج! قال: فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال: ما شـاء الله يا هذا! إني إنما أتكلم فيما أحتسب فـيه الخير، وليس أحسن مسألتك هذه.

أرأيت؟

قال أحمد بن سعيد الدارمي: جاء رجل إلى مالك وسأله عن مسألة، قال: قال رسـول الله ﷺ كذا، فـقال الرجل: أرأيت؟ قـال مالك: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

الإمام مالك ومن تنقص أصحاب الرسول ﷺ

قال مالك بن أنس: من تنقص من أصـحاب رسول الله ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ (الحشر: ٧) حتى أتى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ (الحشر: ١٠)، الآية، فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق[١].

(١) «الحلية» (جـ٦، ص: ٣٢١-٣٢٧).

أصحاب النبي ﷺ وحواري عيسى عليه السلام

قال مالك بن أنس: كان راهبًا بالشام، فلما رأى أوائل أصحاب النبي ﷺ الذين قدموا الشام ونظر إليهم، قال: والذي نفسي بيده ما بلغ حواري عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ الذين صلبوا على الخشب ونشروا بالمناشير من الاجتهاد ما بلغ أصحاب محمد ﷺ ، قال عبد الله بن وهب: قلت لمالك بن أنس: تسميهم؟ فسمى أبا عبيدة ومعاذًا وبلالاً وسعد بن عبادة.

أقبر الصديق تريدون؟!

قال عبد الله بن وهب: سمعت مالكًا يقول: لما قدم صالح بن علي الشام سأل عن قبر عمر بن عبد العزيز فلم يجد أحدًا يخبره حتى دل على راهب، فأتى فسئل عنه فقال: أقبر الصديق تريدون؟! هو في تلك المزرعة.

فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية

قال مالك بن أنس: بلغني أن عيسى عليه السلام كان يقول: لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، ولكن انظروا فيها كأنكم عبيد، فإنما الناس رجلان، مبتلى ومعافى، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية.

ما بلغ بك ما نرى؟!

قال مالك بن أنس: بلغني أن لقمان الحكيم قيل له: ما بلغ بك ما نرى؟! قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وتركي ما لا يعنيني.

واحذر خليلك

قال مالك بن أنس: حدثني من أرضى أن عمر بن الخطاب أوصى رجلاً فقال: لا تعترض فيما لا يعنيك، واجتنب عدوك، واحذر خليلك، ولا أمير من القوم إلا من خشى الله، والأمين من القوم لا تعدل به شيئًا، ولا تصحبن فاجرًا كي تعلم فجوره، ولا تفش إليه سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله[1].

والله لأدخلن الجنة!

قال إسماعيل بن أبي أويس: حدثنا مالك أن امرأة كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ و رضي الله عنها ومعها نسوة فقالت امرأة منهن: والله لأدخلن الجنة، لقد أسلمت وما زنيت وما سرقت، فأتيت في المنام فقيل لها: أنت المتألية لتدخلن الجنة؟! كيف وأنت تبخلين بم لا يغنيك، وتكلمين فيما لا يعنيك؟ قال: فلما أصبحت المرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخبرتها بما رأت، فقالت: اجمعي النسوة اللاتي كن عندك حين قلت ما قلت، فأرسلت إليهن فجئن فحدثتهن بما رأت في المنام.

(١) «الحلية» (جـ٦، ص:٣٢٨-٣٢٩).

لا فقهتم أبدًا

قال أبو خليد: أقمت على مالك فقرأت الموطأ في أربعة أيام فقال مالك: علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام؟ لا فقهتم أبدًا.

يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبة

قال محمد بن الحسن: كنت عند مالك فنظر إلى أصحابه فقال: انظروا أهل المشرق، فأنزلوهم بمنزلة أهل الكتاب إذا حدثوكم، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، ثم التفت فرآني، فكأنه استحيى، فقال: يا أبا عبد الله أكره أن تكون غيبة، هكذا أدركت أصحابنا يقولون.

أتقرنني بمالك؟

قال يونس: سمعت سفيان بن عيينة ـ وذكر حديثًا ـ فقالوا: يخالفك فيه مالك، فقال: أتقرنني بمالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير:

وابن اللَّبُون إذا ما لُزَّ قَرَنٍ ⁂ لم يستطع صَوْلَة البُزل القناعيس[1]



(١) **ابن اللبون**: ما أوفى على ثلاث سنين، **لز**: ربط، **القرن**: الحبل الذي يشد به البعيران ونحوهما فيقرنان معًا، والبزل جمع بازل؛ البعير الذي دخل في السنة التاسعة، **والقناعيس**: جمع قنعاس؛ الجمل العظيم الجسم الشديد القوة، ضربه مثلاً لمن يعارضه ويهاجيه، يقوم: من رام ادراكي كان بمنزلة ابن اللبون إذا قرن في قرن مع البازل القناعيس إن صال عليه لم يقدر على دفع صولته ومقاومته وإن رام النهوض معه قصر عن عدوته.

من أين علموا ذلك؟

قال ابن وهب: سمعت مالكًا وقال له ابن القاسم: ليس بعد أهل المدينة أعلم بالبيوع من أهل مصر، فقال مالك: من أين علموا ذلك؟ قال: منك يا أبا عبد الله، فقال: ما أعلمها أنا فكيف يعلمونها بي؟

ارجع إلى مجلسك

قال مالك: لما أجمعت التحويل من مجلس ربيعة جلست أنا وسليمان بن بلال في ناحية المسجد، فلما قام ربيعة عَدل إلينا، فقال: يا مالك تلعب بنفسك وترقص، وصفق لك سليمان، بلغت أن تتخذ مجلسًا لنفسك؟! ارجع إلى مجلسك.

إليَّ إليَّ

قال الدراوردي: دخلت ـ أي: في رؤيا منامية ـ مسجد النبي ﷺ فوافيته يخطب، إذ أقبل مالك، فلما أبصره النبي ﷺ قال: إليَّ إليَّ فأقبل حتى دنا منه، فسل ﷺ خاتمه من خنصره فوضعه في خنصر مالك[1].

حسنٌ جميل

قال ابن وهب: قيل لمالك: ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، ولكن انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه.

---

(١) «السير» (جـ٨، ص:٧٨).

احذر أن أشهد عليك

قال معن: انصرف مالك يومًا فلحقه رجل يقال له: أبو الجويرية، متهم بالزندقة، فقال: اسمع مني، قال: احذر أن أشهد عليك، قال: والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صوابًا فقُل به أو فتكلم، قال: فإن غلبتني، قال: اتبعني، قال: فإن غلبتك، قال: اتبعتك، قال: فإن جاء رجل فكلمنا فغلبنا؟ قال: اتبعناه، فقال مالك: يا هذا إن الله بعث محمدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل.

فلا يكاد يأتيه أحد

قال مالك: كنت آتي نافعًا وأنا غلام حديث السن، مع غلام لي، فينزل من دَرَجه، فيقف معي ويحدثني، وكان يجلس بعد الصبح في المسجد فلا يكاد يأتيه أحد.

ولا يقال له: من أين قلت ذا؟

قال أبو مصعب: كانوا يزدحمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزحام، وكنا إذا كنا عنده لا يلتفت ذا إلى ذا، قائلون برؤوسهم هكذا، وكانت السلاطين تهابه، وكان يقول: لا، ونعم، ولا يقال له: من أين قلت ذا؟

يا مالك كثر شيبك

قال موسى بن داود: سمعت مالكًا يقول: قدم علينا أبو جعفر المنصور سنة خمسين ومئة، فقال: يا مالك كثر شيبك! قلت: نعم يا أمير المؤمنين، من أتت عليه السنون كثر شيبه، قال: مالي أراك تعتمد على قول ابن عمر من بين

الصحـابة؟ قلت: كان آخـر من بقى عندنا من الصحـابـة، فاحتـاج إليه الناس فسألوه فتمسكوا بقوله.

وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر

كتب عـبد الله العمري إلى مـالك يحضه على الانفراد والعـمل فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فَرُبَّ رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له الصوم، وآخر فتح له في الجهـاد؛ فَنَشْرُ العلم من أفـضل الأعمال من البـر، وقد رضـيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

حسبنا الله ونعم الوكيل

قال مطرف: كان خاتم مالك الذي مات وهو في يده فصه حجر أسود نقشه سطران فيهمـا: حسبنا الله ونعم الوكيل، بكتاب جليل، وكـان يلبسه في يساره وربما خـرج علينا وهو في يميـنه لا نشك أنه إذا توضـأ حـوله في يمينه، وسـأله مطرف عن اختياره لما نقش فيـه فقال: سمعت الله يقول: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)، قال مطرف: فحولت خاتمي كذلك، والله أعلم.

دار ابن مسعود ومكان عمر بن الخطاب

قال ابن المنذر: وكـانت دار بن أنس التي كان ينزل بها بالمدينة دار عـبد الله ابن مسـعود، وكان مكانه في المسـجد مكان عمـر بن الخطاب وهو المكان الذي يوضع فيه فراش رسول الله ﷺ في المسجد إذا اعتكف.

في ذلك مرضاة لربك

*

وقالوا: كان مالك من أحسن الناس خُلقا مع أهله وولده، ويقول: في ذلك مرضاة لربك ومثراة في مالك ومنسأة في أجلك، وقد بلغني ذلك عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

فانظروا عمن تأخذونه

*

قال ابن أويس: سمعت مالكًا يقول: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول: قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيء، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينًا إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن.

يرحم الله مالكًا

*

وجاء نعي مالك إلى حماد بن زيد، فبكى حتى جعل يمسح عينيه بخرقة، وقال: يرحم الله مالكًا، لقد كان من الدين بمكان، لقد رأيت رأيه يتذاكر في مجلس أيوب، اللهم أحسن علينا الخلافة بعده.

أمير المؤمنين في الحديث

*

وقال علي بن المديني: ما أقدِّم على مالك أحدًا في الحديث، ومالك أمير المؤمنين في الحديث، وقال لي: إني أحدثك عمن لم تر عيناك، وفي رواية:

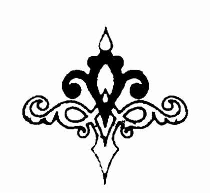
عينان مثله، وقال: لولا أن يبعث الله في الإسلام في كل زمان مثل مالك وشعبة والأوزاعي لكانوا قد أدخلوا في حديث رسول الله ﷺ ما ليس فيه.

مالك والثوري

قال سعيد بن منصور: رأيت مالكًا يطوف وخلفه سفيان الثوري يتعلم منه كما يتعلم الصبي من معلمه، كلما فعل مالك شيئًا، فعله سفيان يقتدي به، وقال ابن عيينة: ما نحن ومالك؟ إنما كنا نتبع آثار مالك، فإن أخذ عن الشيخ أخذنا عنه.

لا يضحي بالليل

قال بعضهم: كنت عند ابن عيينة فسأل رجل عن الضحية بالليل فقال سفيان: لا بأس بها، فقلت له: ابن وهب روى عن مالك أنه لا يضحي بالليل، وقرأ: ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج:٢٨)، فصاح ابن عيينة بالرجل السائل وقال له: إن هذا أخبرني عن ابن وهب عن مالك أنه لا يضحي بالليل.



ثالثًا ـ من قصص الإمام الشافعي

قصة كراهية الشافعي للإجازة

قال الربيع بن سليمان ـ رحمه الله ـ هَمَّ الشافعي بالخروج ـ يعني من مصر ـ وكان قد بقي عليَّ من كتاب البيوع شيء فقلت للشافعي: أجزه لي، فقال: ما قرئ عليَّ، فأعدت عليه بعد ذلك، فأعاد مثل ما قال أولاً، وما زادني على ذلك، ثم مَنَّ الله علينا به فأقام عندنا بعد ذلك مدة، فسمعنا بعد ذلك وتوفي عندنا، يعني أنه كره الإجازة.

رأيت النبي ﷺ في المنام

قال أبو عبد الله الحسين الحليمي: رأيت النبي ﷺ في المنام ببخارى كأنه في صحراء على ربوة من الأرض وبين يديه الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين وكل واحد منهم على يسار صاحبه دونه وأنا دونهم فقال لي رسول الله ﷺ: هذه الأحاديث التي في كتاب الشافعي وهو يرويها عني يجب أن تأخذها لفظًا بعد لفظ[1].

قصة الشافعي مع سرح الغول

قال الربيع بن سليمان: كان بمصر رجل يقال له: «سرح الغول» كان إذا قال إنسان قصيدة عرضها عليه ليصلحها له.

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ٣٥-٤٠).

قال: وكان الشافعي يقول: ادعوا لي سرحًا، ولا يقول الغول، فناظره الشافعي فأسمعه يقول ـ يعني سرحًا ـ: نحن والله نحتاج نستقبل طلب العلم من اليوم.

آمنت بالذي فوهك هذا العلم

قال الربيع بن سليمان: كنت يومًا عند الشافعي فجاءه رجل فقال: أيها العالم ما تقول في حالفٍ حلف: إن كان في كمي دراهم أكثر من ثلاثة فعبدي حر؟! وكان في كمه أربعة دراهم!! فقال الشافعي: لم يعتق عبده، قال: لِمَ؟ قال: لأنه استثنى من جملة ما في كمه دراهم، والدرهم لا يكون دراهم، فقال: آمنت بالذي فوهك هذا العلم[1].

وحسادي ذوو عدد

قال المزني: حضرت الشافعي وقيل له: إن فلانًا يقول: الشافعي ليس بفقيه فضحك وأنشأ يقول:

إنني نشأت وحسادي ذوو عددٍ ⁂ رب المعارج لا تفني لهم عدد

فكانوا يتهادونه بالبصرة

مات ابن لعبد الرحمن بن مهدي، فجزع عليه جزعًا شديدًا حتى امتنع عن الطعام والشراب، فبلغ ذلك الشافعي فكتب إليه:

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ٦٢).

إني معزيك لا أني على طمع ❊❊❊ من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزَّي بباق بعد صاحبه ❊❊❊ ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

قصة الاشتغال بالعلم

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: سئل بعض السلف: ما بلغ من اشتغالك بالعلم؟ فقال: هو سلوتي إذا اهتممت ولذتي إذا سلوت[١].

فهو طلاق

قال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: إذا قال الرجل لامرأته: اشربي أو كلي أو ذوقي، وقال: أردت طلاق فهو طلاق، والعرب تقول: اشرب الشيء، تريد به المكروه، ألا تسمع إلى قول الشاعر:

اشرب بكأس كنت تسقي بها ❊❊❊ أمرّ في فيك من العلقم

قصة شكر الشافعي

قال سليمان بن الربيع: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: إن فلانًا صديقك عليل، فقال له الشافعي: لقد اتخذت عندي يدًا وأحسنت إليَّ حيث أيقظتني لمكرمة ودللتني على أفضالٍ ودفعت عني اعتذارًا يشوبه بعض الكذب ثم قال: يا غلام: نعلي فالمشي على الحفا علة الوجا في حر الرمضا إلى ذي طوى، أيسر من اعتذار إلى صديقك ربما لا يعذرك فيه، وربما يشوبه شيء من الكذب وإن قل[٢].

(١) «المناقب» (جـ٢، ص:١٠١).
(٢) «المناقب» (جـ٢، ص:١٠٣).

ألا نأتيك بطبيب؟!

قال المزني: مرض الشافعي رضي الله عنه فدخلنا عليه نعوده فقال له بعض من حضر: ألا نأتيك بطبيب؟ قال: بلى، قال: فأتيناه بطبيب فأخذ يجس الشافعي فوجد الشافعي العلة في جسم الطبيب والطبيب لا يعلم، فأطرق الشافعي وأنشد:

جاء الطبيب يجسني فجسسته *** فإذا الطبيب لما به من حال
وغدا يعالجني بطول سقامه *** ومن العجائب أعمش كحَّال

فلا تسكنها

وقال الربيع بن سليمان: قال الشافعي: إذا دخلت بلدة لا تجد فيها حاكمًا عدلاً ولا ماءً جاريًا وطبيبًا رفيقًا فلا تسكنها.

هذا بيت القصيد

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: قال لي الرشيد: يا محمد بلغني أنك تُباكر الغداء؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ولِمَ ذاك؟ قلت: يا أمير المؤمنين لأربع خصال، قال: وما هي؟ قلت: برد الماء وطيب الهواء وقلة الذباب، ثم رحمي نفسي من موائد غيري، قال الرشيد: هذا بيت القصيد.

فأبصر

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: كان لي غلام أعشى لم يكن يبصر باب الدار، فأخذت له زيادة الكبد فكحلته بها فأبصر[١].

عمن هذا؟!

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان بن عيينة: لم يعط أحد في الدنيا شيئًا أفضل من النبوة ولم يعط بعد النبوة شيء أفضل من طلب العلم والفقه، ولم يعط في الآخرة أفضل من الرحمة، فقيل له: يا أبا محمد عمن هذا؟ فقال: عن الفقهاء كلهم.

أدب التخلل

قال ابن شريح: سمعت الشافعي يقول: ما تخلل الإنسان بالخلال من بين أسنانه فليقذفه، وما أخرجه بأصابعه فليأكله.

تركته لله فرزقني بعد ذلك

عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: سمعت الشافعي يقول: بقيت ست عشرة سنة، ما كان طعامي إلا رخفًا وتمرًا آكل منه بقدر ما يقوم به جسدي، فقيل له: ما الذي أردت به يا أبا عبد الله؟ قال: أردت الحفظ للعلم والفقه، تركته لله فرزقني بعد ذلك.

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١١٥-١٢٢).

العلم قبل الرئاسة

قال أحمد بن صالح: قالت لي الشافعي: يا أبا جعفر، تعبَّد من قبل أن ترأس، فإذا ترأست فلم تقدر تعبد[١].

قصة الحكيم والذنوب

روى يونس بن عبد الأعلى، فقال: سمعت الشافعي يقول: كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي.. لقد أوتيت علمًا فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب، فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم[٢].

قصة الحسد والحسود

روى يحيى بن زكريا بن محمد بن إدريس الشافعي ـ رحمه الله ـ قال: بلغني أن عبد الملك بن مروان قال للحجاج بن يوسف: ما من أحد إلا وهو عارف بعيوب نفسه، فعب نفسك ولا تخبأ منها شيئًا، فقال: يا أمير المؤمنين، هو لجوج حقود حسود، فقال له عبد الملك: إذًا بينك وبين الشيطان نسب!! فقال: يا أمير المؤمنين إن الشيطان إذا رآني سالمني، قال: ثم قال الشافعي: الحسد إنما يكون من لؤم العنصر، وتعادي الطبائع، واختلاف التركيب، وفساد مزاج البنية، وضعف عقد العقل، الحاسد طويل الحسرات عادم الدرجات[٣].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٠-١٤٢).

(٢) «الحلية» (٩/ ١٤٦).

(٣) السابق (٩/ ١٤٧).

قصة شهوة الشافعي للعلم

قال المزني: قيل لمحمد بن إدريس الشافعي: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه ما لم أسمعه فتود أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به مثل ما تنعمت الأذنان.

قصة الحمقى عند الشافعي

قال الربيع بن سليمان: قال لي الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة، وقد ضاق خلقه: يا محمد، يأتيك قوم من أقطار الأرض فتضيق عليهم؟! يوشك أن يذهبوا ويتركوك؟! قال: هم إذًا حمقى مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي[1].

قصة الشافعي مع الملحين

قال الربيع بن سليمان: ألحَّ علي الشافعي ـ رحمه الله ـ قوم من أصحاب الحديث، فقال: لا تكلفوني أن أقول لكم ما قال محمد بن سيرين لرجل ألح عليه:

إنك إن كلفتني ما لم أطق ✲✲✲ ساءك ما سرك مني من خلق

قصة الشافعي وحكاية الأعمش

روى يونس بن عبد الأعلى فقال: سمعت الشافعي يقول: كان يختلف إلى الأعمش رجلان: أحدهما كان الحديث من شأنه، والآخر لم يكن الحديث من شأنه، فغضب الأعمش يومًا على الذي من شأنه الحديث، فقال الآخر: لو

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٣).

غضب علـيَّ كما غـضب عليك لم أعـد إليه، فـقال الأعمش: إذًا هـو أحمق مثلك، يترك ما ينفعه لسوء خلقي[(١)].

أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي

قال الشافعي: كانت نهـمتي في شيئين: في الرمي وفي طلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من العشـرة عشرة، وسكتَ عن العلم، فقيل: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي[(٢)].

أنت تحب أن تكون قاضيًا

قال الـشافعي: أتـيت مالكًا وأنا ابن ثلاث عـشرة سنة، فـأتيت ابن عم لي والى المدينة، فكلم مـالكًا فقال: اطلُبْ من يقـرأ لك، قلت: أنا أقرأ، فـقرأت عليه، فكان ربما قال لي لشيء قـد مر: أعِدْهُ، فأعيده حفظًـا، فكأن أعجبهُ، ثم سألته عن مسألة، فأجابني ثم أخرى، فقال: أنت تحب أن تكون قاضيًا[(٣)].

نظرت في دفتي المصحف فعرفت مراد الله

قال الشافعي: نظرت في دفتي المصحف فعرفت مراد الله تعالى إلا في حرفين، واحد منهما في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ١٠)، فإني لم أجده[(٤)].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٤٥-١٤٦).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ٧٧)، «السير» (جـ١٠، ص: ١١).

(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ١٢)، «مناقب الشافعي» (ص: ٩-١٠).

(٤) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٤)، «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص: ٦٣).

والله آن لك أن تفتي

قال الحميدي: سمعتُ مسلم بن خالد الزنجي يقول للشافعي: أفْتِ يا أبا عبد الله، فقد والله آن لك أن تفتي ـ وهو ابن خمس عشرة سنة ـ.

ما رأيت أعقل من الشافعي

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق على مسألة[1].

رأت كأن المشترى خرج من فرجها

قال ابن عبد الحكم: لما حملت والدة الشافعي به، رأت كأن المشترى خرج من فرجها، حتى انقضَّ بمصر، ثم وقع في كل بلدةٍ منه شظية، فتأوله المعبِّرون أنها تلد عالمًا، يخص علمه أهل مصر، ثم يتفرق في البلدان[2].

لا تشتغل بهذا وأقبل على ما ينفعك

قال الشافعي: ولدت باليمن ـ يعني القبيلة لأن أمه أزدية ـ قال: فخافت أمي عليَّ الضيعة، وقالت: الحق بأهلك فتكون مثلهم، فإني أخاف عليك أن تغلب على نسبك، فجهزتني إلى مكة، فقدمتُها يومئذ وأنا ابن عشر سنين،

---

(١) «السير» (جـ١، ص:١٦).
(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ١٠)، و«تاريخ بغداد» (جـ٢، ص:٥٨).



فصرت إلى نسيب لي، وجعلت أطلب العلم فيقول لي: لا تشتغل بهذا، وأقبل على ما ينفعك، فجُعلت لذتي في العلم[1].

وكنت أصيب من العشرة تسعة

قال الربيع المؤذن: سمعت الشافعي يقول: كنت ألزم الرمي حتى كان الطبيب يقول لي: أخاف أن يصيبك السل من كثرة وقوفك في الحر، قال: وكنت أصيب من العشرة تسعة[2].

كنت يتيما في حجر أمي

قال الحميدي: قال الشافعي: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضى مني أخلفه إذا قام، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا أجرة قديمة، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة[3].

أيهما أعلم

قال عبد الله الصافاني: سألت يحيى بن أكتم عن أبي عبيد والشافعي أيهما أعلم؟ قال: كان أبو عبيد يأتينا هاهنا كثيرًا، وكان رجلاً إذا ساعدته الكتب كان

(١) «مناقب الشافعي» (ص:٧٣)، «السير» (جـ١٠، ص:١٠).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص:١١)، «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص:٦٠).

(٣) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص:٧٣)، «السير» (جـ١٠، ص:١١).

حسن التصنيف من الكتب، وكان يرتبها بحسن ألفاظه لاقتداره على العربية، وأما الشافعي فقد كان عند محمد بن الحسن كثيرًا في المناظرة، وكان رجلاً قرشي العقل والفهم والذهن، صافي العقل والفهم والدماغ، سريع الإصابة، ولو كان أكثر سماعًا للحديث لاستغنى أمة محمد ﷺ به عن غيره من الفقهاء(١).

سلوا هذا

قال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي: سمعت أبي وعمي يقولان: كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا، ألتفت إلى الشافعي، فيقول: سلوا هذا(٢).

إن كان مات فقد مات أفضل أهل زمانه

قال تميم بن عبد الله: سمعت سويد بن سعيد يقول: كنت عند سفيان بن عيينة، فجاء الشافعي، فسلم وجلس، فروى ابن عيينة حديثًا رقيقًا فغشي على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمد بن إدريس، فقال ابن عيينة: إن كان مات، فقد مات أفضل أهل زمانه(٣).

أفٍّ أفٍّ .. القرآن كلام الله

قال الربيع: سمعت الشافعي وسُئل عن القرآن؟ فقال: أفٍّ أفٍّ .. القرآن كلام الله، من قال: مخلوق فقد كفر(٤).

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:١٧).
(٢) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص:٢٤٠).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص:١٧-١٨)، «الحلية» (جـ٩، ص:٩٥).
(٤) «السير» (جـ١٠، ص:١٨).

مناظرة حفص الفرد

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي بعد أن ناظر حفصًا الفرد يكره الكلام وكان يقول: والله لأن يُفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم خيرٌ له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إليَّ من الكلام وأهله[1].

الشافعي والحانث

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة، لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة وبالصفا والمروة، فليس عليه كفارة لأنه مخلوق، وذاك غير مخلوق[2].

لو رأيته يطير في الهواء لما قبلته

قال يونس: قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته، قال: قصَّر لو رأيته يطير في الهواء لما قبلته[3].

قصة الإمام مالك مع ابن علية

قال عبد الله بن صالح: كنا عند الشافعي في مجلسه، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ، فكتبناه وذهبنا به إلى إبراهيم بن عُلَيَّة وكان

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ١٩).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١١٣).

(٣) «المناقب» للبيهقي (جـ١، ص: ٤٥٣).



من غلمان أبي بكر الأصم المعتزلي وكان في مجلسه عند باب الصوفي، فلما قرأنا عليه جعل يحتج بإبطاله، فكتبنا ما قال، وذهبنا به إلى الشافعي فنقضه، وتكلم بإبطاله، ثم كتبناه وجئنا به إلى ابن علية فنقضه ثم جئنا إلى الشافعي فقال: إن ابن علية ضال قد جلس بباب الضوال يضل الناس[(١)].

ومن لم يَصُن نفسه لم ينفعه علمه

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يَصُنْ نفسه لم ينفعه علمه[(٢)].

ما أريد إلا نصيحتك

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: كل حديث جاء من العراق، وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله، وإن كان صحيحًا، ما أريد إلا نصيحتك.

قصة الإمام مالك مع شبيه فرعون

قال المزني: كنت أنظر في علم الكلام قبل أن يقدم الشافعي، فلما قدم أتيته فسألته عن مسألة في الكلام، فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم، في مسجد الفُسطاط، قال لي: أنت في تاران ـ وهي مكان غرق فيه فرعون وقومه ـ ثم ألقى

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٢٣-٢٤).

(٢) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص:٢٨٢).



علي مسألة في الفقه، فـأجبت، فأدخل شيئًا أفسد جـوابي، فأجبت بغير ذلك، فأدخل شيئًـا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجـبت بشيء أفسده، ثم قال لي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي فيه الزلل كثير؟ فتركت الكلام وأقبلت على الفقه[1].

الإمام مالك مع التوحيد والكلام

سئل مـالك عن الكلام والتوحيـد فقال: محـال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»**[2]، فما عُصم به الدم والمال حقيقة التوحيد[3].

لا يفلح

قال حسين بن علي الكرابـيسي: شهدت الشافعي ودخـل عليه بشر المريسي فقـال لبشر: أخـبرني عما تدعـو إليه، أكتـاب ناطق، وفرض مفـترض، وسنة قائمـة، ووجدت عن السلف البـحث فيه والسـؤال؟ فقـال بشر: لا، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال الشـافعي، أقررت بنفسك على الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخـبار، يواليك الناس وتترك هذا؟ قـال: لنا نَهْمَةٌ فيـه، فلما خرج بشر، قال الشافعي: لا يُفلح[4].

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٢٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) «السير» (جـ١٠، ص:٢٦).

(٤) «المناقب» للبيهقي (جـ١، ص:٢٠٤).

المزني والشافعي

قال المزني: سألت الشافعي عن مسألة من الكلام، فقال: سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت: أخطأت، ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت: كفرت(١).

فإن خصمك النبي ﷺ غداً

قال الربيع: قال الشافعي: يا ربيع اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ؛ فإن خصمك رسول الله ﷺ غداً، ولا تشتغل بالكلام؛ فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم(٢).

حكمي في أهل الكلام

قال الزعفراني: سمعنا الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم على العشائر يُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام(٣).

فاستدل بالمخلوق على الخالق

قال المزني: قلت: إن كان أحد يُخرج ما في ضميري، وما تعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين

---

(١)، (٢) «السير» (جـ١٠، ص:٢٨).

(٣) «مناقب الشافعي» للبيهقي.

يديه قلت: هجس في ضميري مسألة فـي التوحيد، فعلمت أن أحدًا لا علم له كعلمـك، فما الذي عندك؟ فـغضب، ثم قـال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغـرق الله فيه فرعون، أبلـغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قـال: هل تكلم فيه الصحـابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجـمًا في السـماء؟ قلت: لا، قـال: فكوكب منهـا: تعرف جنسـه، طلوعـه، أفـوله، مم خلق؟ قلت: لا، قـال: فكوكب منهـا: تعـرف جنسـه، طلوعه، مم خـلق؟ قلت: لا، قال: فشيء تراه بـعينك من الخلق لست تعـرفه تتكلم في علم خـالقه؟! ثم سـألني عن مسـألة في الوضوء، فـأخطأت فيـها، ففرعـها على أربعة أوجـه فلم أصب في شيء منه، فقال: شيء تحتـاج إليه في اليوم خـمس مرات، تدع علمـه، وتتكلف علم الخـالق إذا هجس في ضميرك ذلك فـارجـع إلى الله وإلى قولـه تعـالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة:١٦٣)، فاستدل بالمخلوق على الخـالق ولا تتكلف علم ما لم يبلُغْهُ عقلك، قال: فتبت[١].

إن رأيتني خرجت من الكنيسة

قال الحمـيدي: كنت بمصر وحدث الشافـعي بحديث عن رسول الله ﷺ فقال له رجل: يا أبا عبد الله أنأخذ بهـذا؟ فقال: إن رأيتني خرجت من الكنيسة أو ترى عليَّ زنارًا ـ زيَّ اليهود ـ؟ إذا ثـبت عندي عن رسول الله ﷺ حديث قلت به وقوَّلتـه إياه ولم أزل عنه، وإن هو لم يثبت عنـدي لم أقوِّله إياه، أترى علي زنارًا حتى لا أقول به؟![٢].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٣٢).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٦).

وكأنما جُمع له الرجاء والرهبة جميعًا

قال الكرابيسي: بتُّ ليلة مع الشافعي، فكان يصلي نحو ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمئة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله، ولا بآية عذاب إلا تعوذ، وكأنما جمع له الرجاء والرهبة جميعًا(١).

إفلاسات الشافعي

قال عمرو بن سواد: كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام، وقال لي الشافعي: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات؛ فكنت أبيع قليلي وكثيري حتى حُلي بنتي وزوجتي ولم أرهن قط(٢).

قصة الشافعي مع الرامي

قال المزني: كنت مع الشافعي يومًا فخرجنا الأكوام فمرَّ بهدفٍ فإذا برجل يرمي بقوسٍ عربيةٍ، فوقف عليه الشافعي ينظر وكان حسن الرمي، فأصاب بأسهم، فقال الشافعي: أحسنت، وبرَّك عليه، ثم قال: أعطه ثلاث دنانير واعذرني عنده(٣).

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٣٥).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٢).

(٣) «السير» (ج١٠، ص: ٣٧).

قصة الشافعي مع الحذائين

قال الربيع: كان الشافعي ماراً بالحذائين، فسقط سوطه فوثب غلام ومسحه بكُمه وناوله، فأعطاه سبعة دنانير[١].

قصة الإمام مالك مع البقال



قال الربيع: كان بالشافعي هذه البواسير، وكانت له لِبْدَة محشية بحُلْبَة يجلس عليها فإذا ركب أخذت تلك اللبدة ومشيت خلفه، فناوله إنسان رقعة يقول فيها: إنني بقال رأس مالي درهم وقد تزوجت فأعني، فقال: يا ربيع أعطه ثلاثين ديناراً واعذرني عنده، فقلت: أصلحك الله، إن هذا يكفيه عشرة دراهم فقال: ويحك! وما يصنع بثلاثين؟ أفي كذا، أم في كذا - يعدُّ ما يصنع في جهازه - أعطه[٢].

ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مئة دينار

قال الشافعي: خرج هرثمة، فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون الرشيد وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار، قال: فحمل إليه المال فدعا بحجام فأخذ شعره فأعطاه خمسين ديناراً، ثم أخذ رقاعاً فصر صرراً وفرقها في القرشيين الذين هم بالحضرة ومن بمكة، حتى ما رجع إلى بيته بأقل من مئة دينار[٣].

---

(١) «المناقب» للبيهقي (جـ٢، ص:٢٢١).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص:٣٨).

(٣) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص:١٣١-١٣٢).

قصة الشافعي في صنعاء

قال الحميدي: قدم الشافعي صنعاء، فضربت له خيمة، ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم فسألوه، فما قُلعت الخيمة ومعه منها شيء[١].

فإني لا أتغدى حتى يجيء!

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي أسخى الناس بما يجده فكان يمر بنا فإن وجدني وإلا فقال: قولي لمحمد إذا جاء يأتي المنزل، فإني لست أتغدى حتى يجيء!، فربما جئته فإذا قعدت معه على الغداء قال: يا جارية اضربي لنا فالوذجًا، فلا تزال المائدة بين يديه حتى تفرغ منه ويتغدى[٢].

اشتهوا ما أردتم

قال أبو ثور: كان الشافعي من أسمح الناس، يشتري الجارية الصَّناع التي تطبخ وتعمل الحلواء، ويشترط عليها هو أن لا يقربها، لأنه كان عليلاً لا يمكنه أن يقرب النساء لباسور به إذ ذاك، وكان يقول لنا: اشتهوا ما أردتم[٣].

---

(١) «مناقب الشافعي» (جـ٢، ص: ٢٢٠).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٢).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ٣٩).



ما بين مالك والشافعي

قال الربيع: أصحاب مالك كانوا يفخرون علينا، فيقولون: إنه يحضر مجلس مالك نحو من ستين معممًا، والله لقد عددت في مجلس الشافعي ثلاث مئة معمم سوى من شذ عني.

أشقر أزرق!!

قال الربيع: اشتريت للشافعي طيبًا بدينار فقال لي: ممن اشتريت؟ فقلت: من الرجل العطار الذي هو قبالة الميضأة، قال: من؟ قلت: الأشقر الأزرق، قال: أشقر أزرق؟ قلت: نعم! قال: اذهب فرده، ما جاءني خير قط من أشقر[1].

فإنهم أصحاب خبث

قال الشافعي: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكويسج وكل من به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق فاحذره فإنه فيه التواء ومخالطته معسرة وإنهم أصحاب خبث وإذا كانت ولادتهم بهذه الحالة، فأما من حدث فيه شيء من هذه العلل وكان في الأصل صحيح التركيب لم تضر مخالطته[2].

أنت تموت في الحديد

قال الربيع: كنت أنا والمزني والبويطي عند الشافعي، فنظر إلينا، فقال لي: أنت تموت في الحديث، وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان قطعه وجدله،

---

(١) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص: ١٣٩-١٤٠).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٤).

وقال للبويطي: أنت تموت في الحديد، قال: فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيته مقيدًا مغلولاً[١].

الأصل والثمرة

قال الشافعي: أصل العلم التثبت، وثمرته السلامة، وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة، وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر، وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح، وغاية كل أمر الصدق[٢].

فهو شيطان

قال الشافعي: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرضَ فهو شيطان.

رأي الشافعي! إنه ليس برأي

قال ابن نصر الترمذي: رأيت في المنام النبي ﷺ في مسجده بالمدينة، فكأني جئت فسلمت عليه وقلت: يا رسول الله، أكتب رأي مالك؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي الشافعي؟ فقال: بيده هكذا كأنه انتهرني، وقال: تقول: رأي الشافعي!! إنه ليس برأي، ولكنه ردٌّ من خالف سنتي[٣].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص:١٣٦).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص:٤١).

(٣) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٠).

ليس قول إلا قولي

قال محمد بن حسن البلخي: قلت في المنام: يا رسول الله، ما تقول في قول أبي حنيفة والشافعي ومالك؟ فقال: ليس قول إلا قولي، ولكن قول الشافعي ضد قول أهل البدع.

أما الشافعي فمنّي وإليَّ

قال أحمد بن الحسين الترمذي: رأيت النبي ﷺ في المنام، فسألته عن الاختلاف، فقال: أما الشافعي فمني وإليَّ، وفي الرواية الأخرى: أحيى سنتي[(١)].

هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم

قال الزعفراني: حج بشر المريسي، فلما قدم قال: رأيت بالحجاز رجلاً ما رأيت مثله سائلاً ولا مجيبًا ـ يعني الشافعي ـ قال: فقدم علينا، فاجتمع إليه الناس وخفَّوا عن بشر فجئت إلى بشر، فقلت: هذا الشافعي الذي كنت تزعم قد قدم، قال: إنه قد تغير عما كان عليه، قال: فما كان مثل بشر إلا مثل اليهود في شأن عبد الله بن سلام[(٢)].

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٤٤).

(٢) شأن اليهود في عبد الله بن سلام أنه لما أراد أن يسلم قال للنبي ﷺ: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي بهتوني، فأرسل إليهم فسلهم عني، فأرسل إليهم فقال: «أي رجل فيكم عبد الله ابن سلام؟»، قالوا: حبرنا وابن حبرنا، وعالمنا وابن عالمنا.... فلما أعلن عبد الله بن سلام إسلامه أمامهم قالوا: شرنا وابن شرنا، وجاهلنا وابن جاهلنا. «السير» (جـ١٠، ص:٤٤).



فهل لهذين من خَلَفٍ أو منهما عوض؟!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال: يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما من عوض[(١)].

وما كان الشافعي إلا ساحرًا

قال يونس بن الأعلى: ما كان الشافعي إلا ساحرًا ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأن ألفاظه سُكر... وكأن قد أوتي عذوبة منطق، وحسن بلاغة وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجة[(٢)].

قصة الشافعي مع صاحب التمرة

قال حرملة: سئل الشافعي عن رجل في فمه تمرة، فقال: إن أكلتها، فامرأتي طالق، وإن طرحتها فامرأتي طالق، قال: يأكل نصفًا ويطرح النصف[(٣)].

هذه فتيا العجائز

قال الربيع: سأل الرجل الشافعي عن قاتل الوزغ هل عليه غُسل؟ فقال: هذه فتيا العجائز[(٤)].

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٤٥).

(٢) «المناقب» (جـ٢، ص: ٥٠).

(٣) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٣).

(٤) «السير» (جـ١٠، ص: ٥٣).

إنما الحجة عليك وعلى مُعَلِّمك

قال ابن عبد الحكم: ما رأت عيني قط مثل الشافعي، قدمت المدينة فرأيت أصحاب عبد الملك بن الماجشون يَغْلُون بصاحبهم، يقولون: صاحبنا الذي قطع الشافعي قال: فلقيت عبد الملك فسألته عن مسألة فأجابني فقلت: الحجة؟ قال: لأن مالكًا قال: كذا وكذا، فقلت في نفسي: هيهات أسألك عن الحجة، وتقول: قال مُعلمي! وإنما الحجة عليك وعلى معلمك[(١)].

عليك بالكتب التي عملها بمصر

قال محمد بن مسلم: سألت أحمد بن حنبل: ما ترى في كتب الشافعي التي عند العراقيين، أهي أحب إليك أو التي بمصر؟ قال: عليك بالكتب التي عملها بمصر، فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يُحْكِمها، ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك، وقلت لأحمد: ما ترى لي من الكتب أن أنظر فيه رأي مالك أو الثوري أو الأوزاعي؟ فقال لي قولاً أُجِلُّهم أن أذكره، وقال: عليك بالشافعي، فإنه أكثرهم صوابًا وأتبعهم للآثار[(٢)].

كتبت كتب الشافعي؟

قال ابن وارة: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل، فقال لي: كتبتَ كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما عرفنا العموم من الخصوص وناسخ

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص:٥٣-٥٤).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:٩٧).

الحديث من منسوخه، حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك على الرجوع إلى مصر فكتبتها[١].

الشافعي والفول

قال الشافعي: عجبًا لمن تعشى البيض المسلوق فنام، كيف لا يموت، والفول يزيدُ في الدماغ، والدماغ يزيد في العقل[٢].

ودفن تلك الكتب

قال ابن بنت الشافعي: سمعت أبي يقول: كان الشافعي وهو حديث ينظر في النجوم وما ينظر في شيء إلا فاق فيه، فجلس يومًا وامرأته تُطْلَقُ فحَسَب، فقال: تلدُ جارية عوراء، على فرجها خالٌ أسود تموت إلى يوم كذا وكذا، فولدت كما قال، فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبدًا، ودفن تلك الكتب[٣].

والله ما رأينا منه إلا خيرًا

سئل أحمد بن حنبل عن الشافعي فقال: لقد من الله علينا به، لقد كنا تعلمنا كلام القوم وكتابتهم، حتى قدم علينا فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره وقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، فقيل له: يا أبا

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٦٢).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٧).

(٣) «السير» (جـ١٠، ص: ٥٧).

عبد الله كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه ـ يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك ـ فقال أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلا خيراً(١).

فلهم الفضل علينا

قال الشافعي: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ جزاهم الله خيرًا، هم حفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل(٢).

أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟!

قال إبراهيم بن محمد الكوفي: ـ وكان من الإسلام بمكان ـ رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس ورأيت أحمد وإسحاق حاضرين، فقال الشافعي: قال رسول الله ﷺ: «وهل ترك لنا عقيل من دار»، فقال إسحاق: حدثنا يزيد عن عطاء وطاووس ولم يكونا يريانه ـ فقال الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم، ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه أقول: قال رسول الله ﷺ وأنت تقول: عطاء وطاووس وهل لأحد مع رسول الله ﷺ حجة؟!(٣).

لا تغفل عني فإني مكروب

قال ابن عبد الأعلى: ما رأيت أحدًا لقي من السقم ما لقي الشافعي، فدخلت عليه فقال: اقرأ ما بعد العشرين والمئة من آل عمران، فقرأت، فلما قمت قال: لا تغفل عني فإني مكروب(٤).

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٥٨).
(٢) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٩).
(٣) «المناقب» (جـ٢، ص: ٢١٤).
(٤) «السير» (جـ١٠، ص: ٧٥).

يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟

قال المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: يا أبا عبد الله كيف أصبحت؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري روحي تصير إلى جنة فأهنيها أو إلى نار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي *** جعلت رجائي دون عفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته *** بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل *** تجود وتعفو منةً وتكرما
فإن تنتقم مني فلست بآيس *** ولو دخلت نفسي بجرمي جهنما
ولولاك لم يُغوى بإبليس عابد *** فكيف وقد أغوى صفيَّك آدما
وإني لآتي الذنب أعرف قدره *** وأعلم أن الله يعفو ترحما[1]

قصة الإمام مالك مع خادم الرشيد

قال الحارث بن سريج: دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج، فلما أبصره رجع فقال له الخادم: أدخل، قال: لا يحل افتراش الحُرم، فقام الخادم مبتسمًا، حتى دخل بيتًا قد فرش بأقل منه، فدخل الشافعي ثم أقبل عليه فقال: هذا حلال، وذاك حرام، وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمنًا، فتبسم الخادم وسكت[2].

---

(١) «المناقب» (جـ٢، ص:١١١).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٦-١٢٧).

وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي

قال المروزي: قال أحمد بن حنبل: إذا سئلت عن مسألة لا أعرف فيها خبرًا قلت فيها بقول الشافعي، لأنه إمام قُرشي، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«عالم قريش يملأ الأرض علمًا»**[(١)]، إلى أن قال أحمد: وإني لأدعو للشافعي منذ أربعين سنة في صلاتي[(٢)].

لست أنا ولا أنت من رجال البلاء

قال الربيع: كان الشافعي إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن، وكان فصيحًا، فمرض مرضًا شديدًا فقال: اللهم إن كان هذا لك رضى فزده فبلغ ذلك إدريس بن يحيى الخولاني فبعث إليه: يا أبا عبد الله! لست أنا ولا أنت من رجال البلاء، قال: فبعث إليه: يا أبا عمرو! ادع الله لي بالعافية[(٣)].

قصة الإمام الشافعي مع الشيخ

قال المزني: كنا يومًا عند الشافعي، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف وفي يده عكازة، فقام الشافعي وسوى عليه ثيابه وسلم الشيخ وجلس وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟ قال: سل، قال: ما الحجة في دين الله؟ قال: كتاب الله، قال: وماذا؟، قال: سنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟

---

(١) حديث ضعيف.

(٢) «السير» (جـ١٠، ص: ٨٢).

(٣) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٣٥).

قال: اتفاق الأمة، قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟ فتدبر الشافعي ساعة، فقال الشيخ: قد أجَّلتُك ثلاثًا، فإن جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تُبْ إلى الله تعالى، فتغير لون الشافعي، ثم إنه ذهب، فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مسقام فجلس فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ فسلم، وجلس فقال: حاجتي؟ فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى...﴾ (النساء: ١١٥)، قال: فلا يُصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض، فقال: صدقت، وقام فذهب، فقال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات حتى وقفت عليه[1].

إن أردت الفقه فالزم ذَنَب البغلة

قال ابن ماجة القزويني: جاء يحيى بن معين إلى أحمد بن حنبل فبينما هو عنده إذ مر الشافعي على بغلته، فوثب أحمد يسلم عليه وتبعه، فأبطأ ويحيى جالس، فلما جاء، قال يحيى: يا أبا عبد الله، كم من هذا؟ فقال: دع عنك هذا؟ إن أردت الفقه، فالزم ذَنَب البغلة[2].

قصة الإمام الشافعي مع فرخ الزنبور

قال المستملي: رأيت الشافعي في المسجد الحرام، وقد جُعلت له طنافس فجلس عليها فجاءه رجل من أهل خراسان فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في أكل فرخ الزنبور؟ فقال: حرام، فقال: حرام؟! قال: نعم، من كتاب الله وسنة

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص: ٨٤).

(٢) «المناقب» (جـ٢، ص: ٢٥٢).

رسول الله، والمعقول، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧)، وقال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[١]، هذا الكتاب والسنة[٢].

رضا الناس غاية لا تدرك

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط، رضا الناس غاية لا تدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيل، فعليك بما ينفعك فالزمه[٣].

وما في الدنيا مثل ماء مصر

قال الشافعي: يقولون: ماء العراق، وما في الدنيا مثل ماء مصر للرجال، لقد قدمت مصر، وأنا مثل الخصي ما أتحرك، قال: فما برح من مصر حتى وُلد له[٤].

قصة جلد غريبة

قال الشافعي: بينما أنا أدور في طلب العلم ودخلت اليمن، فقيل لي: بها إنسان من وسطها إلى أسفل بدن امرأة، ومن وسطها إلى فوق بدنان مفترقان

---

(١) حديث صحيح: انظر مناقب الصحابة وفضلهم في «حياة الصحابة» للكاندهلوي.
(٢) «الحلية» (جـ٢، ص:١٠٩-١١٠).
(٣) «السير» (جـ١٠، ص:٨٩).
(٤) «المناقب» (جـ٢، ص:١١٩).

بأربع أيد ورأسين ووجهين، فأحببت أن أنظر إليها، فلم أستحل حتى خطبتها من أبيها، فدخلت فإذا هي كما ذُكر لي، فَلَعَهدي بهما، وهما يتقاتلان، ويتلاطمان، ويصطلحان ويأكلان، ثم إني نزلت عنها، وغبت عن تلك البلد سنتان، ثم عدت فقيل لي: أحسن الله عزاءك في الجسد الواحد، توفي، فعُمد إليه فُربط من أسفل بحبل وترك حتى ذبل فقطع ودفن، قال الشافعي: فلعهدي بالجسد الواحد في السوق ذاهبًا وجائيًا أو نحوه[1].

إياك ومخالطة السفهاء

قال الشافعي: اجتناب المعاصي وترك ما لا يعنيك ينور القلب، عليك بالخلوة وقلة الأكل، إياك ومخالطة السفهاء ومن لا ينصفك، إذا تكلمت فيما يعنيك ملكتك الكلمة ولم تملكها[2].

التواضع من أخلاق الكرام

قال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

لا برب السفرجل

قال الربيع: لما كان المغرب ليلة مات الشافعي قال له ابن عمه يعقوب: ننزل حتى نصلي؟ قال: تنتظرون خروج نفسي، فنزلنا ثم صعدنا فقلنا له: صليت

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٧-١٢٨).

(٢) «السير» (جـ١٠، ص:٩٨).

أصلحك الله؟ قال: نعم، فاستسقى ـ وكان شتاء ـ فقال له ابن عمه امزجوه بالماء الساخن، فقال الشافعي: لا برب السفرجل، وتوفي مع العشاء الآخرة[(١)].

تفقه يعلمك الله

قال حسين الكرابيسي: سمعت الشافعي يقول: كنت امرأ أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم، قال: فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من خلفي من الحجبة، فقال: رجل من قريش ثم ابن عبد المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا، ما الشعر؟ هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قصدت معلمًا، تفقه يعلمك الله، قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي.

على أيهن تطعن؟!

قال الشافعي: لما جلست مع أمير المؤمنين أقبل محمد بن الحسن يطعن على أهل دار الهجرة، فقلت: على من تطعن، على البلد أم على أهله؟ والله لئن طعنت على أهله إنما تطعن في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وإن طعنت على البلدة فإنها بلدتهم التي دعا لهم رسول الله ﷺ أن يبارك لهم في صاعهم ومدهم، وحرَّمه كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة، لا يقتل صيدها، على أيهن تطعن؟!

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٦٨).

إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليَّ الموضع!

قال محمد بن الحسن: أقمت على مالك بن أنس ثلاث سنين وكسرًا، وكان يقول: إذا حدثتهم عن مالك امتلأ منزله وكثر الناس حتى يضيق عليهم الموضع؟! وإذا حدثهم عن غير مالك لم يجئه إلا اليسير، فكان يقول: ما أعلم أحدًا أسوأ ثناء على أصحابكم منكم، إذا حدثتكم عن مالك ملأتم عليَّ الموضع وإذا حدثتكم عن أصحابكم إنما تأتون متكارهين.

يا محمد بن إدريس! عليك بطلب العلم

قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: كنت أطلب الشعر وأنا صغير وأكتب، فبينما أنا أمشي بمكة أو في ناحية من مكة إذ سمعت صائحًا يقول: يا محمد بن إدريس! عليك بطلب العلم، قال: فالتفت فلم أر أحدًا، فرجعت فكنت أطلب العلم وأكتبه على الخرق وأطرحه في الزير حتى امتلأ[1].

قد بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه

قال الشافعي: كنت يتيمًا ولم يكن لأمي شيء، فولي عم لي ناحية اليمن على القضاء فخرجت معه فلما قدمت من اليمن أتيت مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه فلم يرد علي السلام وقال: أحدهم يجيئنا حتى إذا ظننا أنه يصلح أفسد نفسه، قال: فسرت إلى سفيان بن عيينة فسلمت عليه فرد السلام وقال: قد بلغني يا أبا عبد الله ما كنت فيه، وما بلغني إلا خير فلا تعد.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٧٢-٧٥).

فقال: لا! إلا أنا

قال الشافعي: خرجت إلى العراق فصرت إلى محمد بن الحسن فكنت أناظر أصحابه، فشكوني إلى محمد بن الحسن فقالوا: إن هذا الحجازي يعيب علينا قولنا ويخطئنا، فذكر محمد بن الحسن ذلك، فقلت له: إنا كنا لا نعرف إلا التقليد، فلما قدمنا عليكم سمعناكم تقولون: لا تقلدوا واطلبوا الحق والحجج، فقال لي: فناظرني، فقلت: أناظر بعض أصحابك وأنت تسمع، فقال: لا! إلا أنا، فقلت: ذلك، قال: فتسأل أو أسأل؟ قلت: ما شئت، قال: فما تقول في رجل غصب من رجل عموداً فبنى عليه قصراً فجاءه مستحق فاستحقه؟ قلت: يخير بين العمود وبين قيمته، فإن اختار العمود هدم القصر وأخرج العمود فرده إلى صاحبه، قال: فما تقول في رجل غصب من رجل خشبة فبنى عليها سفينة ثم لجج بها في البحر، ثم جاء صاحبها فاستحقها؟ قلت: تقدم إلى أقرب المرسين فيخير بين القيمة وبين الخشبة فإن أخذ القيمة وإلا نقض السفينة ورد الخشبة إلى صاحبها، قال: فماذا تقول في رجل غصب من رجل خيط إبريسم فخاط به خرجه، ثم جاء صاحبه فاستحقه؟ قلت: له قيمته، فكبر وكبر أصحابه وقالوا: تركت قولك يا حجازي، فقلت له: على رسلك أرأيت لو أن صاحب القصر أراد أن يهدم قصره ويرد العمود إلى صاحبه ولا يعطيه قيمته كان للسلطان أن يمنعه من ذلك؟ فقال: لا، فقلت: أرأيت أن صاحب السفينة لو أراد أن ينقض السفينة ويرد الخشبة إلى صاحبها أكان للسلطان أن يمنعه؟ قال: لا، قلت: أرأيت أن صاحب الخرج لو أراد أن ينقض خرجه ويخرج الخيط الذي خاط به الخرج ويرده على صاحبه أكان للسلطان أن يمنعه؟ قال: نعم! قلت: فكيف تقيس ما هو محظور بما هو ليس بممنوع؟!



فهذا أول بركة الشافعي

قال ابن عبد الأعلى: قال الرشيد يومًا للفضل بن الربيع وهو واقف على رأسه: يا فضل! أين هذا الحجازي؟ - كالمغضب - فقلت: هاهنا، فقال: علي به، فخرجت وبي من الغم والحزن لمحبتي للشافعي لفصاحته وبراعته وعقله فجئت إلى بابه فأمرت من دق عليه وكان قائمًا يصلي فتنحنح، فوقفت حتى فرغ من صلاته وفتح الباب، فقلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: سمعًا وطاعة، وجدد الوضوء وارتدى وخرج يمشي حتى انتهينا إلى الدار، فمن شفقتي عليه قلت: يا أبا عبد الله قف حتى أستأذن لك، فدخلت على أمير المؤمنين، فإذا هو على حالته كالمغضب وقال: أين الحجازي؟ فقلت: عند السير، فجئت إليه، فقام يمشي رويدًا ويحرك شفتيه، فلما أبصر به أمير المؤمنين قام إليه فاستقبله وقبل بين عينيه، وهش وبش وقال: لم لا تزورنا أو تكون عندنا؟ فأجلسه وتحدثا ساعة، ثم أمر له بصُرة دنانير، فقال: لا إرب لي فيه، قال الفضل: فأومأت إليه فسكت وأمرني أمير المؤمنين أن أرده إلى منزله، فخرجت والصرة تحمل معه، فجعل ينفقها يمنة ويسرة حتى رجع إلى منزله، قلت: قد عرفت محبتي لك، فبالذي سكن غضب أمير المؤمنين عنك إلا ما علمتني ما كنت تقول في دخولك معي عليه فقال: حدثني مالك عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الأحزاب: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ (آل عمران:١٨)، إلى قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران:١٩)، ثم قال: وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وديعة لي عند الله يؤديها إليَّ يوم القيامة، اللهم إني أعوذ بنور قدسك وعظيم بركتك وعظمة طهارتك، من كل آفة وعاهة، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارق يطرق بخير، اللهم أنت غياثي بك استغيث، وأنت ملاذي بك ألوذ،

وأنت عياذي بك أعوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة، أعوذ بك من خزيك، ومن كشف سترك ونسيان ذكرك، والانصراف عن شكرك، أنا في حرزك ليلي ونهاري، ونومي وقراري، وظعني وإسفاري، وحياتي ومماتي، ذكرك شعاري، وثناؤك دثاري، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك تشريفًا لعظمتك، وتكريمًا لسبحات وجهك، آجرني من خزيك ومن شر عبادك، واضرب علي سرادقات حفظك، وأدخلني في حفظ عنايتك، وجد على منك بخير يا أرحم الراحمين،، قال عبد الأعلى: قال الفضل: فحفظته فلم يغضب علي الرشيد بعد ذلك، فهذه أول بركة الشافعي.

يا ابن أخي! الفضيلة أولى بك من النافلة

قال الحميدي: كان الشافعي رجلاً شريفًا وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره، وكان كثيرًا ما يخرج إلى البدو ويحمل ما فيه من الأدب، فبينما هو ذات يوم في حي من أحياء العرب، إذ جاء رجل بدوي فقال له: ما تقول في امرأة تحيض يومًا وتطهر يومًا؟ فقال: لا أدري فقال له: يا ابن أخي! الفضيلة أولى بك من النافلة، فقال: إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت وبالله التوفيق وبه أستعين، ثم خرج إلى مالك بن أنس.

كثر الله في أهل بيتي مثلك

خرج الشافعي إلى اليمن، وقد خرج بها الخارجي على هارون الرشيد، وطعن الشافعي عليه وأعرض عمن ساعده، ورفع من أعرض عنه ولم يساعده، فبلغ ذلك الخارجي ما يقول فيه، فبعث إليه فأحضره عنده وهَمَّ بقتله، فلما سمع كلامه وتبين له شرفه وفضله وعفته، عفا عنه وعرض عليه قضاء اليمن

فامتنع عن ذلك، ثم أشخص هارون الرشيد جيشه إلى ذلك الخارجي فقبض عليه وحمل إلى بساط السلطان وحمل معه الشافعي، وأحضرا جميعًا بين يدي الرشيد، فأمر بقتلهما، فقال له الشافعي: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تسمع كلامي وتجعل عقوبتك من وراء لساني، ثم تضمني بعد ذلك إلى ما يليق بي من الشدة والرخاء فقال له: هات، فبين له القصة وعرفه شرفه، وذكر له كلامًا استحسنه هارون وأمره أن يعيده عليه، فأعاد تلك المعاني بألفاظ أعذب منها فقال له هارون: كثر الله في أهل بيتي مثلك.

سلوا هذا

قال أحمد بن محمد ابن بنت الشافعي: سمعت أبي وعمي يقولان: كان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا يسأل عنها التفت إلى الشافعي فيقول: سلوا هذا.

جزاك الله خيرًا أبا عبد الله

قال إبراهيم بن الشافعي: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول في حديث النبي ﷺ: **«إنما هي صفية»**[1]، ما هذا من النبي ﷺ للتهمة، لو اتهماه لكفرا، هذا من النبي ﷺ على الأدب، يقول: إذا مر أحدكم على رجل يكلم امرأة وهي منه بنسب فيقل: إنها فلانة وهي مني بنسب، فقال ابن عيينة: جزاك الله خيرًا أبا عبد الله.

(١) **حديث صحيح**: (١٦٣٠) «رياض الصالحين» ـ طبعة دار السلام.

وددت أني كنت أحسن مثلها

قال أبا معين: سأل رجل سفيان بن عيينة عن من نفخ في صلاته ما كفارته؟ قال: فسأل سفيان الشافعي ـ وكان في مجلسه ـ فقال الشافعي: نفخ ن ف خ ثلاثة أحرف، يكفره سبحان هو أربعة أحرف لكل حرف من ذلك حرف من هذا وزيادة حرف، قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿الحسنة بعشر أمثالها﴾، فقال سفيان بن عيينة: وددت أني كنت أحسن مثلها.

اسكتوا إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كان محمد بن الحسن يقرأ عليَّ جزءًا، فإذا جاء أصحابه قرأ عليهم أوراقًا، فقالوا له: إذا جاء هذا الحجازي قرأت عليه جزءًا وإذا جئنا قرأت علينا أوراقًا؟ قال: اسكتوا إن تابعكم هذا لم يثبت لكم أحد[1].

ما رأيت أفقه منه

قال أبو ثور: سمعت بشر المريسي يقول: رأيت بالحجاز فتى لئن بقي ليكونن واحد الدنيا، فلما كان بعد ذلك قال لي بشر: إن الفتى الذي قلت لك قد قدم، اذهب بنا إليه، فسلمنا عليه ثم تساءلا، فجعل الشافعي يصيب وبشر يخطئ، فلما خرجنا قال: كيف رأيته؟ قال: قلت: كنت تخطئ وكان يصيب، قال: ما رأيت أفقه منه!

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٩٢-٩٣).

اترك ما أخطأ فيه وخذ ما أصاب

قال الحميدي: كان أحمد بن حنبل يقيم عندنا بمكة على سفيان بن عيينة فقال لي ذات يوم: ههنا رجل من قريش يكون له هذه المعرفة وهذا البيان يمر بمائة مسألة يخطئ خمسًا أو عشرًا، اترك ما أخطأ فيه وخذ ما أصاب، قال: فكان لكلامه وقع في قلبي فجالسته فغلبتهم عليه، فلم يزل يقدم مجلس الشافعي.

بحقي عليك أيرق

قال الحميدي: خرجت مع الشافعي إلى مصر فكان هو ساكنًا في العلو ونحن في الأوسط فربما خرجت في بعض الليل فأرى المصباح بالغلام فيسمع صوتي فيقول: تفكرت في معنى حديث أو مسألة، فخفت أن يذهب علي، فأمرت بالمصباح وكتبت ما أملاني.

لكانت مروءته تمنعه

قال أحمد بن روح الزعفراني: كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقال له رجل: يا أبا زكريا ما تقول في الشافعي؟ قال: دع عنك هذا، لو كان الكذب له مطلقًا لكانت مروءته تمنعه من أن يكذب.

ما علمنا... حتى جالسنا الشافعي

قال محمد بن مسلم: قدمت من مصر فأتيت أحمد بن حنبل أسلم عليه قال: كتبت كتب الشافعي؟ قلت: لا، قال: فرطت، ما علمنا المجمل من

المفصل ولا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي، قال: فحملني ذلك إلى أن رجعت إلى مصر وكتبتها لما قدمت.

الشافعي وأحمد

قال ذئب: كنت مع أحمد بن حنبل في المسجد الجامع فمر حسين الكرابيسي فقال: هذا الشافعي رحمه الله لأنه من آل محمد ﷺ، ثم جئت إلى حسين فقلت: ما تقول في الشافعي؟ فقال: ما أقول في رجل أسدى إلى أفواه الناس الكتاب والسنة والاتفاق؟ ما كنا ندري ما الكتاب والسنة ولا الأولون حتى سمعت من الشافعي الكتاب والسنة والإجماع.

إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة

قال محمد بن الفضل البزار: سمعت أبي يقول: حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت معه في مكان واحد، فلما صليت الصبح درت في مسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، وكنت أدور مجلسًا مجلسًا طلبًا لأبي عبد الله أحمد بن حنبل حتى وجدته عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة وعلى رأسه جمة مراجمية حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت: أبا عبد الله! تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعمرو بن دينار ومن التابعين ما الله به عليم؟ قال: اسكت فإن فاتك حديث بعلو تجده بنزول ولا يضرك في دينك ولا في عقلك ولا فهمك إن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي، قلت: من هذا؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

هذا يفوت وذاك لا يفوت

قال أبو ثوبة البغدادي: رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام، فقلت: يا أبا عبد الله! هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث فقال: هذا يفوت ـ يعني الشافعي ـ وهذا لا يفوت ـ يعني ابن عيينة ـ.

كنت تنهانا عنه وأنت اليوم تتبعه!؟

قال يحيى بن معين: لما قدم الشافعي كان أحمد بن حنبل ينهى عنه، فاستقبلته يومًا والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه، فقلت: يا أبا عبد الله أنت كنت تنهانا عنه وأنت تتبعه؟ قال: اسكت! إن لزمت البغلة انتفعت(١).

اكتب رأي مالك؟

قال الترمذي: كتبت الحديث تسعًا وعشرين سنة، وسمعت مسائل مالك وقوله ولم يكن لي حسن رأي في الشافعي، فبينا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ بالمدينة إذ غفوت غفوة فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال: لا، قلت: أكتب رأي مالك؟ قال: اكتب ما وافق سنتي، قلت له: أكتب رأي الشافعي؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان بقولي، وقال: ليس بالرأي، هذا رد على من خالف سنتي قال: فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:٩٨-٩٩).

مات النبي ﷺ في هذه الليلة

قال العزيزي: رأيت ليلة مات الشافعي في المنام كأنه يقال: مات النبي ﷺ هذه الليلة فكان يقول: أنت تقيل في مجلس عبد الرحمن الزهري في المسجد الجامع وكأنه يقال له: تخرج به بعد العصر فأصبحت فقيل لي: مات، وقيل لي: نخرج به بعد الجمعة، فقلت: الذي رأيته في المنام نخرج به بعد العصر، وكأني رأيت في النوم حين أخرج به كان معه سرير امرأة رثة السرير فأرسل أمير مصر أن لا يخرج به إلا بعد العصر فحبس إلى بعد العصر، قال العزيزي: شهدت جنازته فلما صرت إلى الموضع الواسع رأيت سريراً مثل سرير تلك المرأة الرثة السرير مع سريره.

فلما قدم علينا الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء

قال ابن إدريس: أخبرني رجل من إخواننا من أهل بغداد، قال: قال أحمد ابن حنبل: قدم علينا نعيم بن حماد وحثنا على طلب المسند، فلما قدم علينا الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء.

ففيه قول الشافعي

قال حميد البصري: كنت عند أحمد بن حنبل نتذاكر في مسألة، فقال رجل لأحمد: يا أبا عبد الله! لا يصح فيه حديث، فقال: إن لم يصح فيه حديث ففيه قول الشافعي، وحجته أثبت شيء فيه[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠١-١٠٢).

لي إليك حاجة

قال النيسابوري: تزوج إسحاق بن راهوية بمرو بامرأة رجل كان عنده كتب الشافعي فتوفي، لم يتزوج بها إلا لحال كتب الشافعي، فوضع جامعه الكبير على كتاب الشافعي، ووضع جامعه الصغير على جامع الثوري الصغير، وقدم أبو إسماعيل الترمذي نيسابور وكان عنده كتب الشافعي عن البويطي فقال له إسحاق بن راهويه: لي إليك حاجة أن لا تحدث بكتب الشافعي ما دمت بنيسابور، فأجابه إلى ذلك فما حدث بها حتى خرج.

فتركنا بدعتنا واتبعناه

قال أبو ثور: لما ورد الشافعي العراق جاءني حسين الكرابيسي - وكان يختلف معي إلى أصحاب الرأي - فقال: قد ورد رجل من أصحاب الحديث يتفقه: فقم بنا نسخر به، فذهبنا حتى دخلنا عليه، فسأله الحسين عن مسألة فلم يزل الشافعي يقول: قال الله وقال الرسول ﷺ حتى أظلم علينا البيت، فتركنا بدعتنا واتبعناه.

مالي ومالك يا شافعي؟!

قال الشافعي: رأيت أبا حنيفة في المنام وعليه ثياب وسخة وهو يقول: مالي ومالك يا شافعي، مالي ومالك يا شافعي؟!

لم أرو لك شيئا ولم يحدثني أحد

قال هارون بن سعيد: لو أن الشافعي ناظر على هذا العمود الذي من حجارة أنه من خشب لغلب في اقتدارة على المناظرة، وقال الشافعي: ناظرت رجلاً بالعراق فكل ما جاء بمعنى أدخلت عليه معنى آخر فيبقى، فتناظرنا في شيء فقلت له: من قال بهذا؟ قال: أمسك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، فلم يزل يعد حتى عد العشرة، فبلغ كل مُبلغ، وكان حولنا قوم لا معرفة لهم بالرواية، فاجتمعنا بعد ذلك المجلس فقلت له: الذي رويت عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي من حدثك به؟ فقال: لم أرو لك شيئًا ولم يحدثني أحد، وإنما قلت لك: أمسك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي[١].

مناظرة الشافعي

قال يونس: سمعت الشافعي يقول: ناظرت يومًا محمد بن الحسن فاشتدت مناظرتي إياه فجعلت أوداجه تنتفخ وأزراره تنقطع زرًا زرًا.

الظلمة أجلى للقلب

قال أبو محمد بن أخت الشافعي: قالت أمي: ربما قدَّمنا في ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح إلى بين يدي الشافعي، وكان يستلقي ويتفكر ثم ينادي: يا جارية هلمي المصباح، فتقدمه ويكتب ما يكتب، ثم يقول: ارفعيه فقلت لأبي محمد: ما أراد برد المصباح؟ قال: الظلمة أجلى للقلب.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٠٤).

وذلك أن النبي ﷺ كان أميًا

قال الشافعي: لا يقبل قرشي بمكة ولا يظهر أمره حتى يخرج منها، وذلك أن النبي ﷺ لم يظهر أمره حتى خرج من مكة، ولا يكاد يجود شعر القرشي، وذلك أن الله عزَّ وجلَّ قال للنبي ﷺ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس:٦٩)، ولا يكاد يجود شعر القرشي، وذلك أن النبي ﷺ كان أميًا.

الشافعي والسنن والآثار

قال الشيخ أبو نعيم: كان الإمام الشافعي رحمه الله للآثار والسنن تابعًا وفي استنباط الأحكام والأقضية رائعًا وبالمقاييس المبنية على الأصول قائلاً، وعن الآراء الفاسدة المخالفة للأصول عادلاً.

الشافعي ومن أفطر يومًا في رمضان

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن: من أفطر يومًا من رمضان قضى اثنا عشر يومًا لأن الله عزَّ وجلَّ اختار شهرًا من اثنى عشر شهرًا قال الشافعي: يقول الله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣)، فمن ترك الصلاة ليلة القدر وجب عليه أن يصلي ألف شهر على قياسه.

سبحان الله!! أجعلتني وثنيًا؟

قال الربيع: سأل رجل من أهل بلخ الشافعي عن الإيمان، فقال للرجل: فما تقول أنت فيه؟ قال: أقول: إن الإيمان قول، قال: ومن أين قلت؟ قال: من

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (مريم:٩٦)، فصار الواو فصلاً بين الإيمان والعمل فالإيمان قول والأعمال شرائعه، فقال الشافعي: وعندك الواو فصل؟ قال: نعم، قال: فإذًا كنت تعبد إلهين إلهًا في المشرق وإلهًا في المغرب لأن الله تعالى يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (الرحمن:١٧)، فغضب الرجل وقال: سبحان الله!! أجعلتني وثنيًا؟ فقال الشافعي: بل أنت جعلت نفسك كذلك، قال: كيف؟ قال: بزعمك أن الواو فصل، فقال الرجل: فإني أستغفر الله مما قلت، بل لا أعبد إلا ربًا واحدًا، ولا أقول بعد اليوم إن الواو فصل، بل أقول: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال الربيع: فأنفق على باب الشافعي مالاً عظيمًا وجمع كتب الشافعي وخرج من مصر سُنِّيًا.

فكان مخلوقًا خلق بمخلوق

قال أبو يعقوب البويطي: سمعت الشافعي يقول: إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق، وهذا ردًا على من زعم أن القرآن ـ كلام الله ـ مخلوق[1].

قصة الشافعي مع بشر المريسي وأمه

جاءت أم بشر المريسي إلى الشافعي فقالت له: يا أبا عبد الله إن ابني هذا يحبك وإن ذكرت عنده أجلك، فلو نهيته عن هذا الرأي الذي هو فيه فقد عاداه الناس عليه؟ فقال الشافعي: أفعل، فجاء بشر فقال له الشافعي: اخبرني إلى ما تدعو إليه أفيه كتاب ناطق، وفرض مفترض، وسنة قائمة، ووجب على الناس

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٠٩-١١١).

البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: ليس فيه كتاب ناطق، ولا فرض مفترض، ولا سنة قائمة، ولا وجب على السلف البحث فيه، إلا أنه لا يسعنا خلافه، فقال له الشافعي: قد أقررت على نفسك الخطأ، فأين أنت عن الكلام في الأخبار والفقه، وتوافيك الناس عليه وتترك هذا؟ فقال: لنا فيه تهمة، فلما خرج بشر قال الشافعي: لا يفلح.

أخزاهم الله

قال الحسين بن علي: سئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل هذا حفصًا الفرد - وكان من أئمة علم الكلام - وأصحابه أخزاهم الله.

كما يفرون من الأسد

قال الشافعي: لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد، كما قال: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله، خير من أن يلقاه بشيء من الأهواء.

الشافعي والقدرية

رأى الشافعي يومًا قومًا يتجادلون في القدر بين يديه، فقال الشافعي: في كتاب الله المشيئة دون خلقه، والمشيئة إرادة الله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الإنسان: ٣٠)، فأعلم خلقه أن المشيئة له، وكان يثبت القدر، وقال في كتابه: من حلف باسم من أسماء الله فعليه كفارة لأنه حلف بغير مخلوق.

ديته بيضة

قال الشافعي: إياكم والنظر في الكلام فإن رجلاً لو سئل عن مسألة في الفقه فأخطأ فيها أو سئل عن رجل قتل رجلاً فقال: ديته بيضة كان أكبر شيء أن يضحك فيه، ولو سئل عن مسألة من الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة[1].

رأيت ما فعل بي الشافعي أمس؟!

قال الربيع: حضرت الشافعي وعن يمينه عبد الله بن عبد الحكم وعن يساره يوسف بن عمرو بن يزيد، وحفص الفرد حاضراً، فقال لابن عبد الحكم: ما تقول في القرآن؟ قال: أقول كلام الله، قال: ليس إلا؟ ثم سأل يوسف بن عمرو فقال له مثل ذلك فجعل الناس يومئون إليه أن يسأل الشافعي فقال حفص الفرد: يا أبا عبد الله! الناس يحيلون عليك، قال: فقال: دع الكلام في هذا فقالوا للشافعي: ما تقول يا أبا عبد الله في القرآن؟ قال: أقول: كلام الله غير مخلوق، فناظره وتحاربا في الكلام حتى كفره الشافعي فقام حفص مغضبًا، فلقيته من الغد في سوق الدجاج بمصر، فقال لي: رأيت ما فعل بي الشافعي أمس؟ كفرني، قال: ثم مضى ثم رجع فقال: أما إنه مع هذا ما أعلم إنسانًا أعلم منه.

مثل المخريق

قال أحمد بن سنان: سمعت الشافعي يقول: مثل الذي نظر في الرأي ثم تاب عنه مثل المخربق الذي عولج حتى برأ بأعقل ما يكون قد هاج به.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١١٢-١١٣).

البدعة بدعتان

قال حرملة بن يحيى: سمعت الشافعي يقول: البدعة بدعتان، بدعة محمودة وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: «نعمت البدعة هي».

عد إلى ما كنت

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم: ٢٧)، قال: في العبرة عندكم إنما يقول لشيء لم يكن: كن، فيخرج مفصلاً بعينيه وأذنيه وأنفه وسمعه ومفاصله، وما خلق الله فيه من العروق، فهذا في العبرة أشد من أن يقول لشيء قد كان: عد إلى ما كنت، فهو إنما أهون عليه من العبرة عندكم، ليس أن شيئًا يعظم على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ[1].

الذين يتقوَّلون على الصحابة

قال الربيع بن سليمان بن المرادي: قال لي محمد بن إدريس الشافعي: ما ساق الله هؤلاء الذين يتقولون في عليٍّ وفي أبي بكر وعمر وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ إلا ليجري الله لهم الحسنات وهم أموات.



(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١١٤).

أهل صفين

قال الشافعي: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما تقول في أهل صفين؟ قال: تلك دماء طهر الله يدي منها، فلا أحب أن أخضب لساني فيها.

الشافعي وولاية الخلفاء

قال الشافعي: أجمع الناس على أبي بكر، واستخلف أبو بكر عمر، ثم جعل - أي عمر - الشورى على ستة، على أن يولوها واحدًا منهم، فولوها عثمان، قال الشافعي: وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر فولوه رقابهم.

فطحن حفصًا الفرد وقطعه

قال حرملة بن يحيى: اجتمع حفص الفرد ومصلان الأباضي عند الشافعي في دار الجروي وأنا حاضر، واختصم حفص الفرد ومصلان في الإيمان فاحتج على مصلان وقوى عليه وضعف مصلان، فحمى الشافعي وتقلد المسألة على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فطحن حفصًا الفرد وقطعه.

قصة الشافعي مع المختار الكذاب

قال الشافعي: دخل رجل على المختار بن أبي عبيد الله فوجد عنده وسادتين واحدة عن يمينه وأخرى عن شماله، فلما رآه دعا له بوسادة، فقال: أليس هاتان الوسادتان موضوعتين؟ فقال: إن هذه قام عنها جبريل، والأخرى قام عنها

ميكائيل، فقال الشافعي: الصادقون إنما كان يأتيهم واحد والمختار كذاب يزعم أنه يأتيه اثنان[(١)].

فهذا أكبر من ذاك

قال الشافعي: ما أعطى الله تعالى نبيًا ما أعطى محمدًا ﷺ، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى، فقال: أعطى محمدًا الجذع الذي كان يخطب إلى جنبه حتى هيء له المنبر فلما هيئ له المنبر حَنَّ الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذاك.

اللهم بغنائك عنه وفقره إليك اغفر له

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي وحضر شيئًا، فلما شحبنا عليه نظر إليه وقال: اللهم بغناءك عنه وفقره إليك اغفر له.

الشافعي ورأي أبي حنيفة

قال أحمد بن سنان: سمعت الشافعي يقول: ما شبهت رأي أبي حنيفة إلا بخيط سحاب، إذا مددته كذا أخرج أصفر، وإذا مددته كذا أخرج أحمر.

ما أحد إلا وله محب ومبغض

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: ما أحد إلا وله محب ومبغض، فإن كان لابد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٦).

ولا كابرني.. إلا سقط من عيني

قال الشافعي: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته.

قصة الشافعي مع أبي ثور

قال أبو ثور: كنت من أصحاب محمد بن الحسن فلما قدم الشافعي علينا جئت إلى مجلسه شبه المستهزئ، فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فقلت: هكذا، فقال: أخطأت، فقلت: هكذا، فقال: أخطأت، فقلت: وكيف أضع؟ قال: حدثني سفيان عن سالم عن أبيه: **«أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه وإذا ركع وإذا رفع»**[1]، قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذلك، فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصر من الاختلاف إلى محمد بن الحسن فقال: أجل .. الحق معه[2].

لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك

قال الشافعي: ما ناظرت أحدًا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحدًا إلا ولم أبال بيَّن الله الحق على لساني أو لسانه وقال الشافعي للربيع: لو قدرت أن أطعمك العلم لأطعمتك!

---

(١) رواه البخاري من رواية أبي حميد الساعدي.

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٨).

الشافعي والعلم

قال الربيع بن سليمان: دخلت على الشافعي وهو عليل فسأل عن أصحابنا وقال: يا بني! لوددت أن الخلق كلهم تعلموا كتبي ولا ينسب إليَّ منه شيء؛ وفي رواية: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أوجر عليه ولا يحمدوني.

أيكم أصاب فله دينار

قال الحميدي: ربما ألقى الشافعي عليَّ وعلى ابنه عثمان المسألة فيقول: أيكم أصاب فله دينار.

وخدمة العالم أفلح

قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما طلب أحد العلم بالتعمق وعز النفس فأفلح، ولكن من طلبه بضيق اليد وذلة النفس وخدمة العالم أفلح.

لو دعوت الله علي لعلمت أنك لم ترد إلا الخير

قال الربيع: مرض الشافعي فدخلت فقلت: يا أبا عبد الله! قوى الله ضعفك، فقال: يا أبا محمد لو قوى الله ضعفي على قوتي أهلكني، قلت: يا أبا عبد الله! ما أردت إلا الخير، فقال: لو دعوت الله علي لعلمت أنك لم ترد إلا الخير.

الشافعي والعقل

قال حرملة: قيل للشافعي: أخبرنا عن العقل يولد به المرء؟ فقال: لا ولكنه يلقح من مجالسة الرجال ومناظرة الناس[١].

كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟!

قال الشافعي: دخل ابن العباس على عمرو بن العاص فقال: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: أصبحت وقد ضيعت من ديني كثيراً وأصلحت من ديني قليلاً، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت، والذي أفسدت هو الذي أصلحت لقد فزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان ينجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمجنون بين السماء والأرض لا أرتقي بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا ابن عباس، قال ابن عباس: هيهات! صار ابن أخيك أخاك، ولا يشاء أن يبكي إلا بكيت، قال: كيف يؤمر برحيل من هو مقيم؟ فقال: من جنيها من حينها ابن بضع وثمانين تقنطني من رحمة الله؟ قال: ثم رفع يديه فقال: اللهم إن ابن عباس يقنطني من رحمتك فخذ مني حتى ترضى، قال: هيهات أبا عبد الله! تأخذ جديداً وتعطي خلقًا، قال: من لي منك يا ابن عباس؟ ما أرسل كلمة إلا أرسلت نقيضها.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١١٨-١٢٠).

أقبل الحق ممن جاءك به

قال الشافعي: قال رجل لأُبيٍّ بن كعب: عظني ولا تكثر علي فأنسى، فقال له: اقبل الحق ممن جاءك به وإن كان بعيدًا بغيضًا، واردد الباطل على من جاءك به وإن كان حبيبًا قريبًا.

لا تجعل لسانك بذلة

قال الشافعي: قيل لأبي بن كعب: يا أبا المنذر عظني! فقال: واخ الإخوان على قدر تقواهم، ولا تجعل لسانك بذلة لمن لا يرى فيه، ولا تغبط الحي إلا بما تغبط الميت.

ويحك يا ابن عمامة!!

قال الشافعي: قدم ابن عمامة على عمرو بن العاص فألفاه صائمًا وقد أحضر إخوانه طعامًا وصلى صلاة فأتقنها، ثم أتى بمال فقال: اذهبوا بهذا إلى فلان وهذا إلى فلان حتى فرقه فقال له ابن عمامة: يا أبا عبد الله! أرأيت صلاة أحكمتها وطعامًا أطعمته إخوانك وأتاك مال أنت أحق به من غيرك فقلت: اذهبوا بهذا إلى فلان وبهذا إلى فلانة حتى أتيت عليه بِمَ ذاك يا أبا عبد الله؟ قال: ويحك يا ابن عمامة! فلو كانت الدنيا من الدين أخذناها وإياه ولو كانت تنحاز عن الباطل أخذناها وتركناه، فلما رأيت ذلك كذلك خلطنا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى أن يرحمك الله.

بلغني عنك كذا وكذا

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي ذات يوم: يا يونس إذا بُلِّغت عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بالشك، ولكن ألقه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمي المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا يزيدن على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهًا بعذر فاقبل منه، وإن لم يرد ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبله، وإن لم يذكر لذلك وجهًا لعذر وضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت في ذلك بالخيار إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أبلغ للتقوى وأبلغ في الكرم لقول الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فاذكر فيما سبق له لديك ولا تبخس باقي إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأني على إساءتي من غير أن يزيد ولا يبخس حقًا لي، يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به، فإن اتخاذ الصديق صعب، ومفارقته سهل وقد كان الرجل الصالح يشبه سهولة مفارقة الصديق بصبي يطرح في البئر حجرًا عظيمًا فيسهل طرحه عليه ويصعب إخراجه على الرجال فهذه وصيتي لك.. والسلام.

قبول السعاية أضر من السعاية

قال الشافعي: قبول السعاية أضر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء كمن قبل وأجاز، والساعي ممقوت إذا كان



صادقًا لهتكه العورة وإضاعته الحرمة، ومعاقب إن كان كاذبًا لمبارزته الله بقول البهتان وشهادة الزور.

الشافعي ومن تنقص من محمد بن الحسن

قال أحمد بن الوزير: تنقص رجل من محمد بن الحسن عند الشافعي فقال له: مهما تلحظت بمضغة طالما لفظها الكرام[1].

فإن المستمع شريك القائل

قال أحمد بن يحيى الوزير: خرج الشافعي يومًا من سوق القناديل متوجهًا إلى حجرته فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت إلينا الشافعي فقال: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه ينظر إلى أخبث شيء في وعائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادُّها كما شقي بها قائلها.

أنفع الذخائر

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: أنفع الذخائر التقوى وأضرها العدوان.

العلم ما نفع

قال الربيع: سمعت الشافعي مرارًا كثيرة يقول: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع.

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٢-١٢٣).



وملاك ذلك كله التقوى

قال الربيع: قال الشافعي: يا ربيع! رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم، واعلم أن من تعلم القرآن جلَّ في عيون الناس ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جلَّ رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى.

الشافعي وقراءة القرآن

قال بحر بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى نتساقط بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته.

طبع فؤادي على اللوم

قال الشافعي: طبع فؤادي على اللوم، فمن شأنه التقرب لمن يبعد منه، والتباعد ممن يقرب منه[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٤).

هو من أحدِ الناس عقلاً

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: اصطنع رجل إلى رجل من العرب صنيعة فوقعت منه، فقال له: آجرك الله من غير أن يبتليك، فقال: هو من أحد الناس عقلاً.

العقول مضطرة إلى قبول الحق

قال الشافعي: كلُّ ما قلت لكم فلم تشهد عليه عقولكم وتقبله وتراه حقًا فلا تقبلوه، فإن العقول مضطرة إلى قبول الحق.

فاحكوها عني

قال الحسين: قال لنا الشافعي: إن أصبتم الحجة في الطريق مطروحة فاحكوها عني فإني قائل بها.

وهو سيد العلم

قال محمد بن بنت الشافعي: سألت أبي فقلت: يا أبه! أي العلم أطلب؟ فقال: يا بني أما الشِّعر فيضع الرفيع ويرفع الخسيس، وأما النحو فإذا بلغ الغاية صار مؤدبًا، وأما الفرائض فإذا بلغ صاحبها فيها غاية صار معلم حساب، وأما الحديث فتأتي بركته وخيره عند فناء العمر، وأما الفقه فللشاب والشيخ وهو سيد العلم.



بذل كلامنا صون كلام غيرنا

قال الشافعي: بذل كلامنا صون كلام غيرنا، قال أبو محمد: يعني بذله لكلامه في الحلال والحرام، والرد على من خالف السنة صون لكلام أشكاله أدناهم هذه المرونة.

من يحمل العلم جزافًا

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: وذكر من يحمل العلم جزافًا، قال: مثل هذا حاطب أقبل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري، قال الربيع: يعني الذين لا يسألون عن الحجة من أين؟ يكتب العلم وهو لا يدري على غير فهم فيكتب عن الكذاب وعن الصدوق وعن المبتدع وعن غيره، فيحمل عن المبتدع والكذاب الأباطيل فيصير ذلك نقصًا لإيمانه وهو لا يدري(١).

ليس أن يحدث عنهم بالكذب

قال الشافعي: معنى حديث النبي ﷺ: **«حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»**(٢)، أي: لا بأس أن تحدثوا عنهم بما سمعتم وإن استحال أن يكون في هذه الأمة مثل ما روى أن ثيابهم تطول، والنار التي تنزل من السماء فتأكل القربان ليس أن يحدث عنهم بالكذب وما لا يروى.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٢٥).

(٢) حديث صحيح: راجع «السلسلة الصحيحة» للعلامة الألباني (المجلد السادس، ٢٩٢٦).

قصة حبس الشافعي مع الشيعة

قال محمد بن الشافعي: حبس الشافعي مع قوم من الشيعة بسبب التشيع، فوجه إليه يومًا فقال: ادع فلانًا المعبر، فدعوته فقال: رأيت البارحة كأني مصلوب على قناة مع علي بن أبي طالب، فقال: إن صدقت رؤياك شهرت وذكرت وانتشر أمرك، ثم حمل إلى الرشيد معهم فكلمه ببعض ما جلبه به فخلى عنه.

فوت العلماء

قال الشافعي: ما اشتد عليَّ فوت أحد من العلماء مثل فوت ابن أبي ذئب والليث بن سعد.

ما شربته إلا حارًا

قال أبو محمد قريب الشافعي: عاتب محمد بن إدريس الشافعي ابنه عثمان فقال فيما قال له ووعظه به: يا بني! والله لو علمت أن الماء البارد يقلل من ديني ما شربته إلا حارًا.

كدت اليوم تقتل نفسًا

قال أبو محمد قريب الشافعي: حدثتني أمي قالت: كانت له هنة فوضعت يدها على فم الصبي وخرجت مسرعة، وكان الباب بعيدًا، فلم تبلغ الباب حتى اضطرب الصبي، قالت: فلما استيقظ الشافعي قالت له أم عثمان: ويحك يا ابن إدريس ـ وهو يمدح نفسه ـ كدت تقتل اليوم نفسًا فاحمر وانتفخ وجعل يقول

لها: وكيف ذاك؟ فأخبرته الخبر، فحلف أن لا يقيل مدة طويلة إلا والرحا عند رأسه تطحن، فكان إذا أراد أن يقيل جئنا بالرحا حتى تطحن عند رأسه[(١)].

ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة

قال أبو ثور: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال فقلت له ـ وقلما كان يمسك الشيء من سماحته ـ: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لولدك من بعدك، فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ما فعل به؟ فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأهلها، أكثرها قد رفعت علي، ولكن قد بنيت بمكة بيتًا يكون لأصحابنا ينزلون فيه إذا حجوا.

ما شبعت

قال أبو محمد: قال الشافعي: ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحها، قال أبو محمد: يعني فطرحتها لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة.

ما أغربها

قال رجل: سمعت الشافعي يقول: كنت في اليمن فرأيت أعماوين يتقاتلان وأبكم يصلح بينهما.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٦).

الكفاءة في الدين

قال الحارث بن مسكين: لقد أحببت الشافعي وقرب من قلبي لما بلغني أنه كان يقول: الكفاءة في الدين لا في النسب، لو كانت الكفارة في النسب لم يكن أحد من الخلق كفؤًا لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ولا بنات رسول الله ﷺ، وقد زوج ابنتيه من عثمان وزوج أبا العاص بن الربيع.

أنا عربي لا تسألوني عن هذا

قال الربيع: سئل الشافعي عن مولى أراد أن يتزوج عربية؟ فقال الشافعي: أنا عربي لا تسألوني عن هذا.

الشافعي والسودان

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما نقص من إيمان السودان إلا لضعف عقولهم، ولولا ذلك لكانوا لونًا من الألوان من الناس من يشتهيه ويفضله على غيره[1].

أقبل على شأنك

قال الربيع: سئل رجل الشافعي عن سنه، فقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه؛ سأل رجل مالك عن سنه، فقال: أقبل على شأنك.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٢٨-١٢٩).



إن بلت فيه نشطت للنساء!

قال الشافعي: كان ابن أبي يحيى عنيفًا، فجاءنا ذات يوم فقال: اطلبوا لي فأسًا لم يدخل هراوته فيه، فقلنا له: ما تصنع به؟ قال: قيل لي: إن بلت فيه نشطت للنساء!

أظنك أحمق

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال الشافعي لرجل: أظنك أحمق، قال الرجل: إن أحمق ما يكون الشيخ إذا أعجب بعلمه.

أخبئتها لأخيك الشيطان

قال الشافعي: قال رجل للشعبي: عندي مسائل شداد خبأتها لك. فقال: أخبئها لأخيك الشيطان.

سعة علم الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: لو احتج الشافعي على هذا العمود لقصمه، وكان الشافعي يصنع كتابًا من غُدوهٍ إلى الظهر من حفظه من غير أن يكون في يده أصل.

آجرك الله من غير أن يسألك

قال الشافعي: وقف أعرابي على قوم فقال: رحمكم الله من أبناء السبيل وأيضًا من سفر، رحم الله امرأ أعطى من سعة وواسى من كفاف، فأعطاه رجل درهمًا، فقال له: آجرك الله من غير أن يسألك.

فما برح حتى وهبها كلها

قال الحميدي: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءة في موضع خارجًا من مكة، فكان الناس يأتونه فما برح حتى وهبها كلها[1].

أنت في حلٍ من مالي

قال الربيع: كان للشافعي فرس، فباعه بستين دينارًا، فقال لي: بحقي عليك أن تبايع ابن دكين فتأخذ منه الدنانير، فقلت: إي والله أصلحك الله! فذهبت فأخذت ستين دينارًا ثم جئت فقلت: هذه الدنانير، فقال: أمسكها معك. فلما كان مجلسه انصرفت ثم يحدث فقال: تعقبنا معك وذهبت وتركتنا فلما قام إلى بيته تبعته حتى دخل البيت وقعدت على الباب، فكتب إليَّ رقعة: إن رأيت أن تشتري لنا كذا وكذا. ولم أكن أعرف من هذا شيئًا. فكان هذا ابتداء أحرى معه، ووافق نزول الشافعي منزله وأنا أكتب حسابه، فقال: تفسد قراطيسك، والله ما نظرت لك في حساب، وقال لي مرارًا: أنت في حِلٍّ من مالي.

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٢٩-١٣٠).

بيني وبينه معذرة

قال الربيع: سأل رجل الشافعي فقال: إني رجل من أمري كيت وكيت، تأمر لي بشيء؟ وما كان معه يومئذ دينارًا فأعطاه إياه، فقال له بعض جلسائه: هذا لو أعطيته درهمًا أو درهمين ـ والدينار يساوي ١٢ درهم ـ كان كثيراً، فقال: إني أستحي أن يطلب مني رجل بيني وبينه معذرة فلا أعطيه.

فرغ همه وقوي متنه

قال عبد الله بن محمد: أمر الرشيد للشافعي بألف دينار فقبلها، فأمر الرشيد خادمه سراج باتباعه، فما زال يفرقها قبضة قبضة حتى انتهى إلى خارج الدار وما معه إلا قبضة واحدة، فدفعها إلى غلامه وقال: انتفع بها. فأخبر سراج بذلك الرشيد فقال: فرغ همه وقوي متنه.

وناظر بشر المريسي فقطعه

قال الحميدي: كان محمد بن إدريس الشافعي لما أدخل على أمير المؤمنين هارون الرشيد وناظر بشر المريسي فقطعه، خلع هارون الرشيد على الشافعي وأمر له بخمسين ألف درهم، فانصرف إلى البيت وليس معه شيء، قد تصدق بجميع ذلك ووصل به الناس[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص ١٣٠-١٣١).

يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟!

قال المزني: قدم الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه، وإذا هو قد نزل منزلاً وإلى جانبه رجل جالس وفي حجره عدد، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له: يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟ فأنشأ يقول:

وأنزلني طول النوى دار غربة * مجاورتي من ليس مثلي يشاكله**
تحملته حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله**

امرأتي ولدت الساعة

قال المزني: ما رأيت رجلاً أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره في مسألة حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس فقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس. فأخذه منه وأدخله في كمه فأتاه رجل من الحلقة، فقال: يا أبا عبد الله! ولدت امرأتي الساعة ولا شيء عندي. فدفع إليه الكيس وصعد وليس معه شيء.



أمرناك أن تشتري لنا لحمًا، فاشتريت سمكًا

قال الربيع: أعطاني الشافعي دراهم فقال: يا ربيع اشتر لنا بهذه الدراهم لحمًا، قال: فذهبت فاشتريت سمكًا. فلما رجعت قال لي الشافعي: أمرناك أن تشتري لنا لحمًا فاشتريت سمكًا. فقلت: هكذا قضى، فقال: يا ربيع! اليوم نأكل شهوتك وغدًا تأكل شهوتنا.

إفلاسات الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: قال الشافعي: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات، وربما أكلت التمر بالسمك[1].

ألا تعجبون من غلامي هذا؟

قال ابن وهب: سمعت الشافعي يقول: ألا تعجبون من غلامي هذا؟ دخلت إلى المنزل فاستقبلني وإذا على رقبته جذع، فقلت: ما هذا؟ فقال: يا مولاي أليس من أصل مقالتك أن من كان معه شيء فهو أحق به، حتى تقام عليه البينة فيه؟ هذا الجذع هو في يدي فأقم البينة أنه لك. قال الشافعي: فضحكت وخليته.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٢-١٣٣).

أصلحك الله! هذه ثيابك

قال محمد بن العباس: سمعت إبراهيم بن بريه يقول - وكان جليسًا للشافعي -: دخلت مع الشافعي حمامًا وخرجت قبله، وكان الشافعي طوالاً جسيمًا نبيلاً. وكان إبراهيم جسيمًا طويلاً. فلبس إبراهيم ثياب الشافعي ولبس الشافعي ثياب إبراهيم، والشافعي لا يعلم أنها ثياب إبراهيم، وإبراهيم لا يعلم أنها ثياب الشافعي، فانصرف الشافعي إلى منزله فنظر فإذا هي لإبراهيم، فأمر بها فطويت وبخَّرت وجعلت في منديل، ونظر إبراهيم فطواها وجعلها في منديل ثم راحا جميعًا، فجعل الشافعي ينظر إلى إبراهيم ويتبسم إليه، فلما صليت العصر قال إبراهيم: أصلحك الله! هذه ثيابك. فقال الشافعي: وهذه ثيابك، والله لا يعود إليَّ منها شيء ولا يلبسها غيرك. فأخذهما إبراهيم جميعًا.

السخاء والكرم

قال يحيى بن علي: سمعت الشافعي يقول: السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقهما بدعة.

الشافعي والكرم الطائي

قال الشافعي: كان أبو حاتم سخيًا - يعني حاتم الطائي - وكان يضع الأشياء مواضعها وكان حاتم مبذرًا، فاجتمع يومًا عند أبيه أصحابه فشكا إليهم حاتمًا فقال: والله ما أدري ما أصنع به، ما أخذ شيئًا إلا بذره. واستشار أصحابه: ما الحيلة فيه؟ قال: فاجتمع رأيهم على أن لا يعطيه سنة شيئًا. قال: فقام أبوه على

ذلك، قال: فذكر له عن ابنه حاتم ما هو فيه من الضر والضيق، قال: فبعث إليه بمائة ناقة حمراء فلما وقفت عليه قال حاتم: من أخذ شيئًا فهو له. فأخذوها كلها، فدعاه أبوه فقال: يا بني ما تصنع؟ قال: والله يا أبت لقد بلغ مني الجوع شيئًا لا يسألني أحد شيئًا إلا أعطيته إياه.

ما كذبت قط

قال الشافعي: ما كذبت قط، ولو كذبت كذبت في هذا، في شيء مدح به أهل المدينة أو مالك، وقال الشافعي: ما حلفت بالله صادقًا ولا آثمًا.

إياك أسأل، أصلحك الله

قال يونس بن عبد الأعلى: سئل الشافعي عن مسألة وأنا حاضر، فقال: يا يونس أجب فيها. فقلت: إياك أسأل أصلحك الله، قال: أجب فيها، قلت: يلتمس منك الجواب، إن الجواب فيها بعيد غير أني أعدله علة وأكره أن أجيب عن مسألة فيقال لي: من أين قلت؟ فأسكت.

احملوني على حمار فإنه من يموت عليه كريم

قال الشافعي: لما حضرت الحطيئة الوفاة قيل له: أوصِ، قال. أوصي المساكين بالمسألة، فقيل له: أوص في مالك، قال: مالي للذكور دون الإناث، قيل: ليس هذا قضاء الله، قال: لكني أقوله، ثم قال: احملوني على حمار فإن من يموت عليه كريم.

بقدر ما نفهم عنه

قال يونس بن عبد الأعلى: كان الشافعي يكلمنا بقدر ما نفهم عنه، ولو كلمنا بحسب فهمه ما عقلنا عنه.

مرت بنا سنون ثلاث

قال الشافعي: وقف أعرابي على عبد الملك بن مروان فسلم ثم قال: رحمك الله، مرت بنا سنون ثلاث، أما إحداها فأهلكت المواشي، وأما الثانية فأنضبت اللحم، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم، وعندك مال، فإن كان لله فأعط عباد الله، وإن كان لك فتصدق فإن الله يجزي المتصدقين. فأعطاه عشرة آلاف درهم، وقال: لو كان الناس يحسنون يسألون هكذا ما حرمنا أحدًا.

لترون متاعكم في الصحراء

قال الشافعي: نزل قوم بامرأة من أهل اليمن فجعلت تخرج لهم شيئًا، قال: فقلنا لها: إن معنا شيئًا. قالت: فما تريدون؟ تنزلون عندي وتأكلون طعامكم؟ لا كان هذا أبدًا، والله لو فعلتم هذا لترون متاعكم في الصحراء[1].

فصب له بالقلة

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا رأت العامة الرجل يناظر الرجل فأعلى صوته وجعل يضحك منه فصب له بالقلة.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٦-١٣٧).

فكن من أهل طاعة الله

قال المزني: سمع رجل رجلاً يمدح أخًا له فقال: إن كان ليملأ العين جمالاً، والأذن بيانًا، فقال له رجل: أعد عليَّ، يرحمك الله!. قال: نعم! أعيد عليك من غير تهاتر مني ولا نكاية لك ولا تزكية له. قال: وسمعت الشافعي يقول: ما أحد ينجم إلا له من يمدح ويذم، فإذا لم يكن بد فكن من أهل طاعة الله.

وكان الشتاء قيظًا

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: لما قتل عبد الله بن الزبير وجد في تابوت له حق، وفتح فإذا فيه بطاقة مكتوب فيها: إذا غاض الكرم غيضًا، وفاض اللئام فيضًا، وكان الشتاء قيظًا، وكان الولد غيظًا، فاغبر غبر، في جبل وعر، خير من ملك بني النضير.

فلعلك حداد

قال الربيع: رأيت الشافعي وجاءه رجل يسأله مسألة، فقال: من أهل صنعاء أنت؟ قال: نعم!، قال: فلعلك حداد؟ قال: نعم!، قال: وجاءه رجل من أهل مصر يوم الجمعة عليه ثياب الجمعة يسأله عن مسألة، فقال له: أنت نساج؟ فقال: عندي أجراء.

يا بغيض

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول في ذكر هؤلاء القوم الذين يبكون عند القراءة، فقال: قرأ رجل وإنسان حاضر: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ (محمد:٤)، فجعل الرجل يبكي، فقيل له: يا بغيض! هذا موضع البكاء؟!

ما تعدون البلاغة فيكم؟

قال الشافعي: وقف أعرابي على ربيعة وهو يسجع في كلامه فأعجب ربيعة كلام نفسه فقال: يا أعرابي ما تعدون البلاغة فيكم؟ فقال: خلاف ما كنت فيه منذ اليوم.

ما أبعدك من ذلك

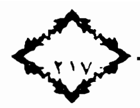
قال الربيع: سمعت الشافعي يقول لابن مقلاص: يا أبا علي، أتريد أن تحفظ الحديث وتكون فقيهًا؟ هيهات، ما أبعدك من ذلك[1].

ما حرفة الرجل؟

قال الحميدي: كنت مع الشافعي ومحمد بن الحسن يتفرسان الناس، فمر رجل فقال محمد بن الحسن للشافعي: أحرز. فقال الشافعي: قد رابني أمره، إما أن يكون نجارًا أو خياطًا. قال الحميدي: فقمت إليه فقلت: ما حرفة الرجل؟ فقال: كنت نجارًا وأنا اليوم خياط.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٨-١٣٩).



ليس العاقل

قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: ليس العاقل الذي يدفع بين الخير والشر فيختار الخير، ولكن العاقل الذي يدفع بين الشرين فيختار أيسرهما.

ما رأيت الدنيا

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: دخلت العراق؟ قلت: لا! قال: ما رأيت الدنيا.

النصيحة

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: من وعظ أخاه سرًا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه[١].

حدثني بالأصل وجئتكم بالتفسير

قال الشافعي: خرجنا من مكة في سنة جدباء، فلما صرنا في بعض الطريق عارضنا رجل على جمل، فقلنا: من يقوم إليه فيسأله عن عيالنا؟ فقام إليه رجل ممن كان في الرحل معنا، فلم يلبث إلا يسيرًا ثم جاء إلينا فجعل يحدثنا عنه بكلام كثير، فقلنا: حدثك الرجل بكلام يسير وأنت تحدثنا منذ اليوم، فقال: حدثني بالأصل وجئتكم بالتفسير.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٣٩-١٤٠).

لا تقوم الساعة حتى تصير للكع بن لكع

قال الشافعي: كان حماد البربري واليًا علينا بمكة فزادوه اليمن، فقلت لأمي: ما ندري وما أملي لهذا الرجل، ولي مكة وزِيْدَ اليمن. فقالت: يا بني إن الحجر إذا سما كان أشد سقوطًا. فقلت: يا أمه! صدق رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تصير للكع بن لكع**»[1]، فقالت: يا بني وأين لكع بن لكع؟ رحم الله لكع بن لكع منذ زمن طويل.

حكمة الشافعي

قال عبد الله بن وهب: سمعت الشافعي يقول:

وأنطقت الدراهم بعد صمت * أناسًا بعدما كانوا سكوتًا**

فما عطفوا على أحد بفضل * ولا عرفوا لمكرمة ثبوتًا**

من يرى الجن؟

قال القشيري: سمعت الشافعي يقول: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، يقول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في كتابه: ﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ**﴾ (الأعراف: ٢٧).

أي شيء هذا؟

قال الشافعي: قال ابن عباس لرجل: أي شيء هذا؟ فأخبره، قال: ثم أراه شيئًا أبعد منه، فقال: أي شيء هذا؟ قال: انقطع الطرف دونه، قال: فكما جعل لطرفك حد ينتهي إليه، كذلك جعل لعقلك حد ينتهي إليه.

عجائب الشافعي

قال الشافعي: رأيت بالمدينة ثلاث عجائب لم أر مثلها قط، رأيت رجلاً فلس في مد من نوى فلسه القاضي، ورأيت رجلاً له سن شيخ كبير خضيب يدور على بيوت القيان ماشيًا يعلمهم الغناء، فإذا حضرت الصلاة صلى قاعدًا، ورأيت رجلاً أعسر يكتب بشماله وهو يسبق من يكتب بيمينه.

وما في الدنيا مثل مصر

قال الشافعي: يقول الناس: ما العراق، وما في الدنيا مثل مصر للرجال، لقد قدمت مصر وأنا مثل الصبي ما أتحرك، فما برح من مصر حتى ولد له جاريته دنانير أبو الحسن وتزوج الشافعي امرأة زهرية بنت أبي زرارة الزهري ثم أنه طلقها بعد أن دخل بها.

إياك والرواية عن الأحياء

قال محمد بن عبد الحكم: ذاكرت الشافعي يومًا بحديث وأنا غلام، فقال: من حدثك به؟ قلت: أنت، قال: في أي كتاب؟ قلت: كتاب كذا وكذا، فقال: ما حدثتك به من شيء فهو كما حدثتك، وإياك والرواية عن الأحياء.

قصة الشافعي مع الأحمق

قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبتها وجمعتها، ثم لما حان انصرافي مررت على رجل في الطريق

وهو محتب بفناء داره، أزرق العين ناتىء الجبهة هناط، فقلت له: هل من منزل؟ فقال: نعم، قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة فأنزلني فرأيته أكرم ما يكون من رجل، وبعث إلي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف، فجعلت أتقلب الليل أجمع، ما أصنع بهذه الكتب إذا رأيت النعت في هذا الرجل؟ فرأيت أكرم رجل، فقلت: أرمي بهذه الكتب، فلما أصبحت قلت للغلام: أسرج، فأسرج فركبت ومررت عليه وقلت له: إذا مررت بمكة فأسأل عن محمد بن إدريس الشافعي فقال لي الرجل: أمولى لأبيك أنا؟ قال: قلت: لا! قال: فهل كانت لك عندي نعمة؟ فقلت: لا، فقال: أين ما تكلفته البارحة؟ قلت: وما هو؟ قال: اشتريت لك طعامًا بدرهمين، وكراء الفرش واللحاف درهمين، قال: وعطرًا بثلاث دراهم وعلف لدابتك بدرهمين، قال: قلت: يا غلام أعطه، فهل بقي من شيء؟ قال: كراء البيت فإني قد وسعت عليك وضيقت على نفسي، قال الشافعي: فغبطت بتلك الكتب، فقلت له: لك من شيء؟ قال: امض أخزاك الله، فما رأيت قط شرًا منك.

من يتقي العار

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي العار، قال: وسمعت الشافعي يقول: ما رفعت أحدًا فوق منزلته إلا وضع مني بمقدار ما رفعت منه.

من حكيم إلى حكيم

قال الشافعي: كتب حكيم إلى حكيم: يا أخي قد أوتيت علمًا فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

كفى بالعلم فضيلة

قال الشافعي: كفى بالعلم فضيلة أن يدعيه من ليس فيه ويفرح إذا نسب إليه، وكفى بالجهل شرًا أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

ما أفلح سمين قط

قال الحسن بن إدريس: سمعت الشافعي يقول: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل له: ولِمَ؟ قال: لأن العاقل لا يخلو من إحدى خلتين، إما أن يغتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الغم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم فيعقد الشحم.

الشافعي ومؤدب الأمراء

قال نهشل بن كثير: أدخل الشافعي يومًا إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين، ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله! هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهو مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل الشافعي على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.

الزوجة الجديدة

قال الشافعي: تزوج رجل امرأة ـ وله قديمة ـ قال: وكانت جارية الجديدة تمر بباب القديمة فتقول:

وما تستوي الرجلان رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت**

ثم تمر بها فتقول أيضًا:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلا * وثوب بأيدي البائعين جديد**

فأنكرت على الشافعي أن يفتي

قال الربيع: كنت عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فقرأها ووقع فيها ومضى الرجل، فتبعته إلى باب المسجد فقلت: والله لا تفوتني فتيا الشافعي فأخذت الرقعة من يده فوجدت فيها:

سل العالم المكي هل من تزاور * وضمة مشتاق الفؤاد جناح**

فإذا قد وقع الشافعي:

فقلت: معاذ الله أن يذهب التقى * تلاصق أكباد بهن جراح**

قال الربيع: فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا فقلت: يا أبا عبد الله تفتي بمثل هذا شابًا؟ فقال لي: يا أبا محمد هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر ـ يعني شهر رمضان ـ وهو حدث السن، فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطئ؟ فأفتيته بهذه الفتيا، قال الربيع: فتبعت الشافعي فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ما قال الشافعي، فما رأيت فراسة أحسن منها[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٥٠).

يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟!

قال المزني: قدم الشافعي بعض قدماته من مكة فخرج إخوان له يتلقونه، وإذا هو قد نزل منزلاً وإلى جانبه رجل جالس وفي حجره عدد، فلما فرغوا من السلام عليه قالوا له: يا أبا عبد الله أنت في مثل هذا المكان؟ فأنشأ يقول:

وأنزلني طول النوى دار غربة ✲✲ مجاورتي من ليس مثلي يشاكله

تحملته حتى يقال سجية ✲✲ ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

فليشهد الثقلان أني رافض

يحكى أن الشافعي عابه بعض الناس لفرط ميله إلى أهل البيت وشدة محبته لهم إلى أن نسبه إلى الرفض فأنشأ الشافعي في ذلك يقول:

قف بالمحصب من منى فاهتف بها ✲✲ واهتف بقاعد خيفها والناهض

إن كان رفضا حب آل محمد ✲✲ فليشهد الثقلان أني رافض

الشافعي وأصحاب مالك

قال النيسابوري: حدثني بعض أصحابنا أن محمد بن إدريس الشافعي لما دخل مصر أتاه جلة أصحاب مالك وأقبلوا عليه فابتدأ يخالف أصحاب مالك في مسائل فتنكروا له وحصروه فأنشأ يقول:

أأنثر درًا وسط سارحة النعم ✲✲ أأنظم منثورًا لراعية الغنم

لعمري لئن ضيعت في شر بلدة ✲✲ فلست مضيعًا بينهم غرر الحكم

فإن فرج الله اللطيف بلطفه ✲✲ وصادفت أهلاً للعلوم والحكم

بثث مفيداً واستنفدت وداده ❁❁❁ وإلا فمكنون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ❁❁❁ ومن منع المستوجبين فقد ظلم

جنونك مجنون

قال الربيع: كنت عند الشافعي فجاء رجل فكلمه بكلام، فأنشأ الشافعي يقول:
جنونك مجنون ولست بواجد ❁❁❁ طبيباً يداوي من جنون جنون[1]

وكأن له عينين في قفاه

قال الشافعي: دخل رجل من بني كنانة على معاوية بن أبي سفيان فقال له: هل شهدت بدراً؟ قال: نعم! قال: مثل من كنت؟ قال: غلام قمدود مثل عطباء الجلمود، قال: فحدثني ما رأيت وحضرت، قال: ما كنا إلا شهوداً كأغياب، وما رأينا ظفراً كان أوشك منه، قال: فصف لي ما رأيت، قال: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب غلاماً شاباً ليثاً عبقرياً يفري الفرى، لا يثبت له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئاً إلا هتكه، لم أر من الناس أحداً قط أنفق عليه، يحمل حمله، ويلتفت التفاته كأنه ثعلب زواغ، وكأن له عينين في قفاه، وكأن وثوبه وثوب وحش، يتبعه رجل، معلم بريش نعامه كأنه جمل يحطم يبساً لا يستقبل شيئاً إلا هده، ولا يثبت له شيء إلا ثكلته أمه، شجاع أبله، يحمل بين يديه، ولا يلتفت وراءه، قيل: هذا حمزة بن عبد المطلب عم محمد ﷺ، قال: فرأيت ماذا؟ قال: رأيت ما وصفت لك ورأيت جدك عتبة وخالك الوليد حين قتلا، ورأيت ما وصفت لمن حضر من أهلك لم يعفو عنه،

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٧).

قال: فكنت من المنهزمين؟ قال: نعم ما انهزمت عشيرتك فإني كنت منهم؟ قال: لما انهزمت كنت في سرعانهم، قال: فأين رحت، قال: ما رحت حتى نظرت إلى الهضاب، قال: لقد أحسنت الهرب، قال: فعلى ما احتبسه أبوك وبعده ما اتعظت بمصرع كمصرع جدك وخالك وأخيك، قال: إنك لغليظ الكلام، قال: إني حمل يفر، قال: إنكم تبغضون قريشًا، قال: أما من كان منهم أهله فنبغضه، قال: ومن الذين هم أهله؟ قال: من قطع القرابة واستأثر بالفيء وطلب الحق فلما أعطيه منعه، قال: ما فيكم خير من أن يسكت عنك، قال: ذاك إليك، قال: قد فعلت، قال: قد سكت[1].

الشافعي والغرباء

قال البويطي: إن الشافعي كتب يقول: أن انصب نفسك للغرباء وأحسن خلقك لأهل خاصتك، فإني كثيرًا ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرموها ❊❊❊ ولن تكرم النفس التي لا تهينها

تفقه يعلمك الله

قال حسين الكرابيسي: سمعت الشافعي يقول: كنت امرأ أكتب الشعر فآتي البوادي فأسمع منهم، قال: فقدمت مكة فخرجت منها وأنا أتمثل بشعر للبيد وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من خلفي من الحجبة، فقال: رجل من قريش ثم ابن عبد المطلب رضى من دينه ودنياه أن يكون معلمًا، ما

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:١٤٥).

الشعر؟ هل الشعر إذا استحكمت فيه إلا قصدت معلمًا، تفقه يعلمك الله، قال: فنفعني الله بكلام ذلك الحجبي.

الشافعي والكلاب

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول:

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة *** وإننا لا نرى مما نرى أحدًا

إن الكلاب لتهدأ في مرابضها *** والناس ليس بهاد شرهم أبدًا

فانجع بنفسك واستأنس بوحدتها *** تبقى سعيدًا إذا ما كنت منفردًا

هو ذاك يا بني!

قال الشافعي: ذكروا أن معاوية بن أبي سفيان اعتمر فلما قضى عمرته وانصرف بالأبواء فاطلع في بئرها العادية فضربته اللقوة فاعتم بعمامة سوداء أسبلها على شقه ثم استوى جالسًا، فأذن للناس فدخلوا عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد . . فإن ابن آدم يعرض للبلاء ليؤجر ويعاقب بذنب أو يعتب ليعتب، ولست مخلوًا من واحدة من ثلاث فإن ابتليت فقد ابتلي الصالحون قبلي، وأرجو أن أكون منهم، وإن عوفيت فقد عوفي الصالحون قبلي، وما آمن أن أكون منهم، وإن مرض عضو مني فما أحصى صحتي وما عوفيت منه أطول، أنا اليوم ابن ستين سنة، فرحم الله عبدًا دعا لي بالعافية، فوالله لئن عتب على بعض خاصتكم فإني لحدث على عامتكم، ثم بكى، فارتفع الناس عنه فقال له مروان بن الحكم: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: وقفت والله عما كنت عليه عروفًا وكثر الدمع في عيني وابتليت في أحبتي، وما يبدو مني، ولولا

هواي في يزيد ابني لانصرف قصدي، فلما اشتد وجعه كتب إلى ابنه يزيد: أدركني وسرج له البريد، قال: فخرج يزيد وهو يقول:

جاء البريد بقرطاس يحث به * فأوجس القلب من قرطاسه فزعا**

قلنا لك الويل ماذا في صحيفتك * قالوا الخليفة أمسى مثبتًا وجعا**

فمادت الأرض أو كادت تميد بنا * كأنما مضر أركانها انقلعا**

ثم انبعثنا إلى حوض مزممة * نرمي العجاج بها لا تأملي سرعا**

فما نبالي إذا بلغن أرجلنا * ما يأت منهن بالمرماة أو طلعا**

أودي ابن هند وأودي المجد يتبعه * كانا جميعًا خليطًا حطتان معا**

أغر أملح يستسقي الغمام به * لو قارع الناس عن أحلامهم قرعا**

لا يرفع الناس ما أوهى وإن جهدوا * يومًا لديه ولا يوهون ما رقعا**

قال: فانتهى يزيد إلى الباب وبه عثمان بن عنبة، قال: فقال له: مالك بجنب عن أمير المؤمنين؟ قال: فأخذ بيده فأدخله على معاوية فإذا هو مغمى عليه، قال: فانكب عليه يزيد ثم التفت إلى عثمان بن عنبة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون يا عثمان.

لو فات شيء لفات أبو * حيان لا عاجز ولا وكل**

الحول القلب إلا ريب فما * تنفع وقت المنية الحول**

قال: صه، فرفع معاوية رأسه فقال: هو ذاك يا بني! والله ما أصبحت أتخوف على شيء فعلته إلا ما فعلته من أمرك، فإذا أنا مت فانظر كيف يكون، صحبت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وتبعته بإداوة من ماء أصبه عليه فقال: **«ألا أكسوك؟»**[1]، قلت: بلى يا رسول الله! فكساني إحدى قميصيه الذي يلي جلده، وقد أخذ رسول الله ﷺ من شعره وأظفاره فأخذت وهو في موضع

---

(١) الحديث صحيح: وراجع «معاوية رضي الله عنه الخليفة المفترى عليه» رسالة قيمة، للشيخ/ سعيد عبد العظيم.

كذا، فإذا أنا مت فأشعرني ذلك القميص، دون كفني، واجعل ذلك الشعر والأظفار في فمي وفي منحري، فإن يقع شيء فذاك وإلا فإن الله غفور رحيم، قال: ثم توفي معاوية[1].

أصلح الله الأمير

قال الشافعي: دخلت على بعض ولد الخلافة وابن دأب عنده فسلمت عليه فقال: ممن أنت؟ فقلت له: من ولد عبد المطلب، فأعجلني وقال: المطلب بن أبي وداعة؟ قلت: لا، قال: المطلب بن حنطب؟ قلت: لا.

فقال: فضرب ابن دأب يده على فخذه، وقال: أصلح الله الأمير، هذا والله ابن المطلب بن عبد مناف الذي كان أبواه أبويك وأخواه هاشم وعبد شمس يتوسطانه لشرفه في الجاهلية، يضع له هذا رداءه فيتكئ عليه، فإذا أعياه وضع له الآخر رداءه فاتكأ عليه.

هذا لك

قال الشافعي: كنت صبيًا بمكة فرأيت في المنام رجلاً ذا هيبة يؤم الناس في المسجد الحرام فلما فرغ من صلاته أقبل على الناس يعلمهم، قال: فدنوت منه فقلت: علمني، فأخرج ميزانًا من كمه فأعطاني فقال: هذا لك، قال الشافعي: وكان ثم مُفسر فعرضت عليه، فقال: إنك تبلغ وتصير إمامًا في العلم وتكون على السبيل والسنة لأن إمام المسجد الحرام أفضل الأئمة وفوقهم، وأما الميزان فإنك تعلم حقيقة الشيء في نفسه.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٥٤-١٥٥).

بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ كله!

قال الشافعي: حضرت مجلسًا ومحمد بن الحسن بالرقة وفيه جماعة من بني هاشم وقريش وغيرهم ممن ينظر في العلم، فقال محمد بن الحسن: قد وضعت كتابًا لو علمت أن أحدًا يرد علي منه شيئًا تبلغنيه الإبل لأتيته، قال: فقلت له: قد نظرت في كتابك هذا، فإذا بعد بسم الله الرحمن الرحيم خطأ كله، قال: وما ذاك؟ قلت له: قلت: قال أهل المدينة وليس تخلو في قولك: «قال أهل المدينة»، من أن تكون أردت جميع أهل المدينة، أو تكون أردت بقولك: «قال أهل المدينة» مالك بن أنس على انفراده، فإن كنت أردت بقولك: قال أهل المدينة جميع أهل المدينة فقط أخطأت لأن علماء أهل المدينة لم يتفقوا على ما حكيت عنهم، وإن كنت أردت بقولك مالك بن أنس على انفراده وجعلته أهل المدينة فقد أخطأت، لأن المدينة من علمائها من يرى استتابة مالك فيما خالفه فيه، فأي الأمرين قصدت له فقد أخطأت، قال: فتبين لأهل المجلس ذلك وسر به أكثر من حضر من أهل الحجاز[1].

امض بارك الله فيك

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم فقال لي: يا غلام، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ممن أنت؟ قلت: من رهطك يا رسول الله، قال: ادن مني فدنوت، فأخذ من ريقه ففتحت فمي، فأمر من ريقه على لساني وفمي وشفتي وقال: امض بارك الله فيك، فما أذكر أني لحنت في حديث بعد ذلك ولا شعر[2].

(١) البيهقي «المناقب» (جـ١، ص: ٨٢، ٩٩، ١٠١).
(٢) الفخر الرازي «توالي التأسيس» (ص: ٥٢).



يا فتى عَزَّ علي أن لا تكون في العلم والفقه

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: خرجت من مكة فلزمت هزيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ بلغتها، وكانت أفصح العرب، فأقمت معهم مدة أرحل برحيلهم وأنزل بنزلهم فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر أيام الناس فمر بي رجل من الزمريين فقال لي: يا أبا عبد الله عز علي أن لا تكون في العلم والفقه هذه الفصاحة والبلاغة، قلت: من بقى ممن يقصد؟ فقال: مالك بن أنس سيد المسلمين، قال: فوقع ذلك في قلبي، وعمدت إلى الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته، ثم دخلت على والي مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة وإلى مالك بن أنس فقدمت المدينة، فبلغت الكتاب فلما قرأ والي المدينة الكتاب قال: يا بني، إن أمشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيًا راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك، فإني لست أرى الذل حتى أقف على بابه، فقلت: إن رأى الأمير أن يوجه إليه يحضر، فقال: هيهات، ليت أني إن ركبت أنا ومن معي وأصابنا تراب العقيق يقضي حاجتنا، فواعدته العصر وقصدنا، فتقدم رجل وقرع الباب، فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إنني بالباب.

فدخلت فأبطأت ثم خرجت، فقالت: إن مولاي يقول: إن كانت مسألة فارفعها إلي في رقعة حتى يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة مهم، فدخلت ثم خرجت وفي يدها كرسي فوضعته، فإذا بمالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطيلس.

فدخل إليه الوالي الكتاب فبلغ إلى قوله: إن هذا رجل شريف من أمره وحاله، فتحدثه وتفعل وتصنع فرمى بالكتاب من يديه وقال: يا سبحان الله، قد صار علم رسول الله ﷺ بالوسائل؟!

قال: فرأيت الوالي وهو يهابه أن يكلمه، فتقدمت إليه فقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبي، من حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليَّ ساعة، وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، قال: يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، قلت: نعم وكرامة، فقال: إذا كان غداً تجيء وتجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت: إني أقرأ ظاهراً، قال: فغدوت إليه وابتدأت، فكلما تهيت مالكًا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي، يقول: يا فتى زد، حتى قرأته عليه أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك بن أنس رضي الله عنه [١].

قصة الرحلة في طلب العلم



قال الشافعي: طلبت هذا الأمر على ضيق من ذات اليد، كنت أجالس أهل العلم والحفظ ثم اشتهيت أن أدون بعض ما أسمع، وكنا ننزل بالقرب من شعب الخيف بمكة، وكنت أتبع العظام والأكتاف وأكتب فيها، حتى جمعت من ذلك في دارنا جُبين، ثم إن رجلاً من المطلبيين ولي بعض ناحية من اليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي، وسألتهم أن يمشوا إليه ويسألوه استصحابي ففعل ذلك، وصحبته إلى ناحية اليمن، وكان بها من قواد هارون رجل يقال له: حماد البربري فكتب إليه يخوفه شأن العلويين، ويذكر له شأني، ويقول: إن معه

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ٦٩).

رجلاً يقال له: محمد بن إدريس يعمل بلسانه ما لا يعمل المقاتل بسيفه، فإن كانت لك بالحجاز حاجة فاحملهم منها، فورد الكتاب فحملت أنا والطالبي وجماعة معنا فأدخلنا على هارون عشرة عشرة، وقد مضى أكثر الليل، فجعل يقيم منا واحدًا واحدًا، فيتكلم من وراء الستر فيأمر بضرب عنقه حتى انتهى ذلك إلي، فقلت: يا أمير المؤمنين عبدك وخادمك: محمد بن إدريس فقال: اضرب عنقه، فقلت: يا أمير المؤمنين أقول وتسمع ويدك الباسطة، وسلطانك المنيع، ولا يفوتك مني ما تريد، قال: قل، قلت: يا أمير المؤمنين، كأنك اتهمتني بالانحراف عنك والميل إلى هؤلاء القوم؟ وسأضرب لك مثلك ومثلهم معي: ما يقول أمير المؤمنين في رجل له ابنا عم، أحدهما خلطه بنفسه، وأشركه في نسبه وزعم أنه مثله وأن ماله حرام عليه إلا بإذنه، وأن ابنته حرام عليه إلا بتزويجه وأنه يرى له عليه كما يرى له لنفسه، والآخر زعم أنه دونه وأنه في النسب أعلى منه وأنه عبده وأن ابنته أمته وأنها تحل له بغير إذنه وأن ماله فيء له، فلمن تراه يتولى أمير المؤمنين؟ فهذا أنت وهؤلاء، قال: واستعادني القول ثلاث مرات، كل ذلك أرد عليه بمعنى واحد بألفاظ مختلفة، قال: احبسوه، فحبست في دار العامة وكنت لا أدري أحدًا آنس به إلا محمد بن الحسن وكنت أميل إليه للفقه وآمل أن يشفع لي عند السلطان، فحضر يومًا فأقبل يذم المدينة، ويضع من أهلها ويذكر أصحابه ويرفع من أقدارهم ويذكر أنه وضع على أهل المدينة كتابًا يقول: إني لو وجدت أحدًا ينقض من كتابي حرفًا تنقلني إليه أكباد الإبل لَسِرْتُ إليه فرأيت وجوه المهاجرين والأنصار، وإنها لتسود مما يسمعون في المدينة وأهلها، ورأيت أصحاب محمد بن الحسن، وإن وجوههم لتشرق وتبيض مما يسمعون من مدح أصحابهم، فتمثلت بين أمرين: بين أن يزداد السلطان علي غضبًا وأبيض وجوه المهاجرين والأنصار، وبين أن أسكت عن ذلك رجاء أن

يكون محمد بن الحسن يشفع لي عند السلطان فاخترت رضا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في ذلك الموضع فجثوت بين يديه، ثم قلت: أبا عبد الله أراك أصبحت تهجو المدينة وتذم أهلها؟!

فإن كنت أردتها فإنها حرم رسول الله ﷺ وأمنه ودار الهجرة، بها نزل الوحي وفيها خلق ﷺ وبها قبره، وسماها رسول الله ﷺ طابة، فيها روضة من رياض الجنة، ولئن كنت أردت أهلها فهم أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره وأنصاره الذين مهدوا للإيمان وحفظوا الوحي وجمعوا السنن، ولئن كنت أردت من القوم رجلاً واحدًا وهو مالك بن أنس رحمه الله فما عليك لو سميت من أردت ولم تذكر المدينة بما ذكرت؟! فقال: ما أردت إلا مالك بن أنس، قلت: وقد قرأت كتابك الذي وضعته عليهم فوجدت ما بين قولك: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد» خطأ.

ووجدتك ترد فيه من كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مائة وثلاثين موضعًا: فقلت في رجلين تداعيا جدارًا ولا بيِّنة بينهما: إن الجدار لمن تليه أنصاف اللبن ومعاقد القمط، وقلت في متاع البيت يدعيه الزوجان: ما كان يصلح للرجال فهو للرجل وما كان يصلح للنساء فهو للمرأة، وقلت في الرجل يجحد ولدًا جاءت به امرأته ويقول: استعيرتيه ولم تلديه، أنه تقبل شهادة القابلة، وقلت في الرفاف يدعيها الساكن ورب الحانوت: «إن كانت ملزقة فهي للساكن، وإن كانت مبنية فهي لرب الحانوت»، فقلت في هذا وأمثاله ـ وذكرت له الأحكام كلها ـ بغير بينة ولا يمين، وقد قضى رسول الله ﷺ، وقول علي بن أبي طالب، وقول الحكام عندنا بالحجاز، وأنت تقول هذا برأيك وترد علينا السنة؟ وذكرت له أشياء مما خالفنا وترك السنن، وكان على الدار يومئذ هرثمة فكتب الخبر، وابيضت وجوه الأنصار والمهاجرين لما سمعوا في دار الهجرة من نصرة الحق، وعلت محمد بن

الحسن وأصحابه القترة، فلما دخل هرثمة على أمير المؤمنين سأله عن خبر الدار، فقرأ عليه الخبر فقال هارون: وما أنكر محمد بن الحسن أن يقطعه رجل من عبد مناف؟ اخرج إلى الشافعي وابدأه برضائي عنه قبل السلام واقرأ عليه مني السلام وأخبره أني قد أمرت له بخمسة آلاف دينار، فقال هرثمة: لولا أن الخليفة لا يساوي لأمرت لك بمثلها وقد أمرت لك بأربعة آلاف دينار، فألق غلامي، قال الشافعي: جزاك الله عنا خيرًا، لولا أني لا أقبل جائزة إلا ممن هو فوقي لقبلت جائزتك فعجل ما أمر به أمير المؤمنين، فأعطاه هرثمة المال، فأخذه ودعا بالحجام فأخذ من شعره وأعطاه خمسين دينارًا، وأخذ ما بقى فجعل يصره صرة ويكتب به رقاعًا فيقسمه في أهل مكة القرشيين الذي بالحضرة فما انصرف إلى منزله إلا بأقل من مائة دينار وأمره هرثمة بالتأهب للدخول على أمير المؤمنين فأصلح من شأنه، فدخل ومحمد بن الحسن عند أمير المؤمنين فتكلما بين يديه فقال له الشافعي: ما تقول في القسامة؟ فقال: استفهام.

فقال: كفر والله يا أمير المؤمنين، يزعم أن رسول الله ﷺ يحتاج أن يستفهم يهود.

فقال هارون: السيف والنطع، فلما أمر بهما هالني، فقلت: يا أمير المؤمنين، لئن جحدها في هذا الموضع فلقد قال بها في غيره، ولكن المتناظران إذا تناظرا كاد كل واحد منهما أن يدفع عن نفسه ما تقوم به الحجة لصاحبه، فكأنما سرى عن أمير المؤمنين فصفح عنه.

فلما خرجنا من عنده قال: يا أبا عبد الله لقد أحللت دمي، فقلت: لئن فعلنا لقد خلصناك[1].

---

(١) البيهقي «مناقب الشافعي» (جـ١، ص:١١١-١١٧).

قد خلقك الله الآن

قال الشافعي: لم يزل محمد بن الحسن عندي عظيمًا جليلاً أنفقت على كتبه ستين دينارًا حتى جمعني وإياه مجلس عند هارون الرشيد، فابتدأ محمد بن الحسن، فقال: يا أمير المؤمنين إن أهل المدينة خالفوا كتاب الله عزَّ وجلَّ نصًا وأحكام رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين وقضوا بشاهد ويمين.

قال الشافعي: فأخذني ما قرب وما بعد فقلت: إني أراك قد قصدت لبيت النبوة ومن أنزل القرآن فيهم وأحكمت الأحكام فيهم وقبر رسول الله ﷺ بين أظهرهم، ثم عمدت تهجوهم، أرأيت أنت بأي شيء قبلت شهادة القابلة وحدها حتى ورثت من خليفة ملك الدنيا مالاً عظيمًا؟

فقال: بعلي بن أبي طالب! قلت: فعلي إنما رواه عنه رجل مجهول يقال له: عبد الله بن نجي ورواه عن عبد الله بن جابر الجعفي وكان يتهم بالرجعة، وقال سفيان بن عيينة: دخلت على جابر فسألني عن شيء من أمر الكهنة.

ونحن معنا قضاء رسول الله ﷺ يعني بشاهد ويمين مع قضاء علي بن أبي طالب بالكوفة ورأيت أنت أي شيء تقول في القسامة؟ فقال: استفهام، قال: قلت: وتزعم أن رسول الله ﷺ كان يحكم في أمته بالاستفهام، يسألهم ثم لا يحكم لهم، قال: فسمعها هارون فدعا بالسيف والنطع.

قال الشافعي: فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا قوله وإنه ليحكم بخلاف هذا أعني أنهم يحلفون ويغرمون الدية، ولكن المتناظران إذا تناظرا أحب كل واحد منهما أن يدخل على صاحبه حجة يكيده بها، قال: فسري عن هارون فلما خرجنا قال لي: كنت قد أشطت بدمي، فقلت: قد خلقك الله الآن[1].

---

(١) الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» (جـ٢، ص: ١٧٨).

اختيار الجباة

قال الشافعي: أراد هارون أمير المؤمنين أن يوجه جباة أمناء إلى اليمن فجعلوا يطلبون فجمع ستة أنفس وضممت إليهم وأنا أصغرهم سنًا فوجهنا إلى اليمن في جباية خراجها فجعلنا نأخذ من أغنيائها فنرد على فقرائها استعمال حديث النبي ﷺ حين بعث معاذًا إلى اليمن فقيل لأمير المؤمنين: إن الذين بعثتهم لا يوجهون إلى بيت المال شيئًا، قال: فاغتاظ لذلك فقال: يشخصون إلينا، فردونا: فلما رجعنا أحسست بالقتل، أو بأمر عظيم فتنورت وتكفنت وأصبحت صائمًا وأدخلنا عليه وأجلسنا من بعيد، ثم جعل يقدم منا واحدًا واحدًا إليه فيقام بين يديه فيقول له: أين كنت؟ فيقول: بعثني أمير المؤمنين في جباية خراج اليمن، فيقول: أين ما جئتم به؟ فيقول: فعلنا ما أمر به رسول الله ﷺ، فيقول له الخليفة: فنحن لسنا بشيء ادخل ذلك البيت ـ لبيت أراه لبود ـ فيدخل فأحس بوقع رأسه حتى جاءتني نوبة، فأقمت إقامة هالتني حتى نصبوني بين يديه فقال لي: أين كنت؟ فقلت: باليمن، فقال: فماذا فعلت في جباية خراجها؟ فتكلمت بما حضرني من الكلام فأخذ قضيبًا من خيرزان بيده وأخذ ينكت به في الأرض إذ دخل أبو يوسف، فقال: الشاب الشافعي جاءك يا أمير المؤمنين هذا ابن عمك، هذا الشاب الذي كنت أصفه لك، قال: ولم يدع شيئًا من نشر الجميل وحسن الثناء، فيقول له أمير المؤمنين: اسكت فوالله ما رأيت عربية قط أعذب مما رأيتها من هذا الرجل، ثم أعاد عليه المسألة فقال: أين كنت؟ فتكلمت فقدمت وأخرت وجئته بلغات، والمعنى ما كنت قلته في المرة الأولى، فلما فرغت أخذ أبو يوسف أيضًا يمدحني ويثني عليّ فقال له أمير المؤمنين: فإنا قد عفونا عنك، فأقمت، فأخرجت فلما بلغنا موضع كذا



وكذا من القصر إذا برسولٍ قد جاءني، فلما رأيتهم قلت: إنا لله قد بدا له، أو لأبي يوسف فسلموا علي وقالوا: قد عفا عنك أمير المؤمنين وأمر لك بمال فحمدت الله حتى بلغت الباب، إذا برسل آخرين فلما رأيتهم اغتممت حتى دنوا فسلموا علي وقالوا: اقصد قصر كذا وكذا، فإنه أمر لك بمال، وأمرك أن تنزل القصر، وأبو يوسف يقرأ عليك السلام ويقول: صنف الكتب فإنك أولى من صنف في زمانك وإياك أن تتكلم في مسألتين أعرفهما من قولك، فإنهما هكذا وأشار إلى حلقه ـ يعني الذبح ـ فأما الواحدة منهما فأمهات الأولاد وأما الأخرى فإيمان المكره.

قال: فتكلمت فيهما، وحين أقمت من بين يديه لم تكن لي همة إلا أن يكون آخر كلامي: لا إله إلا الله[1].

قصة قضاء اليمن

قال الشافعي: لما دخلت على هارون الرشيد فقلت بعد المخاطبة: خلفت باليمن ضائعة تحتاج إلى الحاكم، قال: فانظر رجلاً ممن يجلس إليك حتى توليه قضاءها، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال: إني كلمت أمير المؤمنين أن يولي قاضيًا باليمن، وإنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إلي وإني قد اخترتك فتهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليك قضاء اليمن، فأقبل عليه أحمد بن حنبل فقال: إنما جئتك إليك أقتبس منك العلم، أتأمرني أن أدخل لهم في قضاء اليمن؟ ووبخه فاستحيا الشافعي[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٤٥).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ١٥٦).

لله درك يا محمد!!

قال معمر بن شبيب: سمعت المأمون يقول لمحمد بن إدريس الشافعي: يا محمد لأي علة خلق الله الذباب؟ قال: فأطرق ثم قال: مذلة للملوك يا أمير المؤمنين! قال: فضحك المأمون وقال: يا محمد رأيت الذباب يسقط على خدي؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين ولقد سألتني وما عندي جواب، وأخذني من ذلك الزمع، فلما رأيت الذبابة قد سقطت منك بموضع لا يناله من معه عشرة آلاف رمح فانفتح لي فيها الجواب! فقال: لله درك يا محمد!![1].

قصة البيعة للأمين والمأمون

قال محمد بن إبراهيم المؤذن: سمعت أبا محمد بن عدي الفقيه يقول: روينا أن الرشيد لما ندب الناس إلى البيعة للأمين والمأمون صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فكان أول من صعد إليه في ذلك اليوم محمد بن إدريس الشافعي فوضع يده على رأس الأمين والمأمون ثم قال:

لا قصراً عنها ولا بلغتهما * حتى يطول بها لديك طوالها**

ثم بكى وأبكى الناس، قال: فساد الشافعي الناس في ذلك اليوم، وقد روينا من وجه آخر وفيه: أن ذلك كان بمكة فقال الناس: من هذا الشاب الذي جمع التهنئة والتعزية في بيت واحد؟ فقيل: هذا فتى من قريش يقال له: محمد بن إدريس الشافعي[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٥٦).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ١٥٧).

قصة ما لا تجوز الفتيا إلا به

قال يونس بن عبد الأعلى: ناظرت محمد بن الحسن وكان عليه ثياب رقاق وكان يناظرني فتنتفخ أوداجه وينقطع زره حتى بقي بلا زر، فقال: لم يحل لصاحبكم أن يفتي برأيه لأنه لم يكن له عقل، قلت: نشدتك بالله أكان صاحبنا عالمًا بكتاب الله عزَّ وجلَّ؟ قال: نعم، قلت: عالمًا بحديث رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: عالمًا باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: فنشدتك بالله أكان صاحبكم عالمًا بكتاب الله؟ قال: لا.

قلت: عالمًا بحديث رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قلت: كان عالمًا باختلاف أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكن كان عاقلاً، قلت: فكان في أصحابنا ثلاثة أشياء لا تجوز الفتيا إلا بهن وإن لم يكن له عقل لم يجز له أن يفتي، ولم يكن في صاحبكم ثلاثة أشياء لا تجوز الفتيا إلا بهن، وإن كان أعقل الناس لكن لا تجوز له الفتيا، قلت: قوله: «لم يكن له عقل» أراد به الرأي الذي هو اجتهاد وقياس، وقد روينا عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: ما رأيت أعقل من مالك بن أنس[1].

واجعل الليل جملاً

قال الشافعي: كنت مع محمد بن الحسن بالرقة، فمرضت فعادني في العواد فلما نقهت من مرضي مددت يدي إلى كتب عند رأسي فوقع في يدي كتاب الصلاة لمالك فنظرت في باب الكسوف ثم خرجت إلى المسجد فإذا محمد بن

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٨٢).

الحسن جالس فقلت له: قد جئت أناظرك في الكسوف، فقال: قد عرفت قولنا فيه: جئت أناظرك على النظر والخبر فقال: هات، قلت: أشترط ألا تحتد علي ولا تقلق ـ وكان محمد رجلاً قلقًا ـ قال: أما أن لا أحتد فلا أشترط ذلك ولكن لا يضرك ذاك عندي فناظرته فلما ضاغطته فكأنه وجد من ذلك قلت: هذا هشام بن عروة عن أبيه عن «عائشة» وزيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس واجتمع علي وعليه الناس فقال: وهل زدتني على أن جئتني بصبي وامرأة، فقلت: لو غيري جالسك! وقمت عنه بالغضب، فرفع الخبر إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين فقال: قد علمت أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لا يدع هذه الأمة حتى يبعث عليها قرشيًا فلقًا يرد عليهم ما هم فيه من الضلالة ثم رجعت إلى بيتي، فقلت لغلامي: اشدد رواحلك واجعل الليل جملاً، قال: فقدمت مصر[1].

وعاد الشافعي إلى اضطجاعه

قال أبو عبد الرحمن: دخل بشر المريسي يومًا على الشافعي وعند الشافعي رجل من المدينة، وكان الشافعي ﷺ عليلاً متكئًا، فناظر بشر المريسي على المديني في إفراد الإقامة، فاحتج بشر على المديني قال له: قد اجتمعنا جميعًا على أن المقيم للصلاة إذا ثنى الإقامة فإنه قد أتى بالإقامة واختلفنا فيه إذا أفرد فالواجب أن يتجوز ما اتفقنا عليه ويبطل ما اختلفنا فيه، قال: فلم يكن عند المديني جواب فاستوى الشافعي جالسًا مع علته فقال: إن كان ما قلت يلزم صاحبنا فقد لزمك أن تقول بالترجيع في الأذان من قبل: إنا قد اتفقنا جميعًا على أن المؤذن إذا رجع في أذانه كان قد أتى بالأذان، واختلفا فيه إذا لم يرجع،

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ١٩١).

قال: فسكت بشر، وعلم الجميع أن ما اعتل به على المديني ليس بعلة، وعاد الشافعي إلى اضطجاعه[(١)].

النعجة

قال الربيع: كان الشافعي يقول: إذا ناظره إنسان في مسألة عدا منها إلى غيرها، نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد، فإذا أكثر عليه قال: مثلك مثل معلم كان بالمدينة يعلم الصبيان القرآن من كراسة فأملى على صبي ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ (ص:٢٤)، فقال: بسؤال، ثم لم يدر ما بعده، فمر رجل فقام إليه فقال: أصلحك الله بسؤال نعجتك أو بعجئك؟ فقال له الرجل: يا عبد الله أفرغ من سؤال ثم سل عما بعده، إنما هو بسؤال نعجتك[(٢)].

قصة قضاء بني نجران

قال الحميدي: قال الشافعي: وليت نجران وبها بنو الحارث وموالي ثقيف فجمعتهم، فقلت: اختاروا سبعة نفر منكم فمن عدلوه كان عدلاً ومن جرحوه كان مجروحًا فجمعوا لي سبعة نفر منهم فجلست للحكم فقلت للخصوم: تقدموا فإذا شهد الشاهدان عندي التفت إلى السبعة فإن عدلوه كان عدلاً وإن جرحوه قلت: زدني شهودًا فلما أثبت على ذلك وجعلت أسجل وأحكم فنظروا إلى حكم جار فقالوا: إن هذه الضياع والأموال التي يحكم علينا فيها ليست لنا إنما هي للمنصور بن المهدي في أيدينا، فقلت للكاتب: اكتب واقر فلان بن فلان أن الذي وقع عليه حكمي في هذا الكتاب، أن هذه الضيعة أو المال الذي

(١) «المناقب» (جـ١، ص:١٩٩).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص:١٤٠).

حكمت عليه فيه ليست له وإنما هي للمنصور بن المهدي في يده ومنصور بن المهدي على حجته شيء قائم، فزجوا إلى مكة فلم يزالوا يعملون حتى دفعت إلى العراق فقيل لي: اُنْظُر الباب، فنظرت فإذا لابُدَّ لي من الاختلاف إلى بعض أولئك وكان محمد بن الحسن جيد المنزلة فكتبت كتبه وعرفت قولهم، فكان إذا قام ناظرت أصحابه[1].

رأيت صاحبكم على ثبج البحر

قال أحمد بن محمد بن بنت الشافعي عن أبيه قال: رأينا الشافعي يناظر محمد بن الحسن بمنى في مسجد الخيف، ومعهم يومئذ بشر المريسي فأقبل محمد بن الحسن على الشافعي ـ رحمهما الله ـ فقال: يا أبا عبد الله بلغني أنك قد وضعت على أصحابنا كتابًا ونحن نحب أن نناظرك فيه، فقال له الشافعي: لا نريد ذلك، فإن المناظرة تنكت في القلب ولك صداقة، فأبى إلا أن يناظر فتناظر يومئذ، فقطعه الشافعي في مسائل شتى فأقبل الأزرقي فقيه أهل مكة، فقال لبشر: كيف رأيت صاحبنا وصاحبكم؟ قال: رأيت صاحبكم على ثبج البحر ورأيت صاحبنا يتمضمض من ثمادها، الثماد: الماء القليل[2].

معه نصف عقل أهل الدنيا

قال الحسن الزعفراني: كنا نحضر مجلس بشر المريسي وهناك نقدر على مناظرته فمشينا إلى أحمد بن حنبل، فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ (الجامع الصغير) الذي لأبي حنيفة نخوض معهم إذا خاضوا فقال: اصبروا فالآن يقدم

(١) «الحلية» (جـ٩، ص:٧٦-٧٧).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص:١٩٩-٢٠٠).

عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة قال: فقدم علينا الشافعي فمشينا إليه وسألناه شيئًا من كتبه، فأعطانا كتاب (اليمين مع الشاهد) فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك؟ لسنا بأصحاب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد، فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كلامكم هذا كلام رجل رأيته بمكة معه نصف عقل أهل الدنيا[1].

قصة أم الشافعي وأم بشر

شهدت أم الشافعي وأم بشر بمكة عند القاضي، قال: وأراد أن يفرق بينهما فقالت أم الشافعي: ليس لك ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ (البقرة: ٢٨٢)[2].

أخاف عليك العامة أن يحصبوك

قال عبد الله بن سوار: خرجنا حجاجًا إلى مكة ومعنا هلال بن يحيى فرأينا الشافعي في المسجد الحرام يفتي، فقال لي هلال: ترى لي أن أمضي وأناظر الشافعي؟ قلت: لا، هو رجل عارف يعرف عيوب أقاويلكم واحفظ للحديث منك، لا تقوى، دعه فإنه خير لك، قال: واسأله عن الشروط قلت: في هذا الموسم تسأله عن الشروط وتدع المناسك والصلاة؟! أخاف عليك العامة أن يحصبوك، فتركه ولم يناظره.

---

(١)، (٢) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٠١).

ما فعل الله بك

قال أحمد بن حنبل: رأيت الشافعي في النوم بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوّجني وزوّجني وقال لي: هذا بما لم تتنزه بما أرضيتك، ولم تتكبر فيما أعطيتك.

قصة قبول خبر الواحد

قال الحارث بن شريح: دخلت على الشافعي يومًا وعنده أحمد بن حنبل والحسين القلاسي ـ وكان الحسين أحد تلاميذ الشافعي المقدمين في حفظ الحديث ـ وعنده جماعة من أهل الحديث، والبيت غاص بالناس وبين يديه إبراهيم بن إسماعيل بن عُليه وهو يكلمه في خبر الواحد، فقلت للشافعي: يا أبا عبد الله عندك وجوه الناس وقد أقبلت إلى هذا المبتدع تكلمه؟! فقال لي وهو يبتسم؟ كلامي لهذا بحضرتهم أنفع من كلامي لهم قال: فقالوا: صدق فأقبل عليه الشافعي فقال له: ألست تزعم أن الحجة الإجماع؟ فقال: نعم، فقال له الشافعي: خبرني عن خبر الواحد العدل بإجماع دفعته أم بغير إجماع؟ قال: فانقطع إبراهيم ولم يجب وسُر القوم بذلك[1].

أجلسني على كرسي من ذهب

قال الربيع بن سليمان: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب.

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢١١).



قصة الرجل وخباء المرأة

قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: آوى الليل رجلاً إلى خباء امرأة فأضاف بها فإذا هو برجل قد أقبل معه شاة له، فلما رآه قال لها: ما هذا؟ قالت: ضيف، قال: فحلب الشاة وجاءنا به وبشيء من طعام قال: وما أظنه إلا خلواً، وما نال الأعرابي في تلك الليلة من الجهد[1].

قصة روعة عقلية الشافعي

قال يونس بن عبد الأعلى: ما كان الشافعي إلا ساحرًا، ما كنا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأن ألفاظه سكر، وكان قد أوتي عذوبة منطق، وحسن بلاغة، وفرط ذكاء، وسيلان ذهن، وكمال فصاحة، وحضور حجة[2].

قصة الرد على من زعم تشيعه

سئل أحمد بن حنبل عن الشافعي، فقال: لقد من الله علينا به، لقد كنا تعلمنا كلام القوم، وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلم من غيره ولقد جالسناه الأيام والليالي، فما رأينا منه إلا كل خير، فقيل له: يا أبا عبد الله، كان يحيى وأبو عبيد لا يرضيانه ـ يشير إلى التشيع وأنهما نسباه إلى ذلك ـ فقال أحمد بن حنبل: ما ندري ما يقولان؟ والله ما رأينا منه إلا خيرًا، ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا ـ رحمكم الله تعالى ـ أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئًا من العلم، وحُرمه قرناؤه وأشكاله، حسدوه، فرموه بما

---

(١) «الحلية» (٩/ ١٣٨).

(٢) «مناقب الشافعي» (٢/ ٥٠) للبيهقي.

ليس فيه وبئست الخصلة في أهل العلم، وعلق الذهبي على هذا الخبر النفيس، فقال ـ رحمه الله ـ: من زعم أن الشافعي يتشيع فهو مفترٍ، لا يدري ما يقول.

قصة المذاكرة بالأنساب

روى ابن سريج عن بعض النسابيين أنه قال: كان الشافعي من أعلم الناس، لقد اجتمعوا معه ليلة، فذاكرهم بأنساب النساء إلى الصباح، وقال: أنساب الرجال يعرفها كل أحد[1].

فحداد أنت؟

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي وقد قدم عليه رجل من أهل صنعاء فلما رآه قال له: أنت من أهل صنعاء؟ قال: نعم، قال: فحداد أنت؟ قال: نعم.

قصة الشافعي مع معلم الغلمان

قال الربيع بن سليمان: كنا عند الشافعي إذ مر به رجل فقال الشافعي: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون حائكًا أو نجارًا، قال: فدعوناه فقلنا: ما صنعتك؟ قال: نجار، فقلنا: وغير ذلك، فقال: عندي غلمان يعملون في الحياكة[2].

يقتلني أشقر

قال حرملة: لما وقع الشافعي في الموت خرجنا من عنده، فقلت لأبي: يا أبتاه كل فراسة كانت للشافعي أخذناها يدًا بيد إلا قوله: يقتلني أشقر. وها هو

(١) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٨٨) للبيهقي.

(٢) «المناقب» (جـ٢، ص: ١٣١) للبيهقي.

يحتضر، فوافينا عبد الله بن عبد الحكم ويوسف بن عمرو فقلنا: إلى أين؟ ما لكم؟ قالوا: مات الشافعي، فقال أبي: من غمّضه؟ قالوا: يوسف بن عمرو وكان أزرق[١].

وحدثنا في أنساب النساء

قال المزني: قدم علينا الشافعي، فأتاه ابن هشام صاحب المغازي فذاكره أنساب الرجال فقال له الشافعي: دع عنك أنساب الرجال فإنها لا تذهب عنا وعنك وحدثنا في أنساب النساء، فلما أخذوا فيها بقى ابن هشام!!! أي: انقطع ولم يجد حجته[٢].

قصة مناظرة إسحاق للشافعي

قال إسحاق بن إبراهيم: كنا بمكة والشافعي بها وأحمد بن حنبل قال: وكان أحمد يجالس الشافعي وكنت لا أجالسه فقال لي أحمد: يا أبا يعقوب مُرَّ جالس هذا الرجل، فقلت له: ما أصنع به؟ سنه قريب من سننا، أترك ابن عيينة والمقبري وهؤلاء الشيوخ؟! فقال أحمد: ويحك إن هذا يفوت وهذا لا يفوت، قال: فجالسته فتناظرنا في كراء بيوت مكة وكان الشافعي يساهل فيه وكنت لا أساهل فيه، فذكر حديثًا، وأخذت أنا في الباب أسرد عليه وهو ساكت فلما أن فرغت وكان معي رجل من أهل مرو فالتفت إليه فقلت: «مردك كمالاً نيست»[٣]، فعلم إني راطنت صاحبي بشيء هجّنته فيه، فقال: تناظر؟ فقلت:

---

(١) ابن القيم «مفتاح دار السعادة» (جـ٣، ص: ١٢٠).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص:٤٨٨).

(٣) كلمة فارسية تعني: هذا الرجل ليس له كمال.

للمناظرة جئت، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ (الحج: ٤٠)، نسب الديار إلى مالكيها أو إلى غير مالكيها؟ قال: وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة: **«من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»** (مسلم)، فنسب الديار إلى أربابها أم إلى غير أربابها؟ قال: فقلت: إلى أربابها، قال: واشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دار السجن من مالك أو غير مالك؟ قال: قلت: من مالك؟ قال: فلما عرفت أني قد أفحمت قُمتُ.

قصة تصنيف كتاب الرسالة

قال موسى بن عبد الرحمن بن مهدي: أول من أظهر رأي مالك ـ رحمه الله ـ بالبصرة أبي، احتجم ومسح الحجامة ودخل المسجد فصلى ولم يتوضأ فاشتد ذلك على الناس، وثبت أبي على أمره، وبلغه خبر الشافعي ببغداد فكتب إليه يشكو ما هو فيه، فوضع له كتاب (الرسالة) وبعث به إلى أبي فسُر به سرورًا كبيرًا، قال موسى: فإني لأعرف ذلك الكتاب بذلك الخط عندنا[1].

إنه ليس في هذا الحد

قال الشافعي: قال لي الفضل بن الربيع: أحب أن أسمع مناظرتك للحسن ابن زياد اللؤلؤي، قال الشافعي: فقلت: ليس اللؤلؤي في هذا الحد ولكن أحضر بعض أصحابي حتى يكلمه بحضرتك، قال: فقال: وذاك، قال أبو نور: فحضر الشافعي وأحضر رجلاً من أصحابنا كوفيًا كان ينتحل مذهب أبي حنيفة فصار من أصحابنا فلما دخل اللؤلؤي أقبل الكوفي عليه والشافعي حاضر

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٣١).



بحضرة الفضل بن الربيع فقال له: إن أهل المدينة ينكرون على أصحابنا بعض قولهم، وأريد أن أسأل عن مسألة من ذلك قال: فقال اللؤلؤي: سل فقال له: ما تقول في رجل قذف محصنة وهو في الصلاة، فقال: فاسدة، قال: فقال له: فما حال طهارته؟ قال: طهارته بحالها ولا ينقض قذفه طهارته، قال: فقال له: فما تقول إن ضحك في الصلاة؟ قال: يعيد طهارته والصلاة، فقال له: وقذف المحصنات في الصلاة أيسر من الضحك فيها؟! قال له: وقعنا في هذا، ثم وثب فمضى، واستضحك الفضل بن الربيع، فقال له الشافعي: ألم أقل لك: إنه ليس في هذا الحد[1].

قصة الشافعي وضيافة الزيادي

قال علي بن محمد الزيادي: حدثنا أبي فقال: لما قدم علينا الشافعي من العراق قال: على من أنزل؟ قيل له: انزل على أبي حسان الزيادي قال: فنزل على أبي فأقام عنده سنة على أنعم حال فلما كان بعد سنة استأذنه في الخروج إلى المدينة فوجه أبي أبو حسان إلى ستة من إخوانه ستة رقاع فما رجعت له رقعة مع خادم لنا يقال له: ما رد صقلبي إلا ومع كل رقعة ألف دينار، فتركها بين يدي الشافعي، قال: فبكى أبي فقال له الشافعي: فما يبكيك يا أبا حسان، أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أقدر أن أكتب إلى أخ من إخواني في أخ مثلك ينزل علي في شرفك ومنصبك فيوجه إلي بألف دينار ثم قال: لا يزال الناس في تناقص من إخوانهم وأفعالهم ثم قال: إذا شئت يا أبا عبد الله، قال: فأخذ الدنانير وخرج من عنده إلى المدينة[2].

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص: ٢١٧).

(٢) «المناقب» (جـ١، ص: ٢٣١).

ففعل ذلك ـ والله ـ حين دخل مصر

قال عبد الله بن عبد الرحمن الزجاج ـ وكان يجالس الربيع بن سليمان ـ عن الربيع بن سلمان قال: رأيت الشافعي بنصيبين قبل أن يدخل مصر، فلم أره آكلاً بنهار ولا نائمًا بليل وكانت له جارية سوداء تخدمه وكان يعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي إلى القدَّاح فتقوم فتسرج له، فيكتب ما يحتاج أن يكتبه ويرسمه في موضعه ثم يطفئ السراج ويستلقي على ظهره فيعمل الباب من العلم ثم يقول: يا جارية قومي إلى القداح فتقوم وتسرج له فيكتب الباب من العلم ويرسمه في موضعه، ثم يطفئ السراج فكان على هذا منه فقلت: يا أبا عبد الله لو تركت السراج يَقدِ فإن هذه الجارية منك في جهد؟ قال: إن السراج يشغل قلبي، قال: وقال لي يومًا: كيف تركت أهل مصر؟ فقلت: تركتهم على ضربين: فرقة منهم قد مالت إلى قول مالك وأخذت به واعتمدت عليه وذبت عنه وناضلت عنه، وفرقة قد مالت إلى قول أبي حنيفة فأخذت به وناضلت عنه، فقال: أرجو أن أقدم مصر ـ إن شاء الله ـ وآتيهم بشيء أشغلهم به عن القولين جميعًا، قال الربيع: ففعل ذلك ـ والله ـ حين دخل مصر[١].

في هذا الوقت يا أبا عبد الله؟!

دخل رجل على الشافعي قبل طلوع الفجر فوجده ينظر في المصحف فقال له: في هذا الوقت يا أبا عبد الله؟! قال: إني لعلى هذا منذ صليت العتمة ـ صلاة العشاء ـ أنظر في أحكام القرآن!

(١) «المناقب» (جـ١، ص:٢٣٨).

فاستعبرت بعض المعبرين

قال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: أريت في المنام كأن آت أتاني فحمل كتبي وبثها في الهواء فتطايرت، فاستعبرت بعض المعبرين فقال: إن صدقت رؤياك لم يبق بلد من بلدان الإسلام إلا ودخله علمك.

أنت تطعن على الشافعي

قال أبو القاسم القزويني: كان معنا ببغداد رجل من أهل المغرب كان يطعن على الشافعي، ويميل إلى قول مالك قال: فأصبحنا ذات يوم فقال لنا: إنا على الرحيل إلى مصر، فقلنا له: وما شأنك؟ قال: أريد أن أكتب كتب الشافعي قال: فقلنا له: إنك كنت تطعن على الشافعي!، فقال: إني رأيت في المنام البارحة كأن طيرًا أخضر يطير وقوم يأخذون منها ما شاؤا فذهبت لآخذ منها فمُنعت فقلت لهم: ما بالي أمنع من بين الناس؟ فقيل لي: أنت تطعن على الشافعي، قال: فقلت له: فلست أطعن عليه، قال: فجئت وأخذت فلم أمنع، فخروجي لأجل هذا.

الشافعي وقراءة القرآن

قال بحر بن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكي قلنا بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي يقرأ القرآن، فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى نتساقط بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء، فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة من حسن صوته.



وفوق كل ذي علم عليم

دخل إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين مكة وأرادوا عبد الرازق فدخلوا المسجد الحرام فرأوا رجلاً شابًا على كرسي وحوله الناس وهو يقول: يا أهل الشام ويا أهل العراق سلوني عن سنة رسول الله ﷺ فقلنا لرجل: من هذا الجالس؟ فقال: المطلبي الشافعي، قال إسحاق: فقلت لأحمد ابن حنبل: يا أبا عبد الله مُر بنا إليه نجعل طريقنا عليه قال: فلما قمنا عليه قلنا: يا أبا عبد الله سله عن حديث النبي ﷺ: «**أمكنوا الطير في أوكارها**» (أبو داود)، فقال: وما تصنع بهذا؟ هذا مُفسر: دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها فقال إسحاق: والله لأسألنه: يا مطلبي ما تفسر قول النبي ﷺ: «**أمكنوا الطير في أوكارها**»؟ قال: نعم يا فارسي، هذا أحمد بن حنبل بلغني أنه يفتي بالعراق في هذا الحديث: دعوا الطير في ظلمة الليل في أوكارها، قال إسحاق: يا مطلبي ما تفسير هذا الحديث؟ قال: نعم حدثنا بهذا الحديث سفيان بن عيينة فسألته عن تفسيره فقال: لا أدري، فقلت: بارك الله عليك أبا محمد فأخذ بيدي وقال لي: يا شافعي ما تفسير هذا الحديث؟ فقلت: كان أهل الجاهلية إذا أرادوا سفرًا عمدوا إلى الطير فسرحوها فإن أخذت يمينًا خرجوا في ذلك الفأل وإن أخذت يسارًا أو رجعت في خلفها تطيروا ورجعوا فلما أن بعث النبي ﷺ قدم مكة فنادى في الناس: «**أمكنوا الطير في أوكارها، وبكِّروا على اسم الله**»، قال إسحاق لأحمد: يا أبا عبد الله لو لم نرحل من العراق إلى الحجاز في تفسير هذا الحديث لكانت غنيمة، قال أحمد بن حنبل: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف: ٧٦).

أي الأعمال عند الله أفضل؟

قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال الشافعي: ما لا يقبل عمل إلا به، قال: وما ذاك؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو؟ أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظًا، قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل، قال الشافعي: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل، قال الرجل: صف لي ذلك حتى أفهمه، قال الشافعي: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل، ثم تابع: إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والزائد الزائد رجحانه، قال الرجل: وإن الإيمان ليتم وينقص، ويزيد؟ قال الشافعي: نعم، قال: وما الدليل على ذلك؟ قال الشافعي: إن الله جلَّ ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت بها أختها، بفرض من الله تعالى: فمنها «قلبه» الذي يعقل به، ويفقه، ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها «عيناه» اللتان ينظر بهما، و«أذناه» اللتان يسمع بهما، و«يداه» اللتان يبطش بهما، و«رجلاه» اللتان يمشي بهما، و«فرجه» الذي الباه من قبله، و«لسانه» الذي ينطق به، و«رأسه» الذي فيه وجهه، فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما فرض الله على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد، والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من

عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ثناؤه على القلب وهو عمله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ (النحل:١٠٦)، وقال: ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨)، وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ (المائدة:٤١)، وقال: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة:٢٨٤)، فلذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان وهو عمله وهو رأس الإيمان، وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر به فقال في ذلك: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ (البقرة:١٣٦)، وقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣)، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول والتعبير عن القلب وهو عمله والفرض عليه من الإيمان[1].

يا سيد الشافعيين اليوم بيضت وجوهنا

كان إبراهيم الشافعي يقول: سمعت الشافعي يقول في قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين:١٥)، قال: فلما حجبهم في السخط كان هذا دليلاً على أنهم يرونه في الرضا، قال: فقال أبو النجم القزويني: يا أبا إبراهيم به تقول؟ قال: نعم وبه أدين لله ـ عزَّ وجلَّ ـ، قال: فقام إليه عصام وقبَّل رأسه، وقال: يا سيد الشافعيين اليوم بيضت وجوهنا.

وذكر إسحاق الطحان المصري فقال: حدثنا سعيد بن أسد قال: قلت للشافعي: ما تقول في حديث الرؤية؟ فقال لي: يا ابن أسد اقْضِ عليَّ حييت أو مت: إن كل حديث يصح عن رسول الله ﷺ فإني أقول به وإن لم يبلغني به.

---

(١) «المناقب» (جـ١، ص:٣٨٨).

قصة معرفة الكاتب

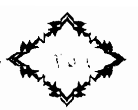
قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: إذا أردت أن تعرف الرجل أكاتب هو؟ فانظر أين يضع أدواته، فإن وضعها عن شماله أو بين يديه فاعلم أنه ليس بكاتب[(١)].

أترقى السطح بلا سلم؟!

روى الربيع بن سليمان فقال: سمعت الشافعي يقول: قال سفيان بن عيينة: حدث الزهري يومًا بحديث فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزهري: أترقى السطح بلا سلم؟!



(١) «الحلية» (جـ٩، ص: ١٤٥).



رابعًا ـ من قصص الإمام أحمد بن حنبل

مع المحبرة إلى المقبرة

قال صالح بن أحمد بن حنبل: رأى رجل مع أبي محبرة فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ وأنت إمام المسلمين!! فقال ـ رحمه الله ـ: مع المحبرة إلى المقبرة، وقال ـ رحمه الله ـ: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر[1].

قد طلع الكوكب!

قال قتيبة بن سعد: كان وكيع إذا صلى العتمة ينصرف معه أحمد بن حنبل فيقف على الباب فيذاكره وكيع، فأخذ وكيع بعضادتي الباب، ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان، قال: هاتِ، قال: تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كهيل كذا وكذا؟ قال: نعم، فيقول وكيع: تحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول أحمد: حدثنا عبد الرحمن، فيقول: عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول: أنت حدثتنا، حتى يفرغ من سلمة، ثم يقول أحمد فتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا، فلا يزال يلقي عليه، ويقول وكيع: لا، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ، قال: فلم يزل قائمًا حتى جاءت الجارية، فقالت: قد طلع الكوكب، أو قالت: الزهرة[2].

---

(١) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد».

(٢) السبكي: «طبقات الشافعية الكبرى» (جـ٢، ص:٢٨).

مرة إلى الكوفة! ومرة إلى البصرة!

وقال أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي: سمعت جدي يقول: مر أحمد بن حنبل آتيا من الكوفة وبيده خريطة، فأخذت بيده فقلت: مرة إلى الكوفة! ومرة إلى البصرة! إذا كتب الرجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت، ثم قلت: ستين ألفًا؟ فسكت، فقلت: مائة ألف؟ فقال: حينئذ يعرف شيئًا، قال أحمد بن منيع: فنظرنا، فإذا أحمد كتب ثلاثمائة ألف حديث عن بهز بن أسد وعفان وأظنه قال: روح بن عبادة[1].

رحلة في طلب العلم والسنة

قال الإمام أحمد: رحلت في طلب العلم والسنة إلى الثغور والشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة والحجاز واليمن والعراقين جميعًا وفارس وخراسان والجبال والأطراف، ثم عدت إلى بغداد وخرجت إلى الكوفة، فكنت في بيت تحت رأسي لبنة! فَحُمِمْتُ! فرجعت إلى أمي رحمها الله ولم أكن أستأذنها، ولو كان عندي تسعون درهمًا كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، وخرج بعض أصحابنا ولم يمكنني الخروج، لأنه لم يكن عندي شيء![2].

الإمام يصنع التكك ويفطر على ثمنها

قال أبو اليمن العليمي الحنبلي: خرج الإمام أحمد إلى عبد الرازق بصنعاء اليمن سنة سبع وتسعين ومائة، ورافق يحيى بن معين، قال يحيى: لما خرجنا

---

(١) ابن الجوزي «مناقب الإمام أحمد» (ص:٢٨).

(٢) ابن الجوزي «نفس المصدر» (ص:٢٥-٢٦).

إلى عـبد الرازق إلى اليـمن حجـجنا، فبـينا أنا بالطواف، إذا بعبـد الرازق في الطواف، فسلمت عليه، وقلت له: هذا أحمد بن حـنبل أخوك فقال: حيَّاه الله وثبته، فإنه بلغني عنه كل جميل فقلت لأحمد: قد قرَّب الله خطانا، ووفر علينا النفقة وأراحنا من مسيرة شهر، فقال أحمد: إني نويت ببغداد أن أسمع من عبد الرازق بصنعاء، والله لا غيرت نيتي، قال يحيى: فلما خرجنا إلى صنعاء نفدت نفقة أحمد فعرض علينا عبد الرازق دراهم كثيرة فلم يقبلها، فقال له: اقبل على وجه القرض، فأبى وعـرضنا على أحمد نفقاتنا فلم يقبل، فـاطلعنا عليه فإذا به يعمل التكك ويُفطر على ثمنها[(١)].

والله إنه لسطله بعينه وإنما أردت امتحانه

قال العليمي: لما كان أحمد باليمن رهن سطلاً عند بقال بحضور سليمان بن داود الشاذكوني، وأخذ منه ما يتقوت به، ثم جاءه بفكاكه، فأخرج إليه سطلين، فقال له: أيهمـا سطلك فخذه، فقال: قد اشـتبه عليَّ، أنت في حل من السطل وفكاكه، فقـال الشاذكوني للبقـال: أخرجت سطلين إلى رجل من أهل الورع، والسطول تتشابه، فقال والله إنه لسطله بعينه، وإنما أردت امتحانه[(٢)].

لو قبلت من الناس شيئًا لقبلت منك!؟

ذكر عبد الرازق الصنعاني أحمـد بن حنبل فدمعت عيناه ثم قال: قدم علينا فأقام ها هـنا سنتين إلا شيئًا، وبلغني أن نفـقته نفدت، فـأخذت بيده، فأقـمته خلف الباب، وأشار إلى بابه، ومـا معي ومعه أحد، فـقلت إنه لا يجتمع عندنا

---

(١) العليمي الحنبلي: «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» (جـ١، ص:٨).
(٢) العليمي الحنبلي: «نفس المصدر» (جـ١، ص:١٤).

الدنانير، وإذا بعنا الغلَّة شغلناها في شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها، فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء، قال: قال لي أحمد: يا أبا بكر لو قبلت من الناس قبلت منك![1].

الإمام يرهن نعله من أجل العلم

قال أحمد بن سنان الواسطي: بلغني أن أحمد رهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن[2].

قصة سرقة ثياب الإمام أحمد

قال ابن كثير: سرقت ثياب الإمام أحمد وهو باليمن، فجلس في بيته ورد عليه الباب وفقده أصحابه، فجاؤا إليه فسألوه فأخبرهم، فعرضوا عليه ذهبًا فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا ديناراً واحداً ليكتب لهم به، فكتب لهم بالأجر رحمه الله[3]، فنسخ لهم من الكتب أجرة لما أخذ الدينار.

قصة إخلاص الإمام أحمد

وإمام أهل السنة أحمد بن حنبل يقول عنه تلميذه أبو بكر المروزي: كنت مع أبي عبد الله نحواً من أربعة عشر شهراً بالمعسكر، وكان لا يدع قيام الليل وقراءات النهار، فما علمت بختمة ختمهما وكان يُخفي ذلك[4].

---

(١) ابن أبي يعلى الحنبلي: «طبقات الحنابلة» (جـ١، ص:٢٠٩).
(٢) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص:٢٢٦).
(٣) ابن كثير: «البداية والنهاية» (جـ١٠، ص:٣٢٩).
(٤) العفاني: «صلاح الأمة» (جـ١، ص:١١٦).

الإمام أحمد وعدد ركعات صلاته

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلي في كل يوم وليلة مائة وخمسين ركعة وكان قرب الثمانين[1].

قصة الإمام أحمد مع يحيى بن سعيد القطان

قال عمرو بن علي: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم وليلة، يدعو لألف إنسان، ثم يخرج بعد العصر فيحدث الناس، وقال علي بن المديني: كنا عند يحيى بن سعيد فقرأ رجل سورة الدخان فصعق يحيى وغشي عليه، وقال أحمد بن حنبل: لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى ـ يعني الصعق ـ[2].

قصة الأئمة الثلاثة

قال الهلال بن العلاء: خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة فلما أن صاروا بمكة، نزلوا في موضع، فأما الشافعي فإنه استلقى، ويحيى ابن معين أيضًا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلي، فلما أصبحوا قال الشافعي: لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة، وقيل ليحيى بن معين: ماذا فعلت؟ قال: نفيت عن النبي ﷺ مائتي كذاب، وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن[3].

---

(١) أبي نعيم: «حلية الأولياء» (جـ٩، ص: ١٨١).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (جـ٩، ص: ١٨٠).

(٣) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٥٧-٣٥٨).

قصة الإمام أحمد وآنية الفضة

قال صالح بن أحمد بن حنبل: كان رجل يختلف إلى عفان، يقال له: أحمد بن الحكم العطار، فختن بعض ولده، فدعا يحيى وأبا خيثمة وجماعة من أصحاب الحديث، وطلب إلى أبي أن يحضر، فمضوا ومضى أبي بعدهم وأنا معه، فلما دخل أُجلس في بيت ومعه جماعة من أصحاب الحديث فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ها هنا آنية من فضة، فالتفت فإذا كرسي فقام فخرج وتبعه من كان في البيت، وأُخبر الرجل فخرج فلحق أبي وحلف أنه ما علم بذلك، ولا أمر به، وجعل يطلب إليه فأبي، وجابر عفان فقال له الرجل: يا أبا عثمان اطلب إلى أبي عبد الله يرجع، فكلمه عفان فأبى أن يرجع، ونزل بالرجل أمر عظيم[١].

قصة الإمام أحمد ووليمة باب القبر

عن علي بن أبي صالح السوَّاق قال: كنا في وليمة باب القبر، قال: فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي عليه فضة فخرج، فلحقه صاحب المنزل، فنفض يده في وجهه وقال: زي المجوس .. زي المجوس .. وخرج[٢].

قصة الإمام أحمد مع أهل الزهد والورع

قال الإمام أحمد: لقد رأيت قومًا صالحين، رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جُبَّة من لبودٍ قد أتت عليها سنون، رأيت أبا داود الحفري وعليه جُبَّة بخرقة، قد

---

(١) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص:٣٤٨). (٢) ابن الجوزي: نفس المصدر (ص:٣٤٩).

خرج منها القطن وهو يصلي فيترجح من الجوع، ورأيت أيوب النجار وقد خرج من كل ما يملكه، وكان في المسجد شاب مصفر، يقال له: العوفي يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي[1].

قصة الإمام أحمد ولقاط السنابل

كان ـ رحمه الله ـ يعوزه الفقر وربما احتاج إلى اللقاط ـ أي المزارع بعد استئذان أصحابها ليلتقط السنبل الذي تخطئه المناجل ـ فقد قال ـ رحمه الله ـ: قد خرجت إلى طرسوس على قدمي وقد كنا نخرج في اللقاط[2].

قصة الإمام أحمد مع بحر البقال

قال بحر البقال ـ وكان من قرية عبد الرازق أستاذ الإمام أحمد ـ كان عندنا هاهنا، فلما خرج أصحابه تخلف من بعدهم، فمر بي فقال: يا بحر لك عندي درهم، خذ هذه النعل، فإن بعثت إليك من صنعاء بالدرهم وإلا فالنعل لك، أرضيت؟ قلت: نعم، ومضى[3].

قصة الإمام أحمد مع القطان

قال أبو جعفر القطان: كان الإمام أحمد يجيئني أيام الغلاء بغزلٍ ويستره، أبيعه، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف، وربما بعته بدرهمين، فتخلف يومًا، فلما

---

(١) ابن الجوزي: «المدهش» (ص: ٣١٢).
(٢) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٨٩-٢٩١).
(٣) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٩٢).

جاء قلت: يا أبا عبد الله لم تجيء أمس، فقال: أم صالحٍ اعتلت، ودفع إليَّ غزلاً، فبعته بأربعة دراهم، فجئت بها فأنكر ذلك وقال: لعلك زدت فيه من عندك؟ قلت: لا، ما زدت فيه من عندي، كان غزلاً دقيقًا(1).

قصة الإمام أحمد مع الجارية

وقال صالح: واشتريتُ جارية، فاشتكتْ إليه أهلي، فقال: كنت أكره لهم الدنيا، وقد بلغني عنك الشيء، فقالت له: يا عم ومَنْ يكره الدنيا غيرك قال لها: فشأنك إذَنْ(2).

قصة الإمام أحمد مع قوم من المحدثين

قال أبو بكر المروزي: رأيت أحمد بن عيسى المصري ومعه قوم من المحدثين، دخلوا على أبي عبد الله ونحن بالمعسكر، فقال له أحمد بن عيسى: ما هذا الغم يا أبا عبد الله؟! الإسلام حنيفية سمحة، بيت واسع، فنظر إليهم وكان مضطجعًا، فلما خرجوا قال لي: انظر هؤلاء، ما أريد أن يدخل عليَّ منهم أحد(3).

قصة الإمام أحمد مع الزاهد

وقال إسحاق بن هانئ النيسابوري: قال لي أبو عبد الله: بكِّر يومًا حتى تعارضني بشيء من الزهد، فبكرت إليه، وقلت لأم ولده: أعطني حصيرًا

---

(1) ابن الجوزي: نفس المصدر (ص: ٣١١).
(2) ابن الجوزي: نفس المصدر (ص: ٣١٢).
(3) ابن الجوزي: نفس المصدر (ص: ٣١٢).

ومخدة، فبسطته في الدهليز، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة، فنظر إلى الحصير والمخدة فقال: ما هذا؟ فقلت: لتجلس عليه، فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد، فرفعته وجلس على التراب[(١)].

زهد الإمام أحمد

قال أحمد بن الحسن: دخلت على أبي عبد الله غير مرة وهو متربع بين يديه كانون من طين، وله ثلاث قوائم فيه جمر.

وقال صالح بن أحمد: كان أبي كثيراً ما يأتدم بالخل وكان يُشترى له شحم بدرهم فكان يأكل منه شهراً.

وقال حمدان بن زنجويه: رأيت أحمد بن حنبل يلبس جبة خضراء، فيها رقعة بيضاء من صوف، وقال حمدان بن علي: رأيت على أبي عبد الله جبة وعليها رقعة بغير لونها[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع الأمير

قال أبو بكر المروزي: قال لي النيسابوري ـ صاحب إسحاق بن إبراهيم ـ: قال لي الأمير: إذا جاؤا بإفطار الإمام أحمد فأرنيه، قال: فجاءوا برغيفين خبز وخيارة، فأريته الأمير، فقال: هذا لا يجيبنا ـ أي الموافقة على القول بخلق القرآن ـ إن كان هذا يكفيه[(٣)].

(١) ابن الجوزي: «مناقب الإمام أحمد» (ص:٣١٣).
(٢) ابن الجوزي: نفسه (ص:٣١٦-٣١٧).
(٣) ابن الجوزي: نفسه (ص:٣١٨).

قصة الإمام أحمد مع القميص المرقوع

قال المروزي: أراد أبو عبد الله أن يرقع قميصه، فلم يكن عنده رقعة فقال: أرقعه من إزاري، فقطعنا من إزاره فرقعناه، ولقد احتاج غير مرة إلى خرق، فكان يقطع من إزاره، وأعطاني خفًا له لأرمه، وقد لبسه سبع عشرة سنة، فإذا خمسة مواضع، أو ستة مواضع، الخَرْز فيه من بَرًّا[(١)].

قصة الإمام أحمد مع الخف

وقال أبو بكر المروزي: استعمل لأبي عبد الله خف فجئته به فبات عنده ليلة، فلما أصبح قال: تفكرت في أمر هذا الخف ـ أراه قال: عامة الليل ـ قد شغل على قلبي قد عزم لي أن لا ألبسه، كم ترى بقى؟ الذي مضى أكثر من الذي بقى، فدفع إليَّ خفًا له خَلِقًا، فقال: اضرب على هذا الخف، وسدد خروقه، ثم قال: تدري منذ كم هذا الخف عندي؟ نحو من ست عشرة سنة، وإنما صار إليَّ وهو لبيس، وهذا قد شغل قلبي ـ يعني الجديد ـ[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع الجصاص

قال حسن بن يسار: دخلت على أحمد بن حنبل وأنا صبي مع أستاذي يجصص له بيتًا، فقال له أحمد: جصصه باليد ولا تمسحه بالمالج ـ الذي يعمل به ـ ثم فرشناه بالطوابيق، فلما فرغنا استحسنه وقال: هذا نظيف يُصلى عليه الرجل وليس فيه باريه ولا حصيرة، ودفع إليَّ كفًا من تمر[(٣)].

---

(١) ابن الجوزي: «المناقب» (ص: ٣٢٤).
(٢) ابن الجوزي: نفسه (ص: ٣٢٥).
(٣) ابن الجوزي: نفسه (ص: ٣١٦).

قصة الإمام أحمد مع من يحب

قال صالح: قال لي أبي: جاءني أمس رجل كنت أحب أن تراه، بينما أنا قاعد في نحر الظهيرة، إذا برجل سلم بالباب، فكأن قلبي ارتاح، ففتحت، فإذا أنا برجل عليه فروة وعلى رأسه خرقة، ما تحت فروه قميص، ولا معه ركوة، ولا جراب ولا عكاز، وقد لوحَتْهُ الشمس، فقلت: ادخل، فدخل الدهليز، فقلت: من أين أقبلت؟ قال: من ناحية المشرق أريد الساحل، ولولا مكانك ما دخلت هذا البلد، نويت السلام عليك قلت: على هذه الحال؟! قال: نعم، ما الزهد في الدنيا؟ قلت: قصر الأمل، قال: فجعلت أعجب منه، فقلت في نفسي: ما عندي ذهب ولا فضة، فدخلت البيت، فأخذت أربعة أرغفة، فخرجت إليه فقال: أوَيسرك أن أقبل ذلك يا أبا عبد الله؟ قلت: نعم، فأخذها فوضعها تحت حضنه وقال: أرجو أن تكفيني إلى الرقة، أستودعك الله، فكان يذكره كثيراً[(١)].

قصة الإمام أحمد مع أولاده على الطعام

وقال صالح: قال لي أبي: كانت والدتك في الظلام تغزل غزلاً دقيقًا فتبيع الأستار بدرهمين، أقل أو أكثر، فكان ذلك قوتنا، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كي لا يراه فيوبخنا، وكان ربما خبز له، فيجعل في فخاره عدسًا وشحمًا وتمرات شهريز فيجيء الصبيان فيصوت بعضهم ببعض فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون ـ أي يعافون هذا الطعام ـ وكان يأتدم بالخل كثيراً[(٢)].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٠٧-٢٠٨).

(٢) العفاني: المصدر السابق (جـ٤، ص: ٣٠٦-٣٠٧).



قصة الإمام أحمد مع أموال الخليفة المأمون

ولقد دفع المأمون إلى إسحاق بن موسى الأنصاري مالاً وقال: اقسمه على أصحاب الحديث، فإنهم ضعفاء، فما بقى أحد منهم إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى[(١)].

قصة الإمام أحمد مع الفامي

قال سليمان بن داود الشاذكوني: علي بن المديني يتشبه بأحمد بن حنبل؟! هيهات ما أُشَبِّهُهُ السَّكَّ ـ نوع من الطيب ـ باللك ـ نبات يصبغ به ـ لقد حضرت من ورعه شيئًا بمكة، أنه رهن سطلاً عند فامي، فأخذ شيئًا يتقوت به، فجاء فأعطاه فكاكه، فأخرج إليه سطلين، فقال: انظر أيهما سطلك فخذه، فقال: لا أدري، أنت في حل منه ومما أعطيتك في حل، ولم يأخذه. قال الفامي: والله إنه لسطله وإنما أردت أن أمتحنه فيه[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع النصراني

قال أحمد بن القاسم الطوسي: كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى نصراني غمض عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أقدر أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه[(٣)].

---

(١)، (٢)، (٣) «المناقب» (ص ٣٢٧).

قصة الإمام أحمد مع ابنه صالح

وقال أحمد بن محمد التستري: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها فبعث إلى صديق له، فاستقرض شيئًا من الدقيق، فعرف أهل بيته شدة حاجته إلى الطعام، فخبزوا له بالعجلة، فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ فقيل له: كان التنور في بيت صالح مسجورًا، فخبزنا بالعجلة، فقال: ارفعوا، ولم يأكل، وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول في مرضه الذي مات فيه لأم ولده: ومن قال لك أن تخبزي ثَمَّ شيئًا، وقد كانت خبزت مرة غير تلك، فقال لها: ومن يأكله؟ فلم يأكل منه شيئًا، يعني بيت صالح ولده[١].

قصة الإمام أحمد وطعام الصبيان

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: أعطاني أبو عبد الله يومًا قطعة، فقال: اشتر لي بهذه القطعة باقلاء وماءه. وأعطتني أيضًا حُسن أم ولده قطعة، فقالت: اشتر لي بهذه القطعة أيضًا باقلاً، فقال: اشتر للصبيان زيتًا وباقلاً، ففضل حبة أو حبتان من قطع الصبيان، فقلت لصاحب الباقلاء: أعطني به زيتًا، فصببته على الباقلا الذي أخذته لأبي عبد الله، فلما جئت به وضعته بين يديه، فنظر أثر الزيت، فقال لي: ما هذا؟ فقلت: فضلُ من قطع الصبيان حبة، فصببت لك بها زيتًا، فقال: ارفع يا أحمق! ومَن أمرك بهذا؟ متى تعقل؟ ولم يأكله![٢].

---

(١) «المناقب» (ص٣٢٨).

(٢) «العفاني»: «صلاح الأمة» (جـ٤، ص٣٦٤).

قصة الإمام أحمد مع صاحب الدجاجة

قال محمد بن علي السمسار: سمعت أبا عبد الله يقول لإسحاق بن إبراهيم النيسابوري: خذ من أم علي - يعني ابنة أبي عبد الله - ما تعطيك. فدخل وخرج معه دجاجة، فخرجنا جميعًا، فقلت لإسحاق: ما قال لك؟، قال: قالت: أبي يريد أن يحتجم وليس معه شيء، فقال لي: أعطي إسحاق الدجاجة يبيعها فإني محتاج إلى الحجامة، فصرنا بها إلى السوق، فأُعطي بها درهمًا ودانقين، فلم يبعها وردها، فلما صرنا إلى القنطرة فإذا عبد الله جالس في دُكان ابن بختان، فدعا إسحاق وقال: أي شيء هذه؟ لمن هذه؟ فقلت: أعطتني أم علي أبيعها، فقال: كم أُعطيت بها؟ قال درهما ودانقين، فقال: بعنيها بدرهم ونصف، فأعطاه درهمًا ونصف وأخذها منه، فلما صار إلى أبي عبد الله، قالت أم علي: بكم بعتها؟ قال: بدرهم ونصف، فقالت: بس؟، فقال لها: أعطوني في السوق درهمًا ودانقين. فقال أبو عبد الله: يا إسحاق ممن بعتها؟ قلت: من عبد الله. فأخذ الثمن من أم علي وقال: مُرَّ ردَّها. فخرج إسحاق يعدو، حتى جاء إلى عبد الله فقال: رُدها فقد صاح عليَّ أبوك. قال: ولِمَ قلت له؟ فردها. قال إسحاق: فقال لي أبو عبد الله: مُرَّ بها إلى السوق، ولا تمر على عبد الله. فبعتها من غريب بدرهم وثلث، ثم جئت إلى أبي عبد الله، فقال: لعلك دفعتها إلى عبد الله؟ قلت: لا، بعتها من رجل غريب[1].

---

(١) «صلاح الأمة» (ص٣٦٤).



قصة الإمام أحمد مع المتطبب

وعن صالح أن أباه مرض، فوصف له عبد الرحمن المتطبب قرعة تشوى ويسقى ماؤها، فقال لي: يا صالح، لا تشو في منزلك، ولا منزل عبد الله، فسمعت أبا بكر المروزي يقول: فمضيت بها وشويتها وجئت بها إليه[١].

قصة الإمام أحمد مع ورقة البقل

والعجب كل العجب من ورع الإمام أحمد، قال محمد بن عياش: أرسلني أبو عبد الله، فاشتريت له سمنًا بقطعة، فجئت به على ورقة بقل، فأخذ السمن وأعطاني الورقة، وقال: رُدَّها.

لله درك يا إمام: فقد أتعبت الورعين من بعدك ... فكيف بمن خلطوا؟![٢].

قصة الإمام أحمد مع ورقة السلق

وقال جعفر بن محمد بن يعقوب: جاء رسول من دار أحمد بن حنبل إليه، يذكر له أن أبا عبد الرحمن ابنه عليل واشتهى الزبد، فناول رجلاً من أصحابه قطعة وقال: اشتر له بها زبدًا، فجاء به على ورقة سلق. فلما نظر إليه قال: من أين هذا الورق؟ فقال: أخذته من عند البقال، فقال: استأذنته في ذلك؟ فقال: لا. قال: رُدُّه[٣].

(١) «صلاح الأمة» (ص٣٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦٥).

(٣) المصدر السابق (ص٣٦٦).

قصة الإمام أحمد مع روح بن عبادة

قال عبد الله بن أيوب المخزومي: نزل عندنا روح بن عبادة، فجاء أحمد بن حنبلٍ إليه، وبات هاهنا وخُبزُه في كُمه، ويشرب من ماء النهر، وينتظر روحًا حتى خرج، فجاء يحيى بن أكثم في ضِبنه فجلس بين يدي أحمد، وجعل يسأله، وأحمد مُطرِق، فلما رآه لا يُقبل عليه قام وتركه[١].

قصة الإمام أحمد مع الهدية

قال صالح بن أحمد بن حنبل: وُلد لي مولود، فأهدى لي صديق شيئًا، ثم أتى على ذلك شهر، وأراد الخروج إلى البصرة، فقال لي: تُكلم أحمد بن حنبل يكتب لي إلى مشايخ بالبصرة. فكلمته، فقال: لولا أنه أهدى إليك كنت أكتب له[٢].

قصة الإمام أحمد مع الدواء

وقال عبد الله بن أحمد: كان هاهنا شيخ قال لي: رأيت على أبي عبد الله جَرَبًا، فجئت بدواء، فقلت: ضع هذا الدواء على الجرب، فأخذه ثم ردَّه، فقلت له: لِمَ رددته؟، فقال: أنتم تسمعون مني[٣].

(١) «صلاح الأمة» (ص٣٦٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٦٧).

(٣) المصدر السابق (ص٣٦٧).



قصة الإمام أحمد وبئر المخَنَّث

قال أبو بكرالمروزي: قلت لأبي عبد الله: بئر احتُفِرَت، وقد أوصى مُخنث أن يدفع من ماله فيها، ترى الشرب منها؟ قال: لا، كسب المُخَنَّث خبيث، يكسبه بالطبل، قلت: فإن رش منها المسجد ترى أن يُتوقَّى؟ فتبسم[(١)].

قصة الإمام أحمد وماء الغُسل

قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: إني أُدعى أُغسِّل الميت في يوم بارد، فيفضل من الماء الحار، ترى أن أتوضأ منه؟ قال: لا، ذاك قد أُسخن بكُلفة؛ كأنه ذهب إلى أمر الورثة[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع الطيور المهاجرة

قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في طيرة أنثى جاءت إلى قوم، فتزوجت عندهم وفرخت، لمن الفرخ؟، قال: يتبعون الأم. وأظن أني سمعته يقول في الحمام الذي يرعى في الصحراء: أكره أكل فراخها، وكره أن يرعى في الصحراء، وقال: تأكل طعام الناس[(٣)].

---

(١) «الورع» لابن حنبل (ص٢١).

(٢) «الورع» لابن حنبل (ص٢٣).

(٣) «الورع» لابن حنبل (ص٤٠).

قصة الإمام أحمد مع المحبرة

قال إبراهيم الحربي: لزمت أحمد بن حنبل سنتين، فكان إذا خرج يُحدثنا خرج معه محبرة مُجلدة بجلد أحمر وقلمًا، فإذا مر به سَقْطٌ أو خطأ في كتابه أصلحه بقلمه من محبرته، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئًا، وكنا نقول لأحمد في الشيء يحفظه، فيقول: لا، إلا في كتاب[(١)].

قصة الإمام أحمد مع يحيى بن معين

قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول ليحيى بن معين: يا أبا زكريا، بلغني أنك تقول: حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، فقال يحيى: نعم، أقول هكذا. قال أحمد: فلا تقله، قل: إسماعيل بن إبراهيم، فإنه بلغني أنه يكره أن يُنسب إلى أمه. قال يحيى لأبي: قد قبلنا منك يا مُعلم الخير[(٢)].

قصة الإمام أحمد وكيد الشيطان

قال أبو بكر المروزي: خرجت مع أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إلى المسجد، فلما دخل قام ليركع، فرأيته وقد أخرج يده من كمه وقال هكذا ـ وأومأ بأصبعيه يحركهما ـ فلما قضى الصلاة، قلت: يا أبا عبد الله، رأيتك تومئ بأصبعيك وأنت تصلي؟ قال: إن الشيطان أتاني فقال: ما غسلت رجليك. قلت: بشاهديٍّ عدلين.

---

(١) «إصلاح الأمة» (ص٣٦٧).

(٢) «المناقب» (ص٣٢٦).

قصة الإمام أحمد مع البومة

وقال أبو فروة يزيد بن محمد الرهاوي: لقيتُ أبا عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل ببغداد، فقال لي فيما يقول: ما فعل الرجل الذي عندكم بحران (الجوهري) عنده علم؟ فقلت: ما أعرف بحران جوهريًا يُكتب عنه، فقال: بلى، صاحب أبي معيد حفص بن غيلان؟ قلت: ما أعرفه، قال: يغفر الله لك، له بنون؟ قلتُ: لعلك تريد البومة؟ قال: إياه أعني. اكتب عنه، فإنه ثقة، قال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: هذا الرجل اسمه محمد بن سليمان بن أبي داود، ولقب بالبومة، فتورع الإمام أحمد عن ذكر لقبه[1].

قصة شكوى الإمام أحمد في الأنين

روي أن الإمام أحمد كان يئن في مرضه، فلما أخبروه أن طاووسًا يقول: إن أنين المريض شكوى، فما أنَّ حتى مات ـ رحمه الله ـ[2].

قصة الإمام أحمد مع ريحانة

قال الحسين بن المنادي: استأذن أحمد زوجته في أن يتسرى طلبًا لاتباع السنة، فأذنت له، فاشترى جارية بثمن يسير وسماها ريحانة، استنانًا برسول الله ﷺ.

---

(١) «المناقب» (ص٣٣٨)

(٢) «عدة الصابرين» (ص٩٤).

قصة الإمام أحمد وبشر الحارث

قال عبد الرحمن الطيب: اعتل أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث، فكنت أدخل على بشر الحارث فأقول: كيف تجدك؟ فيحمد الله ثم يخبرني، فيقول: أحمد الله إليك، أجد كذا وكذا، وأدخل على أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأقول: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير، فقلت له يومًا: إن أخاك بشرًا عليل، وأسأله عن حاله فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني، فقال لي: سله عمن أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهاب أن أسأله. فقال: قل له: قال لك أخوك أبو عبد الله: عمن أخذت هذا؟ قال: فدخلت عليه فعرفته ما قال، فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بإسناده، عن ابن عون، عن ابن سيرين: إذا حمد الله العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى، وإنما أقول لك: أجد كذا، أعرف قدرة الله فيَّ، قال: فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال، فكنت بعد ذلك إذا دخلت عليه يقول: أحمد الله عليك، ثم يذكر ما يجده.

الإمام أحمد وسنة النبي ﷺ

وقال المروزي: قال لي أحمد: ما كتبت حديثًا عن النبي ﷺ إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت[1].

---

(١) «المناقب» (ص٣٢٩-٣٣١).

الإمام أحمد ووساوس الشيطان

قال إسحاق بن حبة الأعمش: سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن الوساوس والخطرات، فقال: ما تكلم فيها الصحابة والتابعون.

الإمام أحمد ومن مات على السنة

قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: من مات على الإسلام والسنة مات على خير؟ فقال لي: اسكت من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله[1].

الإمام أحمد مع الرجل الخراساني

قال أبو بكرالمروزي: رأيت رجلاً خراسانيًا قد جاء إلى أبي عبد الله، فأعطاه جزءًا، فنظر فيه أبو عبد الله، فإذا به كلام لأبي عبد الله، فغضب فرمى الكتاب من يده.

وقد قال الإمام أحمد: لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا.

قال ابن القيم: ولأجل هذا لم يؤلف الإمام أحمد كتابًا في الفقه، وإنما دون أصحابه مذهبه من أقواله وأفعاله وأجوبته وغير ذلك.

---

(١) «المناقب» (ص٣٣٢).

الإمام أحمد مع أصحاب الحديث

قال ـ رحمه الله ـ: من عظَّم أصحاب الحديث تعظم في عين رسول الله ﷺ، ومن حقرهم سقط من عين رسول الله ﷺ؛ لأن أصحاب الحديث أحبار رسول الله ﷺ.

قال الفضل بن أحمد الزبيدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول، وقد أقبل عليه أصحاب الحديث وبأيديهم المحابر، فأومأ إليها وقال: هذه سرج الإسلام.

قصة الإمام أحمد مع أخيار الناس

قال أبو عمران المالكي: رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث، والمحابر بأيديهم، فقال أحمد: إن لم يكونوا هؤلاء هم الناس فلا أدري مَن الناس.

قصة اختفاء الإمام أحمد

اختفى الإمام أحمد أيام الخليفة الواثق عند إبراهيم بن هانئ، قال إبراهيم: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام، ثم قال: اطلب لي موضعًا حتى أتحول إليه، قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال: افعل، فإذا فعلت أفدتك. وطلبت له موضعًا، فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، وليس ينبغي أن يُتبع رسول الله ﷺ في الرخاء ويترك في الشدة[1].

---

(١) «المناقب» (ص٤٣٠).

قصة الإمام أحمد مع شاتم أصحاب الحديث

قال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قُتَيْلة بمكة أصحاب الحديث فقال: قوم سوء. فقام أحمد وهو ينفض ثوبه، فقال: زنديق . . زنديق. ودخل بيته.

قصة الإمام أحمد مع من يركن إلى الظالمين

قال صالح بن أحمد بن حنبل: جاء الخزامي إلى أبي وقد كان ذهب إلى ابن أبي دؤاد ـ الذي جر الأمة إلى محنة القول بخلق القرآن ـ فلما خرج إليه ورآه أغلق الباب في وجهه ودخل.

قصة الإمام أحمد مع من يداهن أهل البدع

قال أبو داود السجستاني: قلت لأبي عبد الله: أرى رجلاً من السنة مع رجل من أهل البدع، أترك كلامه؟ قال: لا، أو تعلِمُه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به.

قصة الإمام أحمد مع المجادل

قال أبو القاسم النصر أباذي: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام والجدال، فهجره أحمد بن حنبل، فاختفى في دار ببغداد ومات فيها، ولم يُصلِّ عليه إلا أربعة نفر.

الإمام أحمد وقبور أهل البدع

قال الإمـام أحمد ـ رحـمه الله ـ: قبـور أهل السنة من الفُسّـاق روضة من رياض الجنة، وقبور أهل البدع من الزهاد حفرة من حُفر النار[١].

الإمام احمد ومقام الانبياء

قـال بشر بن الحـارث: إن هذا الرجل قـام اليـوم بأمر عـجـز عنه الخلق، أتريدون أن أقوم مقام الأنبـياء؟! إن أحمد بن حنبل قام مقـام الأنبياء، حفظ الله أحمد من بين يديه ومن خلفه ومن فوقـه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله، وإن أحمد بن حنبل طار بحظها وغنائها في الإسلام.

* وقال أبو ثور: كـنت إذا رأيت أحمد بن حنـبل، خُيِّل إليك أن الشـريعة لوح بين عينيه.

صيام الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

قصة صيام الامام أحمد

وبعد خـروج الإمام أحمد من المعـسكر بعد انقضاء مـا اتهم به قال أبو بكر المروزي: قال لي أحـمد بن حنبل ونحن بالمـعسكر: لي اليوم ثمـان منذ لم آكل شيئًا ولم أشرب، إلا أقل من ربع سويق. وكان يمكث ثلاثًا لا يطعم، فإذا كانت ليلة الرابعة، أضع بين يديه قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه، وكان إذا ورد عليه أمر يهمه لم يَطعم ولم يُفطر إلا على شربة ماء.

(١) «المناقب» (ص٢٣٦).

قصة طاعة الإمام أحمد لله تعالى

قال إبراهيم بن هانئ: وكان أحمد بن حنبل قد اختبأ عنده من الخليفة. فحكى أنه لم يَرَ أحد أقوى على الزهد والعبادة وجهد النفس من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال: كان يصوم النهار ويعجل الإفطار، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات، ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر، ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة، وكان هذا دأبه طول مقامه عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة، وكنت لا أقوى معه على العبادة، وما رأيته مفطرًا إلا يومًا واحدًا، أفطر واحتجم[(١)].

قصة مواصلة الإمام أحمد الصيام

قال صالح بن أحمد: جعل أبي يواصل الصوم، يفطر في كل ثلاث على تمر شهرين، فمكث بذلك خمسة عشر يومًا، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة، لا يفطر إلا على رغيف.

قصة صوم الإمام أحمد في اليوم الشديد الحر

قال صالح بن أحمد: وكان إذا جيء بالمائدة، توضع في الدهليز لكي لا يراها فيأكل من حضر، وكان إذا أجهده الحر، تلقى له خِرقة فيضعها على صدره[(٢)].

---

(١) «المناقب» (ص٣٥٩).

(٢) «المناقب» (ص٤٥٠).

قصة شدة جوع الإمام أحمد

قال أبو بكر المروزي: أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة، وكان قد واصل الصوم فإذا هو قاعد فقال: هو ذا يُدار بي من الجوع، فأطعمني شيئًا. فجئته بأقل من رغيف، فأكل ثم قال: لولا أني أخاف العون على نفسي، ما أكلت. وكان يقوم من فراشه إلى المخرج فيقعد يستريح من الضعف من الجوع، حتى إن كنت لأبل له الخرقة، فيلقيها على وجهه لترجع إليه نفسه.

قصة هزال وضعف الإمام أحمد

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا، ما ذاق شيئًا إلا مقدار ربع سويق، في كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت مآقيه قد دخلا في حدقتيه.

قصة طعام الإمام أحمد

قال أبو بكر المروزي: كان أبو عبد الله بالعسكر يقول: انظر هل تجد لي ماء الباقلاء؟، فكنت ربما بللتُ خُبزه بالماء فيأكله بالملح، ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخًا ولا دسمًا[١].

---

(١) «المناقب» (ص٤٥٥).

قصة ذهاب شهوة الطعام عند الإمام أحمد من الصيام

قال أبو بكر المروزي: قال لي أبو عبد الله ونحن بالعسكر: ألا تعجب! كان قوتي فيما مضى أرغفة، وقد ذهبت عني شهوة الطعام، فما اشتهيته، وقد كنت في السجن آكل وذلك عندي زيادة في إيماني وهذه نقصان، وقال لنا يومًا ونحن بالعسكر: لي اليوم ثمان لم آكل شيئًا ولم أشرب إلا أقل من ربع سويق، وكان يمكث ثلاثًا لا يطعم وأنا معه، فإذا كان الليلة الرابعة أضع بين يديه قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه.

قصة الإمام أحمد مع الطبيخ

وكُلم الإمام أحمد في الحَمْل على نفسه فقيل له: لو أمرت بقدر تُطبخ لك ليرجع إليك نفسك فقال: الطبيخ طعام المطمئنين، مكث أبو ذر ثلاثين يومًا ما له طعام إلا ماء زمزم، وهذا إبراهيم التيمي كان يمكث في السجن كذا وكذا لا يأكل، وهذا ابن الزبير كان يمكث سبعًا[1].

قصة الإمام أحمد مع طعام الخليفة المتوكل

كتب المتوكل إلى خليفته أن يحمل أحمد بن حنبل إليه، فحمل إليه، فلما قدم أحمد، أمر أن يُفرغ له قصر ويُبسط له فيه، ويجري على مائدته كل يوم كذا وكذا، وأراده أن يُسمع ولدَهُ الحديث، فأبى أحمد ولم يجلس على بساطه،

---

(١) «المناقب» (ص: ٤٥٦).

ولم ينظر إلى مائدته، وكان صائمًا، فإذا كان الإفطار أمر رفيقه الذي معه أن يشتري له ماء الباقلاء، فيفطر عليه، فيبقى أيامًا على هذه الحال، وكان علي بن الجهم من أهل السنة، حَسَن الرأي في أحمد فكلم أمير المؤمنين فيه، وقال: هنا رجل زاهد لا يُنتفع به، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له؟ ففعل، ورجع أحمد إلى منزله(١).

قصة استقامة الإمام أحمد

قال إبراهيم الحربي: يقول الناس أحمد بن حنبل بالتوهم، والله ما أجد لأحد من التابعين عليه مزية، ولا أعرف أحدًا يُقْدَر قَدْره، ولا يعرف لأحد من الإسلام محله، ولقد صحبته عشرين سنة صيفًا وشتاءًا وحرًا وبردًا وليلاً ونهارًا، فما لقيته لقاةً في يوم، إلا وهو زائد عليه بالأمس، ولقد كان يقدُمُ أئمة الإسلام العلماء في كل بلد، وإمام كل مصر، فهم بجلالتهم ما دام الرجلُ منهم خارجًا من المسجد، فإذا دخل المسجد صار غلامًا متعلمًا(٢).

قصة إعراض الإمام أحمد عن الخوض في حديث الدنيا

قال أبو داود السجستاني: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذُكر العلم تكلم.

---

(١) «المناقب» (ص: ٤٥٧-٤٥٨).

(٢) «المناقب» (ص: ١٨٢).

تواضع الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

قصة تواضعه مع الفقراء

قال المروزي: لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أبي عبد الله، كان مائلاً إليهم مقصرًا عن أهل الدنيا، وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلس بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس(١).

قصة تواضع الإمام في الشراء

قال المروزي: وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ربما خرج إلى البقال، فيشتري الجُزْرة والحطب والشيء فيحمله بيده.

قصة الإمام أحمد مع الوَرع

قال محمد بن طارق البغدادي: كنت جالسًا إلى جنب أحمد بن حنبل، فقلت: يا أبا عبد الله، استمد من محبرتك؟ فنظر إليَّ وقال: لم يبلغ ورعي ورعك هذا، وتبسم.

(١) الذهبي: «تاريخ الإسلام» (ص: ٣١).

قصة الإمام أحمد مع أقرانه وتلامذته

قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحـمد بن حنبل!! صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير، وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول: نحن قوم مساكين.

قصة الإمام أحمد مع من أراد أن يقبل رأسه

وقال إسماعيل بن إسحاق الثقفي: قلت لأبي عبد الله أول مرة رأيته: يا أبا عبد الله، ائذن لي أن أقبل رأسك، فقال: لم أبلغ أنا ذاك.

قصة الإمام أحمد مع مادحه

وقـال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبـد الله: الرجل يقـال له في وجهـه: أحييت السنة؟ قال: هذا فساد لقلب الرجل.

قصة تواضع الإمام أحمد مع الخراساني

وقال الخـراساني للإمام أحمـد: الحمد لله أني رأيتك، قـال له: اقعـد، أي شيء أنا؟! أي شيء ذا؟! وقـيل لأبي عبد الله: جـزاك الله عن الإسلام خـيراً، فقال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيراً، ثم قال: ومن أنا؟! وما أنا؟!

قصة ما أغم الإمام أحمد

قال أحمد بن الحسين بن حسان: دخلنا على أبي عبد الله فقال له شيخ من أهل خراسان: يا أبا عبد الله، الله الله، فإن الناس يحتاجون إليك، قد ذهب الناس، فإن كان الحديث لا يمكن فمسائل، فإن الناس مضطرون إليك، فقال أبو عبد الله: إليَّ أنا؟!! واغتم من قوله وتنفس صعداء، ورأيت في وجهه أثر الغم.

قصة من طلب الدعاء من الإمام أحمد

ودُفع إلى أبي عبد الله كتاب من رجل يسأله أن يدعو الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له فقال: فإذا دعونا لهذا نحن، من يدعو لنا؟!

قصة الإمام أحمد مع من طلبوا منه الحديث

وقال محمد بن أحمد بن واصل: سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول: من أنا حتى تجيئون إليَّ؟! من أنا حتى تجيئون إليَّ؟! اذهبوا اطلبوا الحديث.

قصة الإمام أحمد مع الورعين

وقال أبو بكر المروزي: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكر أخلاق الورعين، فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟!

قصة الإمام أحمد مع الداعين له

وقال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك!! فتغرغرت عينُه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا، أسأل الله أن يجعلنا خيرًا مما يظنون ويغفر لنا ما لا يعلمون.

قصة زهد الناس في الإمام أحمد

قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: إن بعض المحدثين قال لي: أبو عبد الله لم يزهد في الدراهم وحدها، قد زهد في الناس، فقال أبو عبد الله: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟! الناس يريدون يزهدون فيَّ.

قصة تواضع الإمام أحمد مع الصبي والشيخ

وقال أبو عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت أبي إذا جاءه الشيخ والحدث من قريش أو غيرهم من الأشراف، لا يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم، فيكونوا هم الذين يتقدمونه، ثم يخرج بعدهم.

قصة الإمام أحمد مع الحالف اليمين

قال أحمد بن الأبار: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، وسأله رجل: حلفتُ بيمين ما أرى أيَّ شيء هي؟ فقال: ليت أنك إذا دريت دريت أنا.

قصة الإمام أحمد مع أبي عثمان الشافعي

وقال أبو عثمان الشافعي لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: لا يزال الناس بخير ما مَنَّ الله عليهم ببقائك - وكلام من هذا النحو كثير - فقال له: لا تقل هذا يا أبا عثمان، لا تقل هذا يا أبا عثمان، ومَن أنا في الناس؟!

قصة الإمام أحمد مع طالب البركة

قال علي بن عبد الصمد الطيالسي: مسحتُ يدي على أحمد بن حنبل، ثم مسحتُ يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبًا شديدًا وجعل ينفض يده ويقول: عمن أخذتم هذا؟! وأنكره إنكارًا شديدًا.

قصة ازدراء الإمام أحمد نفسه

قال خطاب: وسألته عن شيء من الورع، فرأيته قد أظهر الاغتمام وتبين عليه في وجهه، ازدراء نفسه، واغتمامًا بأمره، حتى شق علي فقلتُ لرجل كان معي حين خرجنا: ما أراه ينتفع بنفسه أيامًا جددنا عليه غمًا[1].

قصة حياء الإمام أحمد من الله

دخل أبو حامد الخلقاني على الإمام أحمد فأنشده هذه الأبيات:

إذا مـــا قـــال لي ربي *** أما استحييت تعصيني

(١) «المناقب» (ص: ٣٣٤-٣٤٧).

وتخفي الذنب من خَلْقي ۞ وبالعصيان تأتيني
فما قولي له لما ۞ يعاتبني ويُقْصيني

فأمره أحمد بإعادتها، فأعادها عليه، فدخل أحمد داره، وجعل يرددها ويبكي.

أدب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

قصة أدب الإمام مع وكيع

قال عمرو الناقد: كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد وجعل يصف من تواضعه بين يديه، قال عمرو: فقلت يا أبا عبد الله، إن الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم؟ قال: إن كان يكرمني، فينبغي لي أن أجلَّه.

قصة أدب الإمام أحمد في طلب العلم

قال قتيبة بن سعد: قدمت بغداد وما كان لي همة إلا أن ألقى أحمد بن حنبل فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يدي، وقال: أَمْلِ عليَّ هذا، ثم تذاكرنا، فقام أيضًا وجلس بين يدي، فقلت: يا أبا عبد الله، اجلس مكانك، فقال: لا تشغل بي، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه.

أدب الإمام أحمد مع أستاذه يحيى القطان

قال إسحاق الشهيد: كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجد، فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن

علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم، يستمعون الحديث، وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لأحد منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبة وإعظامًا.

قصة أدب الإمام أحمد مع أستاذه خلف

وقال خلف: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدتُ أن أرفعه فأبى وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أُمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه[١].

قصة من كان يكتب الأدب عن الإمام أحمد

قال الحسن بن إسماعيل: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسن الأدب وحسن السَّمْت[٢].

حقيقة أدب الإمام أحمد

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وُفق للأدب وسُدد للحلم، وملئ بالعلم، أتاه رجل يومًا فقال له: عندك كتاب زندقة؟ فسكت ساعة ثم قال له: إنما يُحرز المرء قبره[٣].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٨٢-٨٣).

(٢) «المناقب» (ص: ٢٧١).

(٣) «المناقب» (ص: ٢٨٧).

حقيقة أخلاق الإمام أحمد

وقال أبو بكر المطوعي: اختلفتُ إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبتُ عنه حديثًا واحدًا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه[١].

قصة تكريم الإمام أحمد ليحيى بن معين

وعن ابن المنادي، عن جده أبي جعفر قال: كان أحمد من أحيا الناس وأكرمهم وأحسنهم عشرة وأدبًا، كثير الإطراق، لا يُسمع منه إلاَّ المذاكرة للحديث وذكر الصالحين في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بشٌّ له وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ شديدًا، وكانوا يعظمونه، وكان يفعل بيحيى ابن معين ما لم أره يعمل بغيره من التواضع والتكريم والتبجيل، كان يحيى أكبر منه بسبع سنين[٢].

قصة أدب الإمام أحمد مع رسول الله ﷺ

قال حنبل: رأيت أبا عبد الله إذا أراد القيام قال لجلسائه: إذا شئتم، ومن أدبه قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النبي ﷺ، فيضعها على فيه ويقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه ويستشفي به، ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جبٍّ الماء ثم شرب فيها[٣].

---

(١) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (جـ١١، ص:٣١٦).
(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (جـ١١، ص:٣١٧-٣١٨).
(٣) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (جـ١١، ص:٢١٢).

قصة أدب الإمام أحمد في كتابة الخطابات للنساء وهو صغير

قال أبو بكر المروزي: قال لي أبو عفيف وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل فقال: كان في الكُتَّاب معنا وهو غُليم نعرف فضله، وكان الخليفة بالجيش في الرقة، فيكتب الغائبون من الناس إلى منازلهم الكتب، فيبعث نساؤهم إلى المُعلِّم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل؛ ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهن مُطأطئ الرأس، فيكتب جواب كُتبهن، فربما أملين عليه الشيء من المنكر فلا يكتبه لهن.

قصة التعجب من أدب الإمام أحمد وهو صغير

قال المروزي: قال لي أبو سراج بن خزيمة: كنا مع أبي عبد الله في الكُتَّاب فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث لنا بابن حنبل، ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن، قال أبو سراج: فقال أبي وذكره فجعل يعجب من أدبه وحُسن طريقته، فقال لنا ذات يوم: أنا أُنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم انظر كيف يخرج؟! وجعل يعجب.

قصة ورع الإمام أحمد وهو صغير

قال داود بن بسطام: أبطأت عليَّ أخبار بغداد فوجهت إلى عم أبي عبد الله ابن حنبل: لم تصل إلينا الأخبار اليوم! وكنت أريد أن أحررها وأوصلها إلى الخليفة، فقال لي: قد بعثت بها مع أحمد بن أخي، قال: فبعث عمه، فأحضر أبا عبد الله وهو غلام، فقال: أليس قد بعثتُ معك الأخبار؟ قال: نعم! قال:

فلماذا لم توصلها؟ قال: أنا كنتُ أرفع تلك الأخبار!! رميت بها في الماء، قال: فجعل ابن بسطام يسترجع ويقول: هذا غلام يتورع، فكيف نحن!!

قصة إعراض الإمام أحمد عن التعامل مع رسل الخلفاء

قال الخلال: حدثنا محمد بن علي، قال: حدثني أبو المنبه جارنا، قال: أول شيء عُرف من أحمد بن حنبل، أن عمه كتب في جواب كتاب بعث به إلى السلطان، فدفعه إلى أحمد بن حنبل يدفعه إلى الرسول، فلم يدفعه أحمد إليه، ووضعه في طاق في منزلهم، وطلب الرسول الجواب، فقال عمه: قد وجهتُ به إليك، ثم قال لأحمد: أين الكتاب الذي أمرتك أن تدفعه إلى الرسول على الباب؟ فقال له: هو مرسل إلى الخليفة، هو ذا الكتاب في الطاق[1].

قصة بكور الإمام أحمد إلى طلب العلم

قال الإمام أحمد حاكيًا طلبه للحديث في صغره: كنت ربما أردت البكور في الحديث، فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حتى يؤذِّن الناس، أو حتى يصبحوا، وكنت ربما بكَّرتُ إلى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره[2].

قصة لؤلؤتي الإمام أحمد

قال صالح: قال أبي: ثَقَبت أُمي أذني فكانت تُصير فيهما لؤلؤتين، فلما ترعرعت نزعتهما فكانت عندها ثم دفعتهما إليَّ، فبعتهما بنحو من ثلاثين درهمًا[3].

---

(١) «المناقب» (ص: ٤٣).
(٢) «المناقب» (ص: ٥٠).
(٣) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (جـ١١، ص: ١٧٩).

قصة الإمام أحمد مع أبي النعمان

قال عارِم: وضع أحمد عندي نفقته، فقلت له يومًا، يا أبا عبد الله، بلغني أنك من العرب، فقال: يا أبا النعمان نحن قوم مساكين، فلم يزل يدافعني حتى خرج، ولم يقل شيئًا(١).

قصة الإمام أحمد مع الكوفيين

قال ابن نُمير: كنت عند وكيع فجاءه رجل، أو قال جماعة من أصحاب أبي حنيفة فقالوا له: هاهنا رجل بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين، فلم يعرفه وكيع، فبينا نحن إذ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو فقال وكيع: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكرون، وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي ﷺ، فقالوا لوكيع: هذا بحضرتك ترى ما يقول؟ فقال: رجل يقول: قال رسول الله ﷺ، إيش أقول له؟ ثم قال: ليس القول إلا كما قلت يا أبا عبد الله، فقال القوم لوكيع: خدعك والله البغدادي(٢).

سعة علم وحفظ الإمام أحمد - رحمه الله -

قصة أحمد مع الأعرابي

قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: مات هُشيم ولي عشرون سنة، فخرجت أنا والأعرابي رفيق كان لأبي عبد الله، قال: فخرجنا مشاة فوصلنا

---

(١) «السير» (جـ١١، ص:١٨٧).

(٢) «السير» (جـ١١، ص:١٨٦-١٨٧).

الكوفة في سنة ثلاث وثمانين فأتيتا أبا معاوية وعنده الخلق فأعطى الأعرابي حجة بستين درهمًا، فخرج وتركني في بيت وحدي فاستوحشت، وليس معي إلا جراب فيه كتبي، كنت أضعه فوق لبنة، وأضع رأسي عليه، وكنت أذاكر وكيع بحديث الثوري، وذكر مرة شيئًا، فقال: هذا عند هشيم؟ فقلت: لا، وربما ذكر العشر أحاديث فأحفظها فإذا قام قالوا لي: فأمليها عليهم(١).

سعة حفظ الامام أحمد

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبي: خُذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام(٢).

عدد ما يحفظ الإمام من أحاديث

عن أحمد الدورقي، عن أبي عبد الله قال: نحن كتبْنا الحديث من ستة وجوه وسبعة لم نضبطه، فكيف يضبطه مَنْ كتبه من وجه واحد؟! قال عبد الله ابن أحمد: قال لي أبو زرعة: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب(٣).

---

(١)، (٢) «السير» (جـ١١، ص: ١٨٦).

(٣) «السير» (جـ١١، ص: ١٨٧).

قصة الإمام أحمد مع أبي زرعة

قال سعيد بن عمرو: يا أبا زرعة أأنت أحفظ أم أحمد؟ قال: بل أحمد، قلت: كيف علمت؟ قال: وجدت كتبه ليس في أوائل الأجزاء أسماء الذين حدثوه، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه وأنا لا أقدر على هذا[(١)].

قصة عدد كتب الإمام أحمد يوم موته

قال أبو زرعة: أحصيت كتب أحمد يوم مات، فبلغت اثنى عشر حِملاً وعدداً، ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان، كل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلب[(٢)].

قصة من يشفع في الإمام أحمد

وقيل: إن أحمد أتى حسينًا الجُعفي بكتاب كبير يشفع في أحمد فقال حسين: يا أبا عبد الله، لا تجعل بيني وبينك منعمًا فليس تَحَمَّلُ عليَّ بأحد إلا وأنت أكبر منه[(٣)].

قصة سرقة ثياب الإمام أحمد

وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أيامًا، فدُلِلْت على موضعه، فجئت، فإذا

---

(١) «السير» (جـ١١، ص:١٨٧).

(٢) «السير» (جـ١١، ص:١٨٨).

(٣) «السير» (جـ١١، ص:١٧٩)، وفي «المناقب» (ص:٧٢).

هو في شبيهٍ بكهف في جياد[(١)]، فقلت: سلام عليكم، أدخل؟ فقال: لا، ثم قال: ادخل، فدخلت، وإذا عليه قطعةُ لِبْدٍ خلق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استترت، فقلت: ما شأنك؟ قال: سُرقت ثيابي، قال: فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم فعرضتها عليه فامتنع، فقلت: قرضًا فأبى، حتى بلغت عشرين درهمًا، يأبى فقمت وقلت: ما يحل لك أن تقتل نفسك، قال: ارجع فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي من ابن عيينة؟ قلت: بلى، قال: تحب أن أنسخه لك؟ قلت: بلى، قال: اشتر لي ورقًا، قال: فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع من يؤخر الصلاة

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: قدمت صنعاء أنا ويحيى بن معين فمضيت إلى عبد الرزاق في قريته وتخلف يحيى فلما ذهبت أدق الباب، قال لي بقال تجاه داره: مَهْ لا تدق فإن الشيخ يُهاب، فجلست حتى إذا كان قبل المغرب، خرج فوثبتُ إليه، وفي يدي أحاديث انتقيتها فسلمت وقلت: حدثني بهذه يرحمك الله فإني رجل غريب، قال: ومن أنت؟! قلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر، وضمني إليه، وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟ ثم أخذ الأحاديث وجعل يقرؤها حتى أظلم، فقال للبقال: هلم المصباح حتى خرج وقت المغرب، وكان عبد الرزاق يؤخر صلاة المغرب[(٣)].

---

(١) جياد: موضع بمكة يلي الصفا.

(٢)، (٣) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٢).

قصة الإمام أحمد مع أحاديث سفيان

قال أبو زرعة: أخرج إليَّ أبو عبد الله أجزاء كلها سفيان سفيان، ليس على حديث منها «حدثنا فلان» فظننتها عن رجل واحد، فانتخبت منها، فلما قرأ ذلك عليَّ جعل يقول: حدثنا وكيع ويحيى، وحدثنا فلان، فعجبت ولم أقدر أنا على هذا وجهدت أن أقدر على شيء من هذا فلم أقدر[(١)].

قصة الإمام احمد مع ابن راهويه

قال ابن راهويه: كنت أجالس أحمد وابن معين، ونتذاكر فأقول: ما فِقْهُهُ؟ ما تفسيرُهُ؟ فيسكتون إلا أحمد[(٢)].

قصة الإمام أحمد مع القفل المغلق

قال علي بن سهل: رأيت يحيى بن معين عند عفان، ومعه أحمد بن حنبل، فقال: ليس هنا اليوم حديث، فقال يحيى: ترد أحمد بن حنبل وقد جاءك؟ فقال: الباب مُقفل والجارية ليست هنا، قال يحيى: أنا أفتح، فتكلم على القفل بشيء ففتحه، فقال عفان: أفَشَّاش[(٣)] أيضًا؟! وحدثهم[(٤)].

---

(١)، (٢) «السير» (جـ١١، ص:١٨٨).

(٣) يقال: فَشَّ القفل فشًّا أي فتحه بغير مفتاح.

(٤) «السير» (جـ١١، ص:١٩١).



قصة إغماء الإمام أحمد

قال المروزي: قلت لأحمد: أكان أُغمي عليك، أو أغشي عليك عند ابن عيينة؟ قال: نعم، في دهليزه زَحَمني الناس، فأُغمى علي[1]!

قصة سبب سهو الإمام احمد في الصلاة

قال أبو إسحاق الجوزجاني: كان أحمد بن حنبل يصلي بعبد الرزاق، فسها فسأل عبد الرزاق عنه، فأُخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا[2].

قصة بكاء الإمام عبد الرزاق على حال الإمام أحمد

قال الخلال: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته قد نفدت، فأخذت بيده فأقمته خلف الباب، وما معنا أحد، فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير، إذا بعنا الغلة، أشغلناها في شيء، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها وأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ شيء، فقال لي: يا أبا بكر، لو قبلت من أحد شيئًا قبلت منك[3].

قصة رفض الإمام أحمد ما عرض عليه من أموال

قال عبد الله: قلت لأبي: بلغني أن عبد الرزاق عرض عليك دنانير؟ قال: نعم، وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم فلم أقبلها، وأعطى يحيى بن معين وأبا مسلم فأخذا منه[4].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ١٩١).

(٢) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٣).

(٣) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٢).

(٤) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٣).

قصة الإمام أحمد مع التكبير يوم العيد

قال إسحاق بن راهويه: كنا عند عبد الرزاق أنا وأحمد بن حنبل فمضينا معه إلى المصلى يوم عيد، فلم يُكبر ولا أنا ولا أحمد، فقال لنا: رأيت معمراً والثوري في هذا اليوم كبَّرا، وإني رأيتكما لم تكبرا فلم أكبر، فلِمَ لَمْ تُكبرا؟ قلنا: نحن نرى التكبير، ولكن شغلنا بأي شيء نبتدي من الكتب[1].

قصة الإمام أحمد مع ابن المبارك

قال الأثرم: أخبرني عبد الله بن المبارك شيخ سمع قديمًا، قال: كنا عند ابن عُلَّية فضحك بعضنا وثَمَّ أحمد، قال: فأتينا إسماعيل بعد فوجدناه غضبان، فقال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل![2].

قصة صناعة الإمام أحمد للتكك

قال إسحاق بن راهويه: كنت مع أحمد بن حنبل عند عبد الرزاق، وكانت معي جارية، وسكنا فوق، وأحمد في أسفل البيت، فقال لي: يا أبا يعقوب هو ذا يعجبني ما أسمع من حركتكم، قال: وكنت أطلع فأراه يعمل التكك ويبيعها ويتقوت بها.

---

(١)، (٢) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٣).

قصة مداعبة الإمام أحمد

قال المروزي: كنا عند يزيد بن هارون، وكان عنده المعيطي، وأبو خيثمة، وأحمد وكانت في يزيد ـ رحمه الله ـ مداعبة، فذاكره المعيطي بشيء، فقال له يزيد: فقدتك، فتنحنح أحمد فالتفت إليه، فقال: من ذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل، فقال: ألا أعلمتموني أنه هاهنا؟! وقال المروزي: ما رأيت يزيد بن هارون ترك المزاح لأحد إلا لأحمد بن حنبل.

قصة الإمام أحمد مع كبار التابعين

قال قتيبة: خير أهل زماننا ابن المبارك ثم هذا الشاب ـ يعني أحمد بن حنبل ـ وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد فاعلم أنه صاحب سنة، ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث لكان المقدم عليهم، فقيل لقتيبة: يضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

قصة الثناء على الإمام أحمد

قال محمد بن الحسين الأنماطي: كنا في مجلس فيه يحيى بن معين، وأبو خيثمة، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل فقال رجل: فَبْعضَ هذا، فقال يحيى: وكثرة الثناء على أحمد تُستنكر! لو جَلَسْنا مجالسنا بالثناء عليه، ما ذكرنا فضائله بكمالها[١].

(١) «السير» (جـ١١، ص: ١٩٣-١٩٦).

قصة الإمام أحمد مع الذهب الأحمر

قال بشر بن الحارث: أأسأل عن أحمد بن حنبل؟! إنْ أحمد أُدخل الكير، فخرج ذهبًا أحمر.

قصة الإمام أحمد مع إمام الأئمة

قال إمام الأئمة ابن خزيمة: سمعت محمد بن سحنويه وذكر أحمد بن حنبل فقال ـ رحمه الله ـ: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

قصة الإمام أحمد مع أبي عبيد

قال محمد بن أبي بشر: أتيت أحمد بن حنبل في مسألة فقال: ائت أبا عبيد فإن له بيانًا لا تسمعه من غيره، فأتيته فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد، فقال: ذاك رجل من عمال الله، نشر الله رداء عمله، وذخر له عنده الزُّلْفى، أما تراه محبوبًا مألوفًا، ما رأيت عيني بالعراقي اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم فإنه لكما قيل:

يَزينك إما غاب عنك فإن دنا *** رأيت له وجهًا يَسُرك مقبلا
يُعلم هذا الخلق ما شذ عنهم *** من الأدب المجهول كهفًا ومعقلا
ويحسُنُ في ذات الإله إذا رأى *** مَضيمًا لأهل الحق لا يسأم البلا
وإخوانه الأدنون كُلُّ موفقٍ *** بصير بأمر الله يسمو على العلا

قصة حنوط وأكفان الإمام أحمد

وبعث ابن طاهر حين مات أحمد بأكفان وحنوط فأبى صالح أن يقبله وقال: إن أبي قد أعد كفنه وحنوطه، ورده، فراجعـه، فقال: إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبد الله مما يكره، وهذا مما يكره، فلست أقبله.

قصة الإمام أحمد مع الرجل المشهور

يروى عن ابن الجروي: وقـد جاء المغرب، فـقال لأبي: أنا رجل مشـهور، وقد أتيتك في هذا الوقت وعندي شيء قد أعددته لك، وهو ميراث، فأحب أن تقبله، فلم يزل به، فلما أكثر عليه، قـام ودخل، قال صالح: فأُخبرت عن ابن الجروي أنه قال: قلت له: يا أبا عبد الله هي ثلاثة آلاف دينار، فقام وتركني.

قصة رد الإمام أحمد أربعة آلاف دينار من الخليفة

قال صالح بـن أحمد: دخلت على أبي يومًا من أيام الخليـفة الواثق ـ والله يعلم أي حال نحن فيه ـ وقد خرج لصلاة العـصر وكان له لِبْدٌ يجلس عليه، قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلى، وإذا تحته كـتاب كاغد فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فـيه من الضيق، ومـا عليك من الدَّين، وقد وجـهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فـلان وما هي من صـدقـة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثتـه من أبي، فقرأت الكتاب ووضـعته، فلما دخل قلت: يا أبه ما هذا الكتـاب؟ فاحمر وجهـه وقال: رفعـته منك، ثم قال: تذهب لجـوابه؟ فكتب إلى الرجل: وصل كتابك إلي ونحن في عـافية، فأما الدَّين فإنه لرجل لا يرهقنا، وأمـا عيالنا ففي

نعمة الله، فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل مثل ذلك، فرد عليه بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو نحوها ذكرناها فقال: لو كنا قبلناها، كانت قد ذهبت[1].

قصة الإمام أحمد مع المبطنة

قال صالح بن أحمد: قال أبي: جاءني يحيى بن يحيى - قال أبي: وما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك رجلاً يشبه يحيى بن يحيى - فجاءني ابنه فقال: أبي أوصى بمبْطَنَة له لك، وقال يذكرني بها، فقلت: جيء بها، فجاء برزمة ثياب، فقلت له: اذهب رحمك الله، يعني ولم يقبلها.

قصة الإمام أحمد مع عمه

قال عُبيد القاري: دخل على أحمد بن حنبل عمه، فقال: يا ابن أخي، أيش هذا الغم؟ وأيش هذا الحزن؟ فرفع رأسه، وقال: يا عم طوبى لمن أخمل الله ذكره.

قصة علاج الإمام أحمد بالقرآن

وقال صالح: كان أبي إذا توضأ لا يدع من يستقي له، وربما اعتللت فيأخذ قدحًا فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٠٦)، و«المناقب» (ص: ٢٣٢).

قصة تَنَوُّر الإمام أحمد في البيت

قال صالح: كان أبي يَتَنَوَّر في البيت، فقال لي في يوم شتوي: أريد أدخلُ الحمام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمام، ثم بعث إليَّ: إني قد أضربت عن الدخول وتَنَوَّر بالبيت.

قصة الإمام أحمد مع ذكر الموت

قال المروزي: كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكر الموت هان علي كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أعدل بالفقر شيئًا، ولو وجدت السبيل لخرست حتى لا يكون لي ذكر[1].

قصة الإمام أحمد مع الأبدال

قال المروزي: قدم رجل من الزهاد فأدخلته على أحمد وعليه فرو خَلَقٌ وخريقة على رأسه وهو حاف في برد شديد، فسلم وقال: يا أبا عبد الله قد جئت من موضع بعيد وما أردت إلا السلام عليك، وأريد عبادان، وأريد إن أنا رجعت أسلم عليك، فقال: إن قُدِّر، فقام الرجل وسلم، وأبو عبد الله قاعد، فما رأيت أحد قام من عند أبي عبد الله حتى يقوم هو إلا هذا الرجل، فقال لي أبو عبد الله: ما ترى ما أشبهه بالأبدال، أو قال: إني لأذكر به الأبدال، وأخرج إليه أبو عبد الله أربعة أرغفة مشطورة بكامخ ـ أُدْم ـ وقال: لو كان عندنا شيء لواسيناك.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٠٧-٢١٦).



قصة الإمام أحمد مع الداعين باسمه

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟. وقلت له: قدم رجل من طرسوس فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نَـمُدُّ المنجنيق ونرمي عن أبي عبد الله، ولقد رمي عنه بحجر، والعلج على الحصن متترس بَدَرَقَه فذهب برأسه وبالدرقة، قال: فتغير وجه أبي عبد الله وقال: ليته لا يكون استدراجًا، قلت: كلا.

قصة الإمام أحمد مع النصراني الذي أراد رؤيته

قال المروزي: أدخلت نصرانيًا على أبي عبد الله فقال: إني لأشتهي أن أراك منذ سنين، ما بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعًا، وليس من أصحابنا أحد إلا قد رضي بك، فقلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس[1].

قصة الإمام أحمد مع الراهب الذي أراد رؤيته

قال المروزي: رأيت طبيبًا نصرانيًا خرج من عند أحمد ومعه راهب، فقال: إنه سألني أن يجيء معي ليرى أبا عبد الله.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢١٠-٢١١).

قصة المرأة التي دعا لها الإمام أحمد فذهب عنها الشلل

قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا قال: كانت أمي مقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل فَسَلْه أن يدعو لي، فأتيت فدققت الباب وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مُقعدة أن أسألك الدعاء، فسمعت كلامه كلام المغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا فخرجت عجوز فقالت: تركته وهو يدعو لها، فجئت إلى بيتنا، ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي.

قصة أدب الإمام أحمد مع عمه

قال عبيد الله بن عبد الرحمن الزهري: حدثنا أبي قال: مضى عمي أحمد ابن سعد إلى أحمد بن حنبل، فسلم عليه، فلما رآه وثب قائمًا وأكرمه.

قصة الحديث بين الإمام أحمد والإمام الشافعي

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: قال الشافعي: يا أبا عبد الله، إذا صح عندكم الحديث فأخبرونا حتى نرجع إليه، أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح فاعلمني حتى أذهب إليه كوفيًا كان أو بصريًا أو شاميًا.

قصة الإمام أحمد مع الفالوذج

قال علي بن سهل بن المغيرة: كنا عند عفان مع أحمد بن حنبل وأصحابهم وصنع لهم عفان حملاً وفالوذج، فجعل أحمد يأكل من كل شيء قدموا إلا الفالوذج فسألته فقال: كان يقال: هو أرفع الطعام، فلا يأكله[(١)].

قصة الإمام أحمد مع المروزي

قال إسماعيل بن الحارث: مر بنا أحمد فقلنا لإنسان: اتبعه، وانظر أين يذهب، فقال: جاء حَنَّكِ المروزي، فما كان ساعة إلا خرج، فقلت لحَنَّكٍ بَعْدُ: جاءك أبو عبد الله؟ قال: هو صديق لي، واستقرض مني مئتي درهم، فجاءني بها، فقلت: ما نويت أخذها، فقال: وأنا ما نويت إلا أن أردها إليك.

قصة الإمام أحمد مع الشهرة

قال المروزي: قال أحمد بن حنبل: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أُعرف، قد بُليتُ بالشهرة، إني أتمنى أن أموت صباحًا ومساءًا.

قصة الإمام أحمد مع من أراد لقاءه

قال المروزي: ذكر لأحمد أن رجلاً يريد لقاءه فقال: أليس قد كره بعضهم اللقاء يتزيَّن لي وأتزين له[(٢)]، وقال: لقد استرحت، ما جاءني الفرج إلا منذ أن

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢١٥-٢١٨).

(٢) اللقاء الذي لم يرغب فيه الإمام أحمد هو الذي يراد منه ذيوع الصيت والتكلف، أما لقاء الناس لتعليمهم ما جهلوا من أمر دينهم وإسداء النصح لهم وصلة أرحامهم وزيارتهم في المناسبات =



حلفت أن لا أحدث، وليتنا نُتْرَكُ، الطريق ما كان عليه بشر بن الحارث، فقلت له أن فلانًا قال: لم يزهد أبو عبد الله في الدراهم وحدها، قال: زهد في الناس، فقال: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟ الناس يريدون أن يزهدوا فيَّ.

قصة الامام احمد مع النمل

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت أبي خرَّج على النمل أن يُخرجوا من داره، فرأيت النمل قد خرجن بَعْدُ نملاً سودًا، فلم أرهم بعد ذلك[1].

قصة كرم الإمام أحمد مع ابن خالته

قال زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل: قدم علينا من خراسان ابن خالة جدي فنزل على أبي فدخلت معه إلى جدي، فجاءت الجارية بطبق خلافٍ، وعليه خبز وبقل وملح وبَغُضاره فوضعتها بين أيدينا، فيها مَصْلِيَّة فيها لحم وسلق كثير، فأكل معنا، وسأل ابن خالته عمن بقى من أهله بخراسان في خلال الأكل، فربما استعجم عليه، فيكلمه جدي بالفارسية، ويضع اللحم بين يديه وبين يدي ثم أخذ طبقًا إلى جنبه، فوضع فيه تمر وجوز، وجعل يأكل ويُتناول الرجل.

= المشروعة هو مما يرتضيه ويرغب فيه، لأن ذلك مما يحمده الشرع ويحث عليه، فقد قال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» أحمد وابن ماجه والترمذي.

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢١٦-٢١٨).

قصة الإمام أحمد مع المؤدّب

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدِّب: كنت آتي أباك فيدفع إليَّ الثلاثة دراهم وأقل وأكثر ويقعد معي فيتحدث وربما أعطاني الشيء، ويقول: أعطيتك نصف ما عندنا، فجئت يومًا، فأطلت القعود أنا وهو، قال: ثم خرج ومعه تحت كسائه أربعة أرغفة، فقال: هذا نصف ما عندنا، فقلت: هي أحب إليَّ من أربعة آلاف من غيرك.

قصة الإمام أحمد مع أبي الفوارس

قال المروزي: سمعت أبا الفوارس ساكن أبي عبد الله يقول: قال لي أبو عبد الله: يا محمد، ألقى الصبي المِقراض في البئر، فنزلت فأخرجته، فكتب لي إلى البقال: أعطه نصف درهم، قلت: هذا لا يَسْوَى قيراط، والله لا أخذته، قال: فلما كان بَعْدُ دعاني، فقال: كم عليك من الكراء؟ فقلت: ثلاثة أشهر، قال: أنت في حِلٍّ، ثم قال أبو بكر الخلال: فاعتبروا يا أولي الألباب والعلم، هل تجدون أحدًا بلغكم عنه هذه الأخلاق؟!!

قصة الإمام أحمد مع الأرز

عن ابن صبح قال: حضرت أبا عبد الله على طعام فجاؤوا بأَرُز، فقال أبو عبد الله: نعم الطعام إن أُكل الطعام أشبع وإن أكل في آخره هضم[١].

(١) «السير» (جـ١١، ص:٢١٨-٢٢٠).

قصة حلم الإمام أحمد مع الختلى

قال حنبل: صليتُ بأبي عبد الله العصر فصلى معنا رجل يُقال له محمد بن سعيد الخُتَّلى، وكان يعرفه بالسنة، فقعد أبو عبد الله بعد الصلاة وبقيت أنا وهو والختلى في المسجد ما معنا رابع، فـقال لأبي عبد الله: نهيت عن زيد بن خلف أن لا يُكلَّم؟ قال: كتب إليَّ أهل الثغر يسألوني عن أمره فكتبت إليهم فأخبرتهم بمذهبه ومـا أحدث وأمرتهم أن لا يجالسـوه فاندفـع الختلى على أبي عـبد الله، فقال: والله لأرُدُنَّك إلى محبسك ولأدقن أضلاعك... في كلام كثير، فقال لي أبو عبد الله: لا تكلمه ولا تجبه، وأخذ أبو عـبد الله نَعْلَيْهِ وقام فدخل وقال: مُر السكان أن لا يكلموه ولا يردوا عليـه، فما زال يصيح، وخرج، فلمـا كان بعد ذلك، ذهب الختلى إلى شعـيب، وكان قد ولى قضاء بـغداد وكانت له في يديه وصية فسأله عنها، ثم قال له شعيب: يا عدو الله، وثبت على أحمد بالأمس ثم جئت تطلب الوصية، إنما أردت أن تتقرب إليَّ بذا فزجره، ثم أقامه، فخرج بَعْدُ إلى حِسْبَة العسكر.

قصة الإمام احمد مع هارون المستملي

قال هارون بن سـفيـان المستمـلي: جئت إلى أحمـد بن حنبل حين أراد أن يُفرق الدراهم التي جاءته من المتوكل، فأعطاني مئتي درهم، فقلت: لا تكفيني، قال: ليس هنا غيرها، ولكن هو ذا، أعمل بك شيـئًا أعطيك ثلاثة مئة تفرقها، قال: فلما أخذتها قلت: ليس والله أُعطي أحدًا منها شيئًا، فتبسم.

قصة الإمام أحمد مع سورة الكهف

قال زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل: حدثنا أبي قال: سمعت أبي كثيراً يتلو سورة الكهف، وكثيرًا ما كنت أسمعه يقول: اللهم سلِّم سلِّم[1].

قصة وجع يد الإمام أحمد

قال عبد الله بن حنبل: حدثني أبي، قال: قيل لأبي عبد الله لما ضُرب وبرئ، وكانت يده وجعة مما علق، وكانت تضرب عليه، فذكروا له الحمام، وألحوا عليه، فقال لأبي: يا أبا يوسف كلم صاحب الحمام يُخليه لي، ففعل ثم امتنع، وقال: ما أريد أن أدخل الحمام.

بُعد الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ عن المناصب
قصة رفضه الحكم للرشيد

قال الشافعي: لما دخلت على الرشيد قال: اليمن يحتاج إلى حاكم فانظر رجلاً نُوليه، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه، ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم، كلمه في ذلك، وقال: تهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين، فقال: إنما جئت لأقتبس منك العلم، وتأمرني أن أدخل في القضاء، ووبخه، فاستحيا الشافعي.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٢٢).

قصة رفض الإمام أحمد قضاء اليمن

قال الأثرم: أُخبرت أن الشافعي قال لأبي عبد الله: إن أمير المؤمنين ـ يعني محمدًا ـ سألني أن ألتمس له قاضيًا لليمن، وأنت تحب الخروج إلى عبد الرزاق فقد نلت حاجتك، وتقضي بالحق، فقال للشافعي: يا أبا عبد الله، إن سمعت هذا منك ثانية، لم ترني عندك، فظننتُ أنه كان لأبي عبد الله ثلاثين سنة، أو سبعًا وعشرين.

قصة الرؤية الصالحة للإمام أحمد

قال المروزي: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله ـ وكان رجلاً صالحًا ـ فقال: إن أمي رأت لك منامًا هو كذا وكذا وذكرت الجنة، فقال: يا أخي إن سلامة بن سهل كان الناس يخبرونه بمثل هذا وخرج إلى سفك الدماء وقال: الرؤيا تسُرُّ المؤمن ولا تغُرُّه[(١)].

قصة كتاب الإمام أحمد مع عبد الله بن طاهر

قال صالح بن أحمد: كتب إليَّ إسحاق بن راهويه: إن الأمير عبد الله بن طاهر وجه إليَّ، فدخلتُ إليه وفي يدي كتاب أبي عبد الله، فقال: ما هذا؟ قلت: كتاب أحمد بن حنبل، فأخذه وقرأه وقال: إني أحبُّه، وأُحب حمزة بن الهيصم البوشنجي، لأنهما لم يختلطا بأمر السلطان، قال: فأمسك أبي عن مكاتبة إسحاق.

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٢٥-٢٢٧).

قصة الإمام أحمد مع أتباع عبد الله بن طاهر

قال إبراهيم بن أبي طالب: سمعت أحمد بن سعيد الرباطي يقول: قدمت على أحمد بن حنبل، فجعل لا يرفع رأسه إلي فقلت: يا أبا عبد الله، إنه يكتب عني بخراسان، وإن عاملتني هذه المعاملة رموا حديثي، قال: يا أحمد هل بدٌّ يوم القيامة من أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون منه.

قصة ما فتت جوف الإمام أحمد

قال المروزي: بال أبو عبد الله في مرض الموت دمًا عبيطًا فأريته الطبيب، فقال: هذا رجل قد فتت الغم أو الخوف جوفه.

قصة صباح الإمام أحمد

قال المروزي: قلتُ لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربُّه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطلبانه بتصحيح العمل ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة؟!

قصة الإمام أحمد مع كاسر الطنبور

قال المروزي: مررتُ وأبو عبد الله متوكئ على يدي فاستقبلتنا امرأة بيدها طنبور فأخذته فكسرته، وجعلت أدوسه وأبو عبد الله واقف منكس الرأس، فلم يقل شيئًا، وانتشر أمر الطنبور فقال أبو عبد الله: ما علمت أنك كسرت طنبوراً إلا الساعة.

قصة الإمام أحمد مع الورعين

قال المروزي: سمعتُ أبا عبـد الله ذكر أخلاق الورعين، فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟!!

قصة الإمام أحمد مع الخلوة والاختلاط

قال فـتح بن نوح: سمـعت أحمد بن حنبل يقـول: أشتـهي ما لا يكون، أشتـهي مكانًا لا يكون فيه أحـد من الناس، وكان يقـول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافًا لا عليَّ ولا ليَّ.

قصة الإمام أحمد مع من أسلم على يديه ٤٠٠ راهب

عن عبد الله بن أحـمد قال: كان في دهليزنـا دكان إذا جاء من يريد أبي أن يخلو معه أُجلسه ثمَّ، وإذا لم يُرد أخذ بعـضادتي الباب، وكلمه، فلما كان ذات يوم، جاء إنسان فقال لي: قل: أبو إبراهيم السـائح، قال: فقال أبي: سلم عليه فإنه من خـيار المسلمين، فـسلمت عليه، فـقال له أبي: حـدثني يا أبا إبراهيم، قال: خرجت إلى موضع فأصابتني علة فقلت: لو تقربت إلى الدير لعل من فيه من الرهبان يداوينـي، فإذا بسبع عظيم يقـصدني، فاحـتملني على ظهـره حتى ألقاني عند الدير، فشاهد الرهبان ذلك فأسلموا جميعًا وكانوا أربعمائة.

قصة الإمام احمد مع شبيه الخضر عليه السلام

قال أحـمد بن حنبل: رأيت النبي ﷺ فـقال: يا أحمـد حُج، فانتـبهت وجعلتُ في المزود فتيتًا، وقصدت نحو الكوفة، فلما تقضَّى بعض النهار فإذا أنا

بالكوفـة، فدخلت الجامع، فـإذا أنا بشاب حـسن الوجه طيب الريح، فـسلمت وكبَّرت، فلمـا فرغت من صلاتي قلت: هل بقى من يخـرج إلى الحج؟ فقال: انتظر حتى يجيء أخ من إخـواننا فإذا أنا برجل في مثل حالي، فلـم نزل نسيرُ، فقال له الذي معي: رحمك الله ارفق بنا، فقـال الشاب: إذا كان معنا أحمد بن حنبل فسوف يُرفق بنا، فوقع في نفـسي أنه الخضر، فقلت للذي معي: هل لك في الطعام؟ فقال: كُل مما تعرف، وآكل مما أعرف، فلما أكلنا، غاب الشاب، ثم كان يرجعُ بعد فراغنا، فلما كان بعد ثلاث إذا نحن بمكة[1].

قصة دعائه الجميل

قال أبو جعفر محمد بن يعـقوب الصفار: كنا عند أحمد بن حنبل، فقلت: ادعُ الله لنا، فقال: اللهم إنك تعلم أنَّك لنا على أكثر مما نحب فاجعلنا لك على ما تحب، اللهم إنا نسألك بالقـدرة التي قلت للسماوات والأرض: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (فصلت: ١١)، اللهم وفقنا لمرضـاتك، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك.

قصة الإمام أحمد مع بضاعة السمرقندي

قال صالح بن أحمد: جاءتني حُسْن، فـقالت: جاء رجل بتلِّيسة ـ وعاء من الخوص ـ فيها فاكهة يابسة وبكتاب، فـقمت بقراءة الكتاب، فإذا فيه: يا أبا عبد الله أبضعتُ لك بضاعة إلى سمرقند، فـربحتُ، فبعثتُ بذلك إليك أربعة آلاف درهم، وفاكهة لقطتها من بستاني ورثته عن أبي، قال: فجمعت الصبيان ودخلنا

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٢٨-٢٢٩).

فبكيت وقلت: يا أبه ما ترق لي من أكل الزكاة؟ ثم كشف عن رأس الصبية وبكيت، فقال: من أين علمت؟ دع حتى أستخير الله الليلة، قال: فلما كان من الغد، قال: استخرت الله، فعزم لي أن لا آخذها، وفتح التلّيسة، ففرقها على الصبيان، وكان عنده ثوب عشاري، فبعث به إلى الرجل وردَّ المال.

قصة نجاة ثوب الإمام أحمد من الحريق

قالت فاطمة بنت أحمد بن حنبل: وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج بفتِّيَة، فحملوا إليها جهازًا شبيهًا بأربعة آلاف دينار، فأكلته النار فجعل صالح يقول: ما غمني ما ذهب إلا ثوب لأبي، كان يُصلي فيه أتبرك به وأصلي فيه، قالت: فطفئ الحريق، ودخلوا فوجدوا الثوب على سرير قد أكلت النار ما حوله وسَلِم[1].

قصة الإمام أحمد مع علي بن الجعد

قال عبد الله بن أحمد: مرض أبو عبد الله فعاده الناس ـ يعني قبل المئتين ـ وعاده علي بن الجعد، فترك عند رأسه صُرَّة، فقلت له عنها، فقال: ما رأيتُ، اذهب فردَّها إليه.

قصة نجاة كتب الإمام أحمد من الغرق والحريق

قال ابن الجوزي: وبلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزنيبي أنه حكى أن الحريق شبَّ في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتابان كانا فيه شيء بخط

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٢٩-٢٣٠).

الإمام أحمد، وقال: ولما وقع الغرق ببغداد سنة ٥٥٤هـ وغرقت كتبي وسَلِم لي مجلدٌ فيه ورقتان بخط الإمام أحمد.

قصة نجاة مقبرة الإمام أحمد من الغرق

وقال الإمام الذهبي: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبعمائة ببغداد عام على المقابر دون مقبرة الإمام أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز عُلو ذراع ووقف بقدرة الله وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغبارها، وكان ذلك آية.

قصة الإمام أحمد مع الترمذي

قال عبد الله بن أحمد: قال موسى بن حزام الترمذي: كنت أختلف إلى أبي سليمان الجوزجاني في كتب محمد، فاستقبلني أحمد بن حنبل، فقال: إلى أين؟ قلت: إلى أبي سليمان، فقال: العجب منكم! تركتم إلى النبي ﷺ، يزيد عن حُميد عن أنس، وأقبلتم إلى ثلاثة إلى أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ أبو سليمان عن محمد، عن أبي يوسف، عنه! قال: فانحدرت إلى يزيد بن هارون[1].

محنة الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء

تعرض الإمام أحمد بن حنبل لمحنة قاسية أقبلت عليه بالأذى والعذاب ولكنها أورثته عزًا ومجدًا وشهرة، وتلك المحنة هي التي سببتها فتنة القول بأن القرآن الكريم مخلوق، وهذا القول لم يجر له ذكر في الأمة من قبل، حتى

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٣١).

نشأت فرقة المعتزلة، وكان من آرائها أن القرآن مخلوق، وكان ذلك في عهد المأمون الخليفة العباسي الذي يعتنق مذهب المعتزلة الذين كان يحبهم ويقربهم ويستعين بهم.

ويظهر أن أحمد بن دؤاد المعتزلي وزير المأمون هو الذي تولى كبر هذه الفتنة، وانتهز الفرصة المناسبة لإشعالها سنة ثمان عشرة ومائتين، فقد خرج المأمون من بغداد غازيًا ولكنه مرض وهو في مدينة طرسوس فكتب ابن أبي دؤاد كتبًا باسم المأمون وجهها إلى جهات مختلفة لينتزع بها الموافقة على القول بخلق القرآن من الفقهاء والعلماء بسلطة الدولة ورهبة الحكم، واستطاع ابن أبي دؤاد أن يجعل المأمون الذي أنهكه المرض يوقع على هذه الكتب ويأمر بإرسالها.

وخاف كثيرون فخضعوا لحكم القوة والجبروت وأما أحمد بن حنبل فأبى أن يخضع لأنه ـ كما قيل في تفسير موقفه ـ يؤمن بأن القرآن كلام الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، وكلام الله صفة من صفاته سبحانه، والله تعالى قديم لا أول له، فصفاته يجب أن تكون قديمة لا أول لها، إذ لا انفصال للصفة عن الموصوف، والقول بخلق القرآن الكريم معناه حسب فهم ابن حنبل أنه حادث غير قديم، لأن كل مخلوق حادث، مع أنه يمكن أن يقال أن الحكم بالخلق هنا لا يتجه إلى الصفة الإلهية القديمة وإنما يتجه إلى ما بين أيدينا في المصحف الشريف من كلمات وألفاظ.

ولما رفض ابن حنبل الخضوع حملوه إلى المأمون مقيدًا ولكن المأمون مات في طرسوس وابن حنبل مازال على الطريق.

وأوصى المأمون أخاه المعتصم ـ وهو الخليفة بعده ـ بأن يسير سيرته في القول بخلق القرآن، ومن يدري لعل هذه الوصية قد كانت بتأثير من ابن أبي دؤاد واستسلم لها المأمون المريض.

وتولى المعتصم الخلافة واستمر ابن أبي دؤاد في الوزارة وكان ابن حنبل سجينًا ينتظر مصيره فاستدعاه المعتصم وجادله وأغراه وتوعده، ولكن ابن حنبل أصرَّ على موقفه، ولما رأوا إصراره على موقفه ضربوه بالسياط حتى أغمي عليه عدة مرات ينخسونه بالسيف وهو مغمي عليه فلا يحس!!.. يا للشناعة!

ثم ساروا به إلى السجن حيث ظل فيه عامين ونصف ولما يئسوا منه بعد معاودة تعذيبه، أخرجوه من السحن واهي القوة مريضًا مثخنًا بالجراح، ومكث في منزله حينًا حتى برئ ثم عاد إلى درسه وفي جسمه ندوب وآثار للمحنة السوداء.

ثم تولى الواثق بعد المعتصم فسار على طريقة سابقيه ولكنه لم يمد يد الإيذاء إلى ابن حنبل وإنما منعه من الاجتماع بالناس فظل ابن حنبل منطويًا في عزلته حتى مات الواثق وتولى المتوكل الذي حاول إنهاء الفتنة وإزالة آثارها السيئة.

وبعد خمس سنوات عاد ابن حنبل سنة ثنتين وثلاثين ومئتين إلى التدريس عزيزًا كريمًا، بعد أن استمر في المحنة أربعة عشر سنة، وعرض المتوكل المال على ابن حنبل فرفضه مرارًا، ثم قبله تحت الإلحاح وتصدق به كله واستبان للمتوكل إخلاص ابن حنبل فرفض قبول الوشاية فيه، حتى قيل له يومًا: إن أحمد لا يأكل طعامك ولا يجلس على فراشك ويحرم هذا الشراب الذي تشرب!.. فأيأسهم من إساءته إلى أحمد وأعلمهم أنه لن يقبل فيه وشاية لأي إنسان، فقال: لو نشر المعتصم وقال لي فيه شيئًا لم أقبله[١].

قصة الرشيد مع بشر المريسي أساس الفتنة

قال محمد بن نوح: قال الرشيد: بلغني أن بشر المريسي يقول: إن القرآن مخلوق، فَلِلَّه عليَّ إن ظفرت به لأقتلنه، قال الدورقي: وكان متواريًا أيام الرشيد فلما مات الرشيد، ظهر ودعا إلى الصلاة.

(١) د/ أحمد الشرباصي: «الأئمة الأربعة» (ص: ١٧٥).

قصة يزيد بن هارون مع رسول الخليفة المأمون

قال ابن أكثم: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين ومَن يزيد حتى يُتقى؟ فقال: ويحك! إني أخاف إن أظهرته فيرد عليَّ الناس وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة، فقال الرجل: فأنا أخبر ذلك منه، قال له: نعم، فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: إني أريد أن أُظْهر خلق القرآن، فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، فإن كنت صادقًا فاقْعُد، فإذا اجتمع الناس في المجلس فَقُل، قال: فلما كان الغد، اجتمعوا فقام فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبت على أمير المؤمنين، إنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، ما لم يقل به أحد، قال: فَقَدِم وقال: يا أمير المؤمنين، كنت أعلم .. وقص عليه، قال: ويحك! يُلْعب بك!!!

قصة الأربعة الرافضين للقول بخلق القرآن

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة قرأ علينا كتاب الذي صار إلى طرسوس - يعني المأمون - فكان فيما قرئ علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، و ﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٠٢)، فقلت: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، قال صالح: ثم امتحن القوم ووجه بمن امتنع إلى الحبس فأجاب القوم جميعًا غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد سجادة، ثم أجاب هذان، وبقى أبي ومحمد في الحبس أيامًا، ثم جاء كتاب من طرسوس بحملهما مقيدين زميلين.

قصة تشبه الإمام أحمد بأصحاب رسول الله ﷺ

✽

قال أبو معمر القطيعي: لما أُحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد ابن حنبل قد أُحضر فلما رأى الناس يجيبون وكان رجلاً لينًا، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللِّينُ، فقلت: إنه غضب لله، فقلت: أبشِر، حدثنا ابن فُضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ إذا أريد على شيء من أمر دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون[1].

قصة الإمام أحمد مع انتفاش الباطل

✽

قال ابن أبي أسامة: حُكي لنا أن أحمد قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله، أو لا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة وقلوبنا بعد لازمة للحق.

قصة مَنْ يثبت الإمام أحمد في محنته

✽

قال عباس الدوري: سمعت أبا جعفر الأنباري يقول: لما حُمل أحمد إلى المأمون، أخبرت فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه فقال: يا أبا جعفر، تعنيت، فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليُجيبنَّ خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت لابد من الموت،

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٣٧-٢٣٨).

فاتق الله ولا تجب، فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر أعِدْ عليَّ فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

قصة بداية المحنة

قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل يقول: أول يوم امتحنه إسحاق لما خرج من عنده وذلك في جُمادى الآخرة سنة ثمان عشرة ومائتين فقعد في مسجده فقال له جماعة: أخبرنا بمن أجاب، فكأنه ثقل عليه، فكلموه أيضًا قال: فلم يُجب أحد من أصحابنا والحمد لله، ثم ذكر من أجاب ومن أتاهم على أكثر ما أرادوا، فقال: هو مجهول محدث، وامتحنهم مرة مرة، وامتحنني مرتين مرتين، فقال لي: ما تقول في القرآن؟ قلت: كلام الله غير مخلوق، فأقامني وأجلسني في ناحية، ثم سألهم، ثم ردني ثانية، فسألني وأخذني في التشبيه، فقلت: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فقال لي: وما السميع البصير؟ فقلت: هكذا قال الله تعالى[1].

قصة الإمام أحمد مع التَقيَة

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يُذاكرون أحمد بن حنبل بالرقة في التَّقِيَّة وما رُوي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: «إن مَن كان قبلكم كان يُنشر أحدهم بالمنشار لا يصده ذلك عن دينه»[2]، فأيسنا منه.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٣٩).

(٢) البخاري وأحمد.

قصة ما كان يخشاه الإمام أحمد وهو في الحبس

وقال الإمام أحمد وهو محبوس: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّي عنه.

قصة ثبات قلب الإمام أحمد

قال محمد بن إبراهيم بن مصعب وهو يومئذ صاحب شرطة المعتصم في خلافة لأخيه إسحاق بن إبراهيم: ما رأيت أحداً لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك، كان أثبت قلبًا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينه إلا كأمثال الذباب.

قصة الإمام أحمد مع الصواف

قال صالح بن أحمد بن حنبل: حُمل أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيدين فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي: يا أبا عبد الله، إن عُرضت على السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سيِّرا، فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة ـ بين الرقة وبغداد ـ ورحلنا منها في جوف الليل فعرض لنا رجل فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة؟ ثم قال: أستودعك الله ومضى، فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الصوف يقال له جابر بن عامر يُذكر بخير[1].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٤٠-٢٤١).

قصة الإمام أحمد مع الأعرابي

قال إبراهيم بن عبد الله: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال: يا أحمد إن يقتلك الحقُّ مُت شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، فقوى قلبي.

بشرى الإمام أحمد

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صرنا إلى أذنة ـ قرب المصيصة ـ ورحلنا منها في جوف الليل، وفُتح لنا بابُها، إذا برجل قد دخل، فقال: البشرى! قد مات الرجل ـ يعني: المأمون ـ قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه.

تبينت الإجابة في دعوتين

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: تبينت الإجابة في دعوتين: دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون، ودعوته أن لا أرى المتوكل، فلم أر المأمون مات في البننون ـ قرب طرسوس ـ قلت: وهو نهر الروم، وبقى أحمد محبوسًا بالرقة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فرُد أحمد إلى بغداد، أما المتوكل فإنه نَوَّه بذكر الإمام أحمد والتمس الاجتماع به فلما أن أحضر أحمد دار الخلافة بسامراء ليحدث ولد المتوكل ويُبرِّك عليه، جلس له المتوكل في طاقة حتى نظر هو وأمه منها إلى أحمد ولم يره أحمد.

قصة وفاة رفيق الإمام أحمد

قال صالح: لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس رُدًّا في اقتيادهما، فلما صارا إلى الرقة، حملا في سفينة فلما وصلا إلى عانة - بلد قرب الرقة - توفي محمد، وفُك قيده، وصلى عليه أبي[(١)].

نصيحة ابن نوح للإمام أحمد

قال حنبل: قال أبو عبد الله: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي، أنت رجل يقتدى بك، قد مد الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا، فمات وصليت عليه ودفنته.

قصة عبادة وعلم الإمام أحمد وهو محبوس في القيود

قال صالح: صار أبي إلى بغداد مقيدًا فمكث بالياسرية - بلدة قرب بغداد - أيامًا ثم حبس في دار أكتريت عند دار عمارة، ثم حول إلى حبس العامة في درب الموصلية، فقال: كنت أصلي بأهل السجن، وأنا مقيد، فلما كان في رمضان سنة تسع عشر قلتُ: وذلك بعد موت المأمون بأربعة عشر شهرًا، حولت إلى دار إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد. وأما حنبل فقال: حُبس أبو عبد الله في دار عُمارة ببغداد في اصطبل الأمير محمد بن إسحاق أخي إسحاق بن إبراهيم،

---

(١) «السير» (جـ١١، ص: ٢٤٢).

وكان في حبس ضيق ومرض في رمضان، ثم حول بعد قليل إلى سجن العامة فمكث في السجن نحواً من ثلاثين شهراً، وكنا نأتيه، فقرأ عليَّ كتاب (الارجاء) وغيره في الحبس، ورأيته يصلي بهم في القيد فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم.

«لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه»
قصة مناظرة المعتصم لأحمد بن حنبل

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: حدثني بعض أصحابنا أن أحمد بن أبي دؤاد ـ رأس وسبب الفتنة ـ أقبل على أحمد بن حنبل يكلمه، فلم يلتفت إليه، حتى قال المعتصم: يا أبا عبد الله ألا تكلم أحمد بن دؤاد؟ فقلت: لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه!! وجعل ابن أبي دؤاد يقول: يا أمير المؤمنين والله لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مئة ألف دينار فيعد من ذلك ما شاء الله أن يعد فقال: لئن أجابني لأطلقكن عنه بيدي ولأركبن إليه بجندي ولأطأن عقبه ثم قال: يا أحمد والله إني عليك لشفيق وإني لأشفق عليك كشفقتي على ابني هارون ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئًا من كتاب الله وسنة رسوله.

فلما طال المجلس ضجر وقال: قوموا وحبسني عنده وعبد الرحمن بن إسحاق يكلمني، وقال: ويحك! أجبني، وقال: ويحك! ألم تكن تأتينا؟ فقال له عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين أعرفه منذ ثلاثين سنة، يرى طاعتك والحج والجهاد معك، فيقول: والله إنه لعالم وإنه لفقيه، وما يسوءني أن يكون معي يرد عني أهل الملل، ثم قال: ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ قلت: قد سمعت به، قال: كان مؤدبي وكان في ذلك الموضع جالسًا وأشار إلى ناحية من الدار فسألني عن القرآن فخالفني فأمرت به فوطئ وسحب! يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه

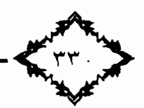
أدنى فرج، حتى أطلق عنك بيدي، قلت: أعطوني شيئًا من كتاب الله وسنة رسوله، فطال المجلس وقام ورددت إلى الموضع.

فلما كان بعد المغرب وجه إليَّ رجلين من أصحاب أبي دؤاد يبيتان عندي ويناظراني ويقيمان معي حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفطر وكانت ليالي رمضان، قال: ووجه المعتصم إلى أبي دؤاد في الليل فقال: يقول لك أمير المؤمنين، فأرد عليه نحوًا مما كنت أرد، فقال ابن أبي دؤاد: والله لقد كتب اسمك في السبعة؛ يحيى بن معين وغيره فمحوته ولقد ساءني أخذهم إياك، ثم يقول: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، ويقول: إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي ثم أنصرف.

فلما أصبحنا جاء رسوله فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه فقال لهم: ناظروه وكلموه فجعلوا يناظروني فأرد عليهم فإذا جاؤا بشيء من الكلام مما ليس في الكتاب والسنة قلت: ما أدري ما هذا، قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين إذا توجهت له الحجة علينا ثبت وإذا كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظروه، فقال رجل: يا أحمد أراك تذكر الحديث وتنتحله فقلت: ما تقول في قوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء: ١١)؟ قال: خص بها المؤمنين، قلت: ما تقول: إن كان قاتلاً أو عبدًا؟ فسكت، وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن، فحيث قال لي: أراك تنتحل الحديث، احتججت بالقرآن، يعني وإن السنة خصصت القاتل والعبد فأخرجتهما من العموم قال: فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال، فلما ضجر قال: قوموا ثم خلا بي وبعبد الرحمن بن إسحاق فلم يزل يكلمني ثم قام ودخل ورددت إلى الموضع.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة قلت: خليق أن يحدث غداً من أمري شيء فقلت للموكل بي: أريد خيطًا فجاءني بخيط فشددت به الأقياد ورددت التِّكَّة إلى سروالي مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرى، فلما كان من الغد أدخلت إلى الدار، فإذا هي غاصة، فجعلت أُدخل من موضع إلى موضع وقوم معهم السيوف وقوم معهم السياط وغير ذلك، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء فلما انتهيت إليه قال: اقعد، ثم قال: ناظروه . . كلموه، فجعلوا يناظروني، يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم فجعل بعض من هو قائم فوق رأسي يومئ إليَّ بيده، فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بي ثم نحاهم وردني إلى عنده وقال: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أطلق عنك بيدي، فرددت عليه نحو ردي، فقال: عليك وذكر اللعن خذوه اسحبوه خلعوه، فسحبت وخلعت قال: وقد كان صار إليَّ شعرٌ من شعر النبي ﷺ في كم قميصي فوجَّه إليَّ إسحاق بن إبراهيم يقول: ما هذا المصرور؟ قلت: شعر من شعر النبي ﷺ، وسعى بعضهم لخرق القميص عني فقال المعتصم: لا تخرقوه، فنزع فظننت أنه إنما ردني عن القميص الخرق بالشعر، قال: وجلس المعتصم على كرسي ثم قال: العقابين خشبتان يوضع بينهما الرجل للجلد ـ والسياط، فجيء بالعقابين، فمدت يداي فقال بعض من حضر خلفي: خذ ناتئ الخشبتين بين يديك وشد عليهما فلم أفهم ما قال فتخلعت يداي.

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: ذكروا أن المعتصم الان في أمر أحمد لما علق في العقابين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته حتى أغراه أحمد بن دؤاد وقال: يا أمير المؤمنين، إن تركته قيل: قد ترك مذهب المأمون وسخط قوله فهاجه ذلك على ضربه.



يا أحمد أتريد أن تغلب كل هؤلاء؟!

وقال صالح: قال أبي: ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا فجعل يتقدم إليَّ الرجل منهم فيضربني سوطين فيقول له: شُدّ عليه قطع الله يدك! ثم يتنحى ويتقدم آخر فيضربني سوطين وهو يقول له في كل ذلك: شُد قطع الله يدك! فلما ضربت سبعة عشر سوطًا قام إليَّ المعتصم فقال: يا أحمد علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق، وجعل عُجَيْف - قائد المعتصم - ينخسني بقائمة سيفه وقال: يا أحمد أتريد أن تغلب كل هؤلاء؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك! إمامك على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين دمه في عُنقي اقتُله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين أنت صائم وأنت في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسول الله أقولُ به.

فرجع وجلس وقال للجلاد: تقدم وأوجع قطع الله يدك ثم قام الثانية وجعل يقول: ويحك يا أحمد! أجبني. فجعلوا يقبلون عليَّ ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم! وجعل عبد الرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، ثم رجع وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحى وهو في ضلال ذلك يقول: شد قطع الله يدك.

فذهب عقلي ثم أفقت بعد فإذا الأقياد قد أطلقت عني فقال لي رجل ممن حضر: كبيناك على وجهك وطرحنا على ظهرك حصير ودُسناك! قال أبي: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق وقالوا: اشرب وتقيأ، فقلت: لا أفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى فلما

انفتل من صلاته قال لي: صليت والدم يسيل في ثوبك؟ قلت: قد صلى عمر وجرحه يَثْعَب دمًا.

قال صالح: ثم خُلي عنه فصار إلى منزله وكان مكثُه في السجن منذ أخذ إلى أن ضرب وخلى عنه ثمانية وعشرون شهرًا.

قصة عدم أخذ الإمام أحمد بالتقية

قال صالح: ولقد حدثني أحد الرجلين اللذين كانا معه قال: يا ابن أخي رحمة الله على أبي عبد الله، والله ما رأيت أحدًا يشبهه، ولقد جعلت أقول له في وقت ما يوجه إلينا الطعام: يا أبا عبد الله أنت صائم وأنت في موضع تقية(١)، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب: ناولني فناوله قدحًا فيه ماء وثلج فأخذه ونظر فيه ثم رده ولم يشرب، فعجبت من صبره على الجوع والعطش وهو فيما هو فيه من الهول!

قصة فصاحة الإمام أحمد في المناظرة

قال صالح: كنت ألتمس وأحتال أن أوصل إليه طعامًا أو رغيفًا في تلك الأيام فلم أقدر، وأخبرني رجل حضره: أنه تفقده في الأيام الثلاثة وهم يناظرونه فما لحن في كلمة، قال: وما ظننت أن أحدًا يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه.

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر: والتقية إنما تجوز للمستضعفين الذين يخشون أن لا يثبتوا على الحق والذين ليسوا بموضع قدوة للناس، فهؤلاء يجوز لهم أن يأخذوا بالرخصة. أما الأئمة الهداة أولو العزم فإنهم يأخذون بالعزيمة ويحتملون الأذى ويثبتون، وفي سبيل الله ما يلقون، ولو أنهم أخذوا بالتقية واستساغوا الرخصة لضل الناس من ورائهم يقتدون بهم ولا يعلمون أن هذه تقية.

قصة ذهاب عقل الإمام أحمد من شدة الضرب

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ذهب عقلي مرارًا فكان إذا رُفع الضرب عني رجعت إلى نفسي، وإذا استرخيت وسقطتُ رفع الضرب، أصابني ذلك مرارًا، ورأيته ـ يعني: المعتصم ـ قاعدًا في الشمس بغير مظلة فسمعته وقد أفقت يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبت إثمًا في أمر هذا الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه والله كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه. فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد وقد أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه ولا إسحاق بن إبراهيم.

يا مروزي: أضل هؤلاء كلهم؟!

قال المروزي: قلت: يا أبا عبد الله، يا أستاذ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩)، قال: يا مروزي، اخرج وانظر، فخرجت إلى رحبة دار الخلافة، فرأيت خلقًا لا يحصيهم إلا الله، والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر، فقال لهم المروزي: ماذا تعملون؟ قالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، فدخل فأخبره فقال: يا مروزي! أضل هؤلاء كلهم؟!

اللهم ... إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترا

قال ميمون بن أصبغ: كنت ببغداد وأمتحن أحمد فأخذت مالاً له خطر، فذهبت به إلى من يدخلني إلى المجلس، فأدخلت فإذا السيوف قد جُردت وبالرماح قد ركزت وبالترايس قد صففت وبالسياط قد وضعت والبست قبَاء أسود ومنطقة وسيفًا ووقفت حيث أسمع الكلام فأتى أمير المؤمنين فجلس على

كرسي وأُتيَ بأحمد فقال له: وقرابتي من رسول الله ﷺ لأضربنك بالسياط أو تقول كما أقول. ثم التفت إلى جلاد فقال: خذه إليك، فأخذه فلما ضرب سوطًا قال: باسم الله، فلما ضرب الثاني قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله كغير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١)، فضرب تسعة وعشرين سوطًا وكانت تحته حاشية ثوب فانقطعت فنزل السروال إلى حاشته، فقلت: الساعة ينهتك، فرمى بطرفه إلى السماء وحرك شفتيه فما كان بأسرع من أن بقي السروال لم ينزل. فدخلت عليه بعد سبعة أيام فقلت: يا أبا عبد الله! رأيتك قد انحل سروالك فرفعت طرفك نحو السماء فما قلت؟ قال: قلت: اللهم أسالك باسمك الذي ملأت به العرش إن كنت تعلم أني على الصواب فلا تهتك لي سترًا.

قد رأيت من ضَرب ألف سوط ما رأيت ضربا مثل هذا

قال الفضل بن صالح: خُلِّي عنه فصار إلى المنزل ووجه إلى المطبق فجيء برجل ممن يبصر الضرب والعلاج فنظر إلى ضربه فقال: قد رأيت من ضُرب ألف سوط ما رأيت ضربًا مثل هذا، لقد جُرَّ عليه من خلفه، ثم أخذ ميلاً فأدخله في بعض تلك الجراحات، فنظر إليه فقال: كم يُنْقَب؟ وجعل يأتيه ويعالجه. وكان قد أصاب وجهه غير ضربة ومكث منكبًا على وجهه إلى ما شاء الله، ثم قال له: إن هاهنا شيئًا أريد أن أقطعه فجاء بحديدة فجعل يُعلِّق اللحم بها فيقطعه بسكين معه، وهو صابر لذلك يجهر بحمد الله في ذلك، فبرأ منه. ولم يزل يتوجع من مواضع منه، وكان أثر الضرب بيِّنًا في ظهره إلى أن تُوفي.

عفو الإمام أحمد عمن خذله في المحنة

قال صالح: دخلت يومًا فقلت له: بلغني أن رجلاً جاء إليك فقال: اجعلني في حِلّ إذ لم أقم بنصرتك. فقلت: لا أجعل أحدًا في حل، فتبسم أبي وسكت. وسمعت أبي يقول: لقد جعلت الميت (المعتصم) في حل من ضربه إياي ثم قال: مررت بهذه الآية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، فنظرت في تفسيرها، فإذا هو ما أخبرنا به هاشم بن القاسم، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة جثت الأمم كلها بين يدي الله رب العالمين، ثم نودي أن لا يقوم إلا من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا: قال: فجعلت الميت في حل ثم قال: وما على رجل أن لا يعذِّب الله بسببه أحدًا[1].

قصة الثلاث كلمات مع الإمام أحمد

قال محمد بن المثنى: قال لي أحمد بن حنبل: قيل لي: اكتب ثلاث كلمات ويُخلى سبيلك، فقلت: هاتوا، قالوا: اكتب: الله قديم لم يزل، قال: فكتبت، فقالوا: اكتب: كل شيء من دون الله مخلوق. وقالوا: اكتب: الله رب القرآن، قلت: أما هذه فلا، ورميت بالقلم. فقال بشر بن الحارث: لو كتبها لأعطاهم ما يريدون.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٥٧).



الإمام أحمد يعفو عن المعتصم لفتحه عمورية

قال أحمد بن سنان: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح عاصمة بابك الخزمي البذ وظفر به أو في فتح عمورية فقال: هو في حل من ضربي.

يا أبا عبد الله! أنت محمود عند العامة

قال إبراهيم بن الحارث العبادي: حضر أحمد بن حنبل أبو محمد الطغاوي، فذكر له حديث فقال له أبو عبد الله: أُخبرك بنظير هذا، لما أُخرج بنا جعلت أفكر فيما نحن فيه، حتى صرنا إلى الرحبة أنزلنا بظاهرها فمددت بصري فإذا بشيء لم أستثبته فلم يزل يدنو، وإذا أعرابي جعل يتخطى تلك المحامل حتى صار إليَّ موقف عليّ فسلم ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟ فسكتُّ تعجبًا! ثم أعاد فسكت، فبرك على ركبتيه فقال: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؟ فقلت: نعم، فقال: أبشر واصبر فإنما هي ضربة هاهنا وتدخل الجنة . . هاهنا ثم مضى.

فقال الطغاوي: يا أبا عبد الله، أنت محمود عند العامة، فقال: أحمدُ الله على ديني، إنما هذا دين، لو قلت لهم كفرت. فقال الطغاوي: أخبرني بما صنعوا بك؟ قال: لما ضربت بالسياط جعلت أذكر كلام الأعرابي، ثم جاء ذاك طويل اللحية ـ يعني عجيف بن عنبسة ـ فصرني بقائم السيف ثم جاء ذاك، فقلت: قد جاء الفرج يضرب عنقي فأستريح. فقال له ابن سماعة: يا أمير المؤمنين: اضرب عنقه ودمه في رقبتي، فقال ابن دؤاد: لا يا أمير المؤمنين لا تفعل فإنه إن قتل أو مات في دارك قال الناس: صبر حتى قتل، فاتخذه الناس

إمامًا وثبتوا على ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجًا من دارك شك الناس في أمره وقال بعضهم: أجاب وقال بعضهم: لم يجب، فقال الطغاوي: وماذا عليك لو قلت؟ قال أبو عبد الله: لو قلت لكفرت.

المعتصم يخشى ثورة العامة عليه لضرب الإمام أحمد

قال أبو زرعة: دعا المعتصم بعمّ أحمد ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم. ولولا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع شيء لا يُقام له، قال: ولما قال: قد سلمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا.

قال الذهبي: ما قال هذا مع تمكنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمر كبير كأنه خاف أن يموت من الضرب فتخرج عليه العامة ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجز عنهم.

قصة خروج الإمام أحمد من عند المعتصم بعد ضربه

وقال ابن سماعة ـ حين دخل الجماعة ـ لهم: هذا أحمد بن حنبل، وإن أمير المؤمنين ناظره في أمره، وقد خلى سبيله وها هو ذا فأخرج على فرس لإسحاق بن إبراهيم عند غروب الشمس، فصار إلى منزله ومعه السلطان والناس وهو منحن، فلما ذهب لينزل احتضنته ولم أعلم فوقعت يدي على موضع الضرب فصاح فنحيت يدي فنزل متوكئًا عليَّ وأغلق الباب ودخلنا معه، ورمى بنفسه على وجهه لا يقدر أن يتحرك إلا بجهد ونزع ما كان أعطاه إياه المعتصم من ثياب ليستر بها نفسه، فأمر به فبيع وتصدق بثمنه.

المعتصم يستطلع أخبار الإمام بعد الإفراج عنه

قال الذهبي: وبلغنا أن المعتصم ندم وأسقط في يده حتى صلُح فكان صاحب خبر إسحاق بن إبراهيم يأتينا كل يوم يتعرف خبره حتى صح، وبقيت إبهاماه منخلعتين يضربان عليه في البرد، فيسخن له الماء، ولما أردت علاجه خفنا أن يدس أحمد بن أبي دؤاد سمًا إلى المعالج، فعملنا الدواء والمرهم عندنا[1].

قصة الإمام أحمد مع أبي إسحاق

قال الإمام أحمد: قال لي أبو إسحاق: يا أحمد، إني لأشفق عليك كشفقتي على ابني هارون فأجبني، والله لوددت أني لم أكن عرفتك، يا أحمد الله الله في دمك. فلما كان في آخر ذلك قال: لعنك الله، لقد طمعت أن تجيبني ثم قال: خذوه واسحبوه، فأُخذت وخُلِّعت وجيء بعقابين وأسياط وكان معي شعر من شعر النبي ﷺ، ثم صُيرت بين العقابين فقلت: يا أمير المؤمنين، الله الله، إن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحل دم امرئ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث»**، يا أمير المؤمنين، فبم تستحل دمي؟ الله الله، لا تلق الله وبيني وبينك مطالبة، اذكر يا أمير المؤمنين وقوفك بين يدي الله تعالى كوقوفي بين يديك، وراقب الله. فكأنه أمسك فخاف ابن أبي دؤاد أن يكون منه عطف أو رأفة فقال: إنه ضال مضل كافر بالله.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٦٠-٢٦١).

محنة الإمام أحمد أيام الخليفة الواثق

قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برئ من الضرب يحضر الجمعة والجماعات، ويحدث ويفتي حتى مات المعتصم وولي ابنه الواثق، فأظهر ما أظهر من الميل إلى أحمد بن دؤاد وأصحابه، فلما اشتد الأمر على أهل بغداد، وأظهرت القضاة المحنة بخلق القرآن وفُرق بين فضل الأنماطي وبين امرأته وبين أبي صالح وبين امرأته، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة ويعيد الصلاة إذا رجع ويقول: تؤتى الجمعة لفضلها، والصلاة تعاد خلف من قال بهذه المقالة.

قصة اختفاء الإمام أحمد زمن الخليفة الواثق

قال أحمد: بينما نحن في أيام الواثق، إذ جاء يعقوب ليلاً برسالة الأمير إسحاق بن إبراهيم إلى أبي عبد الله: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين قد ذكرك فلا يجتمعن إليك أحد، ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله، قال: فاختفى أبو عبد الله بقية حياة الواثق. ولم يزل أبو عبد الله مختفيًا في البيت لا يخرج إلا صلاة ولا غيرها حتى هلك الواثق[١].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص ٢٦٣-٢٦٤).

قصة منع الإمام أحمد من الحديث

قال أبو عبد الله البوشنجي: حدَّث أحمد ببغداد جهرة حين مات المعتصم فرجعت من الكوفة، فأدركته في رجب سنة سبع وعشرين وهو يحدِّث ثم قطع الحديث بثلاث بقين من شعبان بلا منع، بل كتب الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلى ابن دؤاد: إن أحمد قد انبسط في الحديث فبلغ ذلك أحمد فقطع الحديث إلى أن توفي.

قصة الإمام أحمد ووشاية العلوي

ثم إن رافعًا رفع إلى المتوكل: إن أحمد بن حنبل يُخفي علويًا في منزله يريد أن يخرجه ويبايعه. قال: ولم يكن عندنا علم، فبينا نحن ذات ليلة نيام في الصيف سمعنا الجلبة ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا وإذا به قاعد في إزاره ومظفر الكلبي صاحب الخبر وجماعة معهم، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل: وَرَدَ على أمير المؤمنين أن عندكم علويًا أخفيته لتبايع له وتظهره .. في كلام طويل. ثم قال له مظفر: ما تقول؟ قال: ما أعرف من هذا شيئًا وإني لأرى له السمع والطاعة في عُسري ويُسري، ومنشطي ومكرهي، وأثَرة عليَّ وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق بالليل والنهار، فقال مظفر: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلِّفك قال: فأَحْلَفَه بالطلاق ثلاثًا، أن ما عنده ما يريد أمير المؤمنين، ثم فتشوا منزل أبي عبد الله والسرب والغرف والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب وفتشوا المنازل والنساء فلم يروا شيئًا ولم يحسوا بشيء، ورد الله الذين كفروا بغيظهم وكتب بذلك إلى المتوكل فوقع منه موقعًا عظيمًا حسنًا وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه.

فلما كان بعد أيام بينا نحن جلوس بباب الدار إذا يعقوب أحد حجاب المتوكل قد جاء فاستأذن على أبي عبد الله فدخل ودخل أبي وأنا ومع بعض غلمانه صرة فيها أموال على بغلي ومعه كتاب المتوكل. فقرأه على أبي عبد الله: إنه صح عند أمير المؤمنين براءة ساحتك وقد وجهه إليك بهذا المال تستعين به. فأبى أن يقبله وقال: ما لي حاجة إليه. فقال: يا أبا عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به فإنه خير لك عنده، فإنك إن رددته خفت أن يظن بك سوءًا فحينئذ قبلها.

فلما خرج قال: يا أبا علي، قلت: لبيك، قال: ارفع هذا الإناء وضع الصرة تحت منه، ففعلت وخرجنا. فلما كان من الليل إذا أم ولد أبي عبد الله تدق علينا الحائط فقالت: مولاي يدعو عمّه فأعلمت أبي وخرجنا فدخلنا على أبي عبد الله في جوف الليل فقال: يا عم، ما أخذني النوم، قال: ولم؟ قال: لهذا المال، وجعل يتوجع لأخذه وأبي يسكنه ويسهل عليه، وقال: حتى تصبح وترى رأيك فيه، فإن هذا ليل، والناس في المنازل فأمسك وخرجنا.

فلما كان السحر وجه إلى عبدوس بن مالك والحسن بن البزار فحضرا وحضر جماعة منهم: هارون الحمال، وأحمد بن منيع وابن الدورقي وأبي وأنا وصالح وعبد الله وجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة ففرقها كلها ما بين الخمسين إلى المئة وإلى المئتين، فما بقي في الكيس درهم، ثم تصدق بالكيس على مسكين.

* * *



قصة خروج الإمام أحمد إلى سامراء

فلما كان بعد ذلك، مات الأمير إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ثم ولي بغداد عبد الله بن إسحاق، فجاء رسوله إلى أبي عبد الله فذهب إليه فقرأ عليه كتاب المتوكل وقال له: يأمرك بالخروج إلى سامراء، فقال: أنا شيخ ضعيف عليل، فكتب عبد الله بما رد، فورد جواب الكتاب: إن أمير المؤمنين يأمره بالخروج، فوجه عبد الله أجنادًا فباتوا على بابنا أيامًا حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج، فخرج ومعه صالح وعبد الله وابنه زُميلة.

قصة احتفاء الخلافة بالإمام أحمد

قال حنبل: قال لي أبي: دخلنا إلى العسكر فإذا نحن بموكب عظيم مُقبل فلما حاذى بنا، قالوا: هذا وصيف، وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأبي عبد الله: الأمير وصيف ـ قائد المتوكل ـ يقرئك السلام ويقول لك: إن الله قد أمكنك من عدوك ـ ابن دؤاد ـ وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيئًا إلا تكلمت به، فما رد عليه أبو عبد الله شيئًا، وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين ودعوت لوصيف ومضينا فأنزلنا في دار ايتاخ ـ قائد المتوكل ـ ولم يعرف أبو عبد الله فسأل بعد: لمن هذه الدار؟ قالوا: هذه دار ايتاخ، قال: حوّلوني! ابحثوا لي عن دار أخرى، قالوا: هذه دار أنزلكها أمير المؤمنين، قال: لا أبيت هنا، ولم يزل حتى بحثنا له عن دار أخرى وكانت تأتينا كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل والثلج والفاكهة وغيرها فما ذاق منها أبو عبد الله شيئًا ولا نظر إليها وكان نفقة المائدة في اليوم مئة وعشرين درهمًا.

إنما هذا لولدك فما لك ولهذا؟

ودامت العلة بأبي عبد الله وضعف ضعفًا شديدًا وكان يواصل، ومكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب، ففي الثامن دخلت عليه وقد كاد أن يُطفأ فقلت: يا أبا عبد الله، ابن الزبير كان يواصل سبعة وهذا لك اليوم ثمانية أيام، قال: إني مُطيق، قلت: بحقي عليك. قال: فإني أفعل: فأتيته بسويق فشرب ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فرده، فقال له عبد الله بن يحيى: فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك، قال: هم مستغنون، فردها عليه، فأخذها عبيد الله فقسمها على ولده، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف. فبعث إليه أبو عبد الله: أنهم في كفاية، وليست بهم حاجة. فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، فما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبد الله. فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل.

قصة الإمام أحمد مع عمه

وقال الإمام أحمد لعمه: يا عم ما بقى من أعمارنا كأنك بالأمر قد نزل. فالله الله، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيام قلائل، وإنما هي فتنة، قال عمه: أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم؟ لو تركتموها لتركوكم. ماذا ننتظر؟ إنما هو الموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار، فطوبى لمن قَدِم على خير، قال: فقلت: أليس قد أخذت ما جاءك من هذا المال من غير إشراف نفس ولا مسألة أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة لا إشراف نفس فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسك؟ قلت: ألم يأخذ ابن عمرو ابن عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أُبال.

قصة الإمام أحمد مع طبيب الخليفة

قال حنبل: لما طالت علة أبي عبد الله، كان المتوكل يبعث بابن ماسوية الطبيب فيصف له الأدوية فلا يتعالج، ويدخل ابن ماسوية فقال: يا أمير المؤمنين ليست بأحمد علة، إنما هو قلة الطعام والصيام والعبادة، فسكت المتوكل[١].

قصة الإمام أحمد مع أم الخليفة

وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله فقالت لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل، فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله، يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويدعو له ويسلم عليه ويجعله في حجره. فامتنع ثم أجاب رجاء أن يُطلق وينحدر إلى بغداد، فوجه إليه المتوكل خِلعة وأتوه بدابة ليركبها إلى المعتز فامتنع، فقدم إليه بغل لتاجر فركبه وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان وعلى المجلس ستر رقيق، فدخل أبو عبد الله على المعتز ونظر إليه المتوكل وأمه فلما رأته قالت: يا بني، الله الله في هذا الرجل فليس هذا ممن يريد ما عندكم ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله فأذن له ليذهب، فدخل أبو عبد الله على المعتز فقال: السلام عليكم وجلس ولم يسلم عليه بالإمرة فسمعت بعد أبو عبد الله يقول: لما دخلت عليه وجلست، قال مؤدبه: أصلح الله الأمير، هذا هو الذي أمره أمير المؤمنين يؤدبك ويعلمك؟ فقال الصبي: إن علمني شيئًا تعلمته! قال أبو عبد الله: فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره وكان صغيراً.

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٧٠-٢٧١).

قصة الإفراج عن الإمام أحمد

قال الذهبي: ودامت علة أبي عبد الله وبلغ المتوكل ما هو فيه وكلمه يحيى ابن خاقان أيضًا وأخبره أنه رجل لا يريد الدنيا، فأذن له في الانصراف فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر. فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك وأمر أن يفرش لك حرَّاقة - سفينة صغيرة - تنحدر فيها. فقال أبو عبد الله: اطلبوا لي زورقًا انحدر الساعة. فطلبوا له زورقًا فانحدر لوقته.

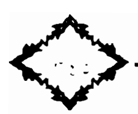
قال حنبل: فلما علمنا بقدومه حتى قيل: إنه قد وافى فاستقبلته بناحية القطيعة وقد خرج من الزورق فمشيت معه فقال لي: تقدم لا يراك الناس فيعرفونني فتقدمته. قال: فلما وصل ودخل الدار ألقى نفسه على قفاه من التعب والإعياء[(١)].

قصة الإمام أحمد مع ملابس الخلافة

وكانوا قد ألبسوا الإمام أحمد سوارًا - زي الخلافة العباسية - فلما عاد إلى الدار نزع الثياب وجعل يبكي وقال: سلمت من هؤلاء ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بُليت بهم. ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام. فكيف بمن يجب عليَّ نصحه؟! يا صالح: وجه بهذه الثياب إلى بغداد تباع. ويتصدق بثمنها ولا يشتري أحد منكم منها شيئًا، فوجهت بها إلى يعقوب بن بختان فباعها وفرق ثمنها.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٧١-٢٧٢).



يا أمه قد أنارت الدار

وصار يحيى بن خاقان إلى أحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبد الله قد أمر أمير المؤمنين أن آتيك لتركب إلى ابنه المعتز وقال لي: أمرني أمير المؤمنين أن يجري عليك وعلى قرابتك أربعة آلاف، ثم عاد يحيى من الغد فقال: يا أبا عبد الله تركب؟ قال: ذاك إليكم، ولبس إزاره وخُفه وكان للخف عنده خمسة عشر عامًا قد رقع برقاع عدة، فأشار يحيى أن يلبس قلنسوة، قلتُ: ما له قلنسوة، فدخل دار المعتز وكان قاعدًا على مصطبة في الدار فصعد وقعد، فقال له يحيى: يا أبا عبد الله، إن أمير المؤمنين جاء بك ليسر بقربك ويصيِّر ابنه عبد الله في حجرك فأخبرني بعض الخدام أن المتوكل كان قاعدًا وراء الستار، فقال لأمه: يا أمه قد أنارت الدار، ثم جاء خادم بمنديل فأخذ يحيى المنديل.

قصة دار الخليفة ورفض الإمام أحمد

قال صالح: وأمر المتوكل أن تُشترى لنا دار، فقال: يا صالح، قلت: لبيك، قال: لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينكم، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى، فلم يزل يدافع بشراء الدار حتى اندفع.

والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها

قال صالح: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يُبلغه السلام ويسأل عن حاله. قال: فتأخذه فشعريرة حتى نُدثِّره ثم يقول: والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها[1].

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٧٧-٢٧٩).

لولاكم لما كانت توضع هذه المائدة وتفرش الفرش وتجري الأموال؟!

قال صالح: ثم انحدرت إلى بغداد وخلّفت عبد الله عنده. فإذا أبو عبد الله قد قدم فقلت: مالك؟ قال: أمرني أن أنحدر، وقال: قل لصالح: لا تخرج فأنتم كنتم آفتي، والله لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما أخرجت واحداً منكم معي، لولاكم لما كانت توضع هذه المائدة وتُفرش الفرش وتجرى الأجراء؟ فكتبت إليه أُعلمه بما قال لي عبد الله، فكتب إليَّ بخطه: أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور، الذي حملني على الكتاب إليك الذي قلت لأبي عبد الله لا يأتيني أحد منكم رجاء أن ينقطع ذكري ويخمد، وإذا كنتم هاهنا فشا ذكري وكان يجتمع إليكم قوم ينقلون أخبارنا، ولم يكن إلا خيراً. فإن أقمت فلم يأتني أنت ولا أخوك فهو رضائي، ولا تجعل في نفسك إلا خيراً. والسلام عليك. قال: ولما سافرنا، رُفعت المائدة والفرش، وكل ما أقيم لنا.

قصة الإمام أحمد مع ابنه صالح

قال صالح: قال لي أبي: يا صالح، قلت: لبيك، قال: أُحب أن تدع هذا الرزق ـ أموال الخليفة ـ فإنما تأخذونه بسببي، فسكت، فقال: مالك؟ قلت: أكره أن أعطيك بلساني وأخالف إلى غيره وليس في القوم أكثر عيالاً مني ولا أعذر. وقد كنت أشكو إليك وتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة وقد كنت تدعو لي، فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك فقال: والله لا تفعل. فقلت: لا. فقال: لِمَ؟ فعل الله بك وفعل!!

ما حيلتي إن أردت أمرًا وأراد الله أمرًا؟!

ثم كتب الإمام أحمد إلى يحيى بن خاقان ليترك دفع الأموال لأولاده، فلما بلغ الخبر الخليفة المتوكل أمر أن يحمل إليهم ما اجتمع من عشرة أشهر فكان أربعين ألف درهم، وأن أبا عبد الله أخبر بذلك، فسكت قليلاً وأطرق، ثم قال: ما حيلتي إن أردت أمراً وأراد الله أمراً؟![1].

قصة الإمام أحمد مع الواشي عليه

وجاء رسول المتوكل إلى الإمام أحمد فقال له: لو سَلِمَ أحد من الناس سلمت أنت. رفع رجل إلينا أن علويًا من خراسان قدم، وأنت وجهت إليه من يلقاه. وقد حَبَست الرجل، وأردت ضربه، فكرهت أن تغتم، فمُر فيه. قال: هذا باطل، يُخلَّى سبيله.

وصية الإمام أحمد

وقال عبد الله بن أحمد: أوصى أبي هذه: هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله، إلى أن قال: وأوصى أن عليَّ نحواً من خمسين ديناراً وهو مُصَدَّق فيما قال فيُقضى من غلة الدار، فإذا استوفى أُعطي ولديَّ عبد الله وصالح، وكل ذكر وأنثى عشرة دراهم، شهد أبو يوسف وعبد الله وصالح ابنا أحمد.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٧٨ -٢٧٩).

قصة الإمام أحمد مع من افترى عليه

وقال صالح بن أحمد: تناهى إلى أبي أن أبا طالب يحكى أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق. فأخبرت بذلك أبي فقال: من حدثك؟ قلت: فلان، قال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه فجاء وجاء فوران فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟! وغضب وجعل يرعد فقال: قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص)، فقلت لي: ليس بمخلوق. قال: فلم حكيت عني أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق؟ وبلغني أنك كتبت بذلك إلى قوم فامحه واكتب إليهم أني لم أقله لك، فجعل فوران يعتذر إليه فعاد أبو طالب وذكر أنه حكى ذلك وكتب إلى القوم يقول: وهِمتُ على أبي عبد الله.

قصة الإمام أحمد مع من رد حديث رسول الله ﷺ

قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة[1].

سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل

قال عاصم بن عصام البيهقي: بتُّ ليلةً عند أحمد بن حنبل فجاء بماء فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء بحاله فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٩٧).

قصة الإمام أحمد مع الإمام مالك

قال الحسن بن عبد العزيز الحروي: دخلت أنا والحارث بن مسكين على أحمد حِدثان خبر به فقال لنا: ضربتُ فسقطت وسمعت ذاك ـ يعني: ابن أبي دؤاد ـ يقول: يا أمير المؤمنين هو ضال مضل. فقال له الحارث: أخبرني يوسف ابن عمر عن مالك أن الزُهري سعى به حتى ضرب بالسياط، وقيل عُلِّقت كتبه في عُنقه. ثم قال مالك: وقد ضُرب سعيد بن المسيب وحلق رأسه ولحيته وضُرب أبو الزناد وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حمام بالسياط. وما ذكر مالك نفسه. فأُعجب أحمد بقول الحارث. قال مكي بن عَبْدان: ضرب جعفر ابن سليمان مالكًا تسعين سوطًا سنة ١٤٧هـ.

كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما!!!

قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من كل كلمة طيرًا، منقاره من ذهب وريشه من مرجان» وأخذ في قصة من نحو عشرين ورقة، وجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد فقال: أنت حدثته بهذا؟ فيقول: والله ما سمعت به إلا الساعة. فسكتا حتى فرغ وأخذ قطاعه، فقال له يحيى بيده: أن تعال. فجاء متوهما لنوال، فقال: مَن حدثك بهذا؟ فقال: أحمد وابن معين. فقال: أنا يحيى وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قط، فإن كان ولابد الكذب فعلى غيرنا.

فقال: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم. قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما علمت إلا الساعة. كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما، فوضع أحمد كمه على وجهه وقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما[١].

قصة الإمام أحمد مع المديني

قال علي بن المديني: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأشتهي أن أصحبك إلى مكة. وما يمنعني إلا الخوف أن أملَّك وتملني. فلما ودعته قلت: أوصني، قال: اجعل التقوى زادك وانصب الآخرة أمامك.

فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم

قال علي بن سعيد الرازي: صرنا مع أحمد بن حنبل إلى باب المتوكل فلما أدخلوه من باب الخاصة قال: انصرفوا عافاكم الله. فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم.

قصة الإمام أحمد مع منام سليمان بن الأشعث

قال سليمان بن الأشعث: رأيت في المنام سنة ثمان وعشرين ومئتين كأني في مسجد الجامع، فأقبل رجل يشبه الملك من ناحية المقصورة وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي، أحمد بن حنبل وفلان**» قال أبو داود: لا أحفظ اسمه.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٠١).

قصة الإمام أحمد مع الشباب

قال أحمد بن محمد بن يزيد الوراق: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما شبَّهْتُ الشباب إلا بشيء كان في كُمّي فسقط.

قصة دفع المحنة عن الأمة

قال طاهر بن خلف: سمعت المهتدي بالله بن الخليفة الواثق يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل أحدًا أحضرنا فأُتي بشيخ مخضوب مُقيد فقال أبي: ائذنوا لأبي عبد الله وأصحابه ـ يعني ابن أبي دؤاد ـ قال: فأُدخل الشيخ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: ٨٦)، فقال ابن أبي دؤاد: الرجل متكلم. فقال له أمير المؤمنين: كلمه، قال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ قال ابن أبي دؤاد: مخلوق، قال الشيخ: هذا شيء عَلِمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ قال: شيء لم يعلموه. فقال: سبحان الله! شيء لم يعلمه رسول الله ﷺ علمته أنت؟! فخجل، فقال: أقلني، قال: المسألة بحالها، قال: نعم عَلِمُوه، فقال: علموه ولم يدعوا الناس إليه؟ قال: نعم، قال: أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال: فقام أبي، فدخل مجلسًا واستلقى وهو يقول: شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت! سبحان الله! شيء علموه ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وسعك ما وسعهم؟! ثم أمر برفع قيوده وأن يعطى أربع مئة دينار ويؤذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعدها أحد[1].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٣١٣).

قصة الإمام أحمد مع من أراد أن يُحَدِّث الناس

قال محمد بن عبد الرحمن الصيرفي: أتيت أحمد بن حنبل أنا وعبد الله بن سعيد الجمال وذلك في آخر سنة مئتين. فقال أبو عبد الله للجمال: يا أبا محمد إن أقوامًا يسألوني أن أُحدث فهل ترى ذاك؟ فسكت. فقلت: أنا أجيبك. قال: تكلم، قلت: أرى لك إن كنت تشتهي أن تُحدث فلا تحدث، وإن كنت تشتهي أن لا تحدث فحدث، فكأنه استحسنه.

قصة الإمام أحمد مع أبي كريب

قال محمد بن الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتبوا عنه فإنه شيخ صالح، فقلنا: إنه يطعن عليك. قال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلي بي.

قصة الإمام أحمد مع إبراهيم بن سعد

قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي سُئل: لِمَ لم تسمع من إبراهيم بن سعد كثيرًا وقد نزل في جوارك في بغداد؟ فقال: حضرنا مجلسه مرة محدثنا. فلما كان المجلس الثاني، رأى شبابًا تقدموا بين يدي الشيوخ فغضب وقال: والله لا حدثت سنة. فمات ولم يحدث.

قصة رهبة الإمام أحمد

قال المروزي: أخبرنا جارنا فلان: دخلت على إسحاق بن إبراهيم الأمير وفلان وفلان ذكر سلاطين، ما رأيت أهيب من أحمد بن حنبل، صرت إليه أكلمه في شيء فوقعت عليَّ الرعدة من هيبته ثم قال المروزي: ولقد طرقه الكلبي ـ صاحب خبر السر ـ ليلاً. فمن هيبته لم يقرعوا، ودقوا باب عمه.

وما يصنع المروزي هاهنا؟!

قال إسحاق بن هانئ: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله ومعه المروزي ومُهنى فدق داق الباب. وقال: المروزي هاهنا؟ فكأن المروزي كره أن يُعلمَ موضعه، فوضع مُهنى أصبعه في راحته وقال: ليس المروزي هاهنا وما يصنع المروزي هاهنا؟ فضحك أحمد ولم ينكر.

قصة الإمام أحمد في الري

قال عبد الله بن أحمد: لما أطلق أبي من المحنة خشي أن يجيء إليه إسحاق ابن راهويه فرحل إليه. فلما بلغ الري دخل مسجدًا فجاء مطر كأفواه القرب فقالوا له: اخرج من المسجد لنغلقه، فأبى، فقالوا: اخرج أو نجر برجلك، فقلت: سلامًا. فخرجت والمطر والرعد ولا أدري أين أضع رجلي، فإذا رجل قد خرج من داره فقال: يا هذا أين تمر؟؟، فقلت: لا أدري. قال: فأدخلني إلى بيت فيه كانون فحم ومائدة فأكلت. فقال: من أنت؟ فقلت: من بغداد. قال: تعرف أحمد بن حنبل؟ فقلت: أنا هو، فقال: وأنا إسحاق بن راهويه.

أكرمك الله

قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله. قال: نعم ينوي بها الإسلام(١).

ما أريد أن يدخل عليَّ هؤلاء

قال المروزي: رأيت أحمد بن عيسى المصري ومعه قوم من المحدِّثين، دخلوا على أبي عبد الله فقال له أحمد بن عيسى: يا أبا عبد الله، ما هذا الغم؟ الإسلام حنيفية سمحة وبيت واسع. فنظر إليهم وكان مضطجعًا، فلما خرجوا قال: ما أريد أن يدخل عليَّ هؤلاء.

قصة الإمام أحمد مع إبليس

قال عبد بن أحمد: لما حضرت أبي الوفاة، جلست عنده وبيدي الخرقة لأشُد بها لحييه، فجعل يفرق ثم يُفيق، ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا: لا بَعد لا بَعد (ثلاث مرات)، فلما كان في الثالثة قلت: يا أبتِ أي شيء هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟ فقال: يا بني، ما تدري؟ قلت: لا. قال: إبليس لعنه الله قائم بحِذَائي وهو عاضٌ على أنامله، يقول: يا أحمد فُتَّني، وأنا أقول: لا بعدُ حتى أموت.

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٢١).



إذا كان هذا عندك هكذا فلِمَ لا تأخذ منه؟!

قال عبـد الله بن أحمد: دخل عليَّ أبي يعودني في مـرضي، فقلت: يا أبتِ عندنا شيء مما كان يَبُرنا به المتوكل، أفـأحج منه؟ قال: نعم. قلت: فإذا كان هذا عندك هكذا، فلِمَ لا تأخذ منه؟ قال: هو ليس عندي حرام، ولكن تنزهت عنه[1].

قصة الإمام أحمد مع الحارث المحاسبي وأتباعه

قـال إبراهيم بن إسـحاق السـراج: قـال أحمـد بن حنبل يومًـا: بلغني أن الحارث المحاسبي يكثر الوجـود عندك فلو أحضرته وأجلستني من حيث لا يراني فأسـمع كلامه، قلـت: السمع والطاعة. وسـرني هذا الابتداء من أبي عـبد الله فذهبت إلى الحـارث وسألته أن يحضـر، وقلت: تسأل أصحابك أن يحـضروا، فـقال: يا أخي فـيهم كـثرة فـلا تزدهم على الدهن والتـمر وأكـثر منهـما مـا استطعت، ففعلت مـا أمرني وأعلمت أبي عبد الله، فحضر بعـد المغرب وصعد إلى غرفـة واجتهـد في ورده، وحضـر الحارث وأصحـابه فأكلوا ثم قـاموا إلى الصلاة ولم يصلوا بعـدها، وقعدوا بين يدي الحـارث وهم سكوت، إلى قريب من نصف الليل، وابتدأ واحد منهم، وسأل عن مـسألة فأخذ الحارث في الكلام وهم يسمعون. وكأن على رؤوسـهم الطير، فمنهم من يبكي ومنهم من يزعق. فصعدت إلى أبي عـبد الله لأتعرف على حاله وهو متغيـر الحال، فقلت: كيف رأيت؟ قال: ما أعلم أنـي رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت فـي علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى ما وصفت فلا أرى لك صحبتهم، ثم قام وخرج.

---

(١) «السير» (جـ١٠، ص٣٢٦).



جنازة الإمام أحمد

قال عبد الوهاب الورَّاق: ما بلغنا أن جمعًا في الجاهلية والإسلام مثله ـ يعني: من شهد الجنازة ـ حتى بلغنا أن الموضع مُسِح وجُزر على الصحيح فإذا هو نحو من ألف ألف، وحُزرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادون من أراد الوضوء.

يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى

قال صالح: دخل على أبي مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد الله، قد جاءتك البُشرى، هذا الخلق يشهدون لك، ما تُبالي لو وردت على الله الساعة وجعل يُقبل يده ويبكي، ويقول: أوصني يا أبا عبد الله، فأشار إلى لسانه.

قصة الإمام أحمد مع مردة الشياطين

قال أبو محمد اليماني: كنت باليمن فقال لي رجل: إن ابنتي قد عَرَضَ لها عارض فمضيت معه إلى عزَّام باليمن، فعزَّم عليها وأخذ على الذي عزم عليه العهد أن لا يعود، فمكث نحواً من ستة أشهر ثم جاءني أبوها فقال: قد عاد إليها. قلت: فاذهب إلى العزَّام، فذهب إليه، فعزَّم عليها، فكلمه الجِنِّي فقال: ويلك أليس قد أخذت عليك العهد أن لا تقربها؟ قال: ورد علينا موت أحمد بن حنبل فلم يبق أحدٌ من صالحي الجن إلا حضره إلا المردة فإني تخلفت معهم.

إن الزحمة دامت على القبر أياما

قال عبد الوهاب الوراق: أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فسرَّ الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العز وعُلُو الإسلام وكبت أهل الضلال، ولزم بعض الناس وباتوا عنده وجعل النساء يأتين القبر حتى منعن، وقيل: إن الزحمة دامت على القبر أيامًا.

يوم مات أحمد بن حنبل وقع النوح والمأتم على أربعة أصناف

قال الوركاني جار أحمد بن حنبل: يوم مات أحمد بن حنبل وقع النوح والمأتم على أربعة أصناف: المسلمين واليهود والنصارى والمجوس، وأسلم يوم مات عشرون ألفًا.

قصة الإمام أحمد مع محمد بن مهران الجمال

قال محمد بن مهران الجمال: رأيت أحمد بن حنبل في النوم كأن عليه بردًا مُخططًا أو مغيرًا، وكأنه بالري يريد المصير إلى الجامع. قال: فاستعبرت بعض أهل التعبير فقال: هذا رجل يشتهر بالخير[1].

قصة الإمام أحمد مع أبي حاتم

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: رأيت أحمد بن حنبل في المنام فرأيته أضخم مما كان وأحسن وجهًا وسحنًا مما كان، فجعلت أسأله الحديث وأذاكره.

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٤٤).

بم غفر الله لك؟ قال: بمحبتي أحمد بن حنبل

قال عبد الله بن الحسين بن موسى: رأيت رجلاً من أهل الحديث تُوفي فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت: بالله؟! قال: بالله إنه غفر لي. فقلت: بما غفر الله لك؟ قال: بمحبتي أحمد بن حنبل.

لأن أهل السماوات قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل

قال أبو عقيل: رأيت شابًا توفي بقزوين، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي، ورأيته متعجلاً فسألته فقال: لأن أهل السماوات قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمد بن حنبل، وأنا أُريد استقباله. وكان أحمد توفي في تلك الأيام.

وقل لهما: جزاكما الله عني خيرًا وعن أمتي

قال القواريري: جاءني شيخ فخلا بي فقال: رأيت النبي ﷺ قاعدًا ومعه أحمد بن نصر فقال: على فلان لعنة الله (ثلاث مرات) وعلى فلان وفلان، فإنهما يكيدان للإسلام وأهله ويكيدان أحمد بن حنبل والقواريري، وليس يصلان إلى شيء منهما إن شاء الله، ثم قال: أقرأ أحمد والقواريري السلام وقل لهما: جزاكما الله عني خيرًا وعن أمتي.

لكن اشتغلوا عني بمجيء أحمد بن حنبل

قال الهيثم بن خالد: رأيت السِّندي في النوم فقلت: ما حالك؟ قال: أنا بخير، لكن اشتغلوا عني بمجيء أحمد بن حنبل.

رؤية الإمام أحمد رب العزة سبحانه

قال عبد العزيز النهاوندي: سمعت عبد الله بن حنبل، سمعت أبي يقول: رأيت رب العزة في المنام، فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرب به إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد، قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم[(١)].

قصة تاج الإمام أحمد

قال إبراهيم بن خُرزاد: رأى جار لنا كأن ملكًا من السماء نزل، معه سبعة تيجان فأول من توج من الدنيا أحمد بن حنبل.

هذه مشية الخدام في دار السلام

قال زكريا السمسار: رأيت أحمد بن حنبل في المنام على رأسه تاج مرصَّع بالجوهر في رجليه نعلان وهو يَخْطِرُ بهما، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدناني وتوَّجني بيده بهذا التاج وقال لي: هذا بقولك: القرآن كلام الله غير مخلوق. قلتُ: ما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا؟ قال: هذه مشية الخدام في دار السلام.

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٤٧)، و«البداية والنهاية» (جـ١٠، ص٣٦١).



ألا لا يتقدمنه اليوم أحد

قال شيخ الإسلام الأنصاري: رأيت كأن القيامة قد قامت، وإذا برجل على فرس به من الحُسن ما الله به أعلم، ومنادٍ ينادي: ألا لا يتقدمنه اليوم أحد، فقلت: من هذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل.

هذا وجهي فانظر إليه

قال أحمد بن محمد الكندي: رأيت أحمد بن حنبل في المنام، فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي. وقال: يا أحمد ضُربت فيَّ؟ قلت: نعم. قال: هذا وجهي فانظر إليه. قد أبحتك النظر إليه.

والواقف على باب الجنة فأحمد بن حنبل

قال علي بن الموفق: رأيت كأني دخلت الجنة فإذا ثلاثة: رجل قاعد على مائدة وقد وكَّلَ الله به ملكين: فملك يطعمه وملك يسقيه، وآخر واقف على باب الجنة ينظر في وجوه قوم فيدخلهم الجنة، وآخر واقف في وسط الجنة شاخص ببصره إلى العرش، ينظر إلى الرب تعالى. فقلت لرضوان: من هؤلاء؟ قال: الأول بشر الحافي، خرج من الدنيا وهو جائع. والواقف في الوسط معروف، عَبَدَ الله شوقًا للنظر إليه، فأُعطيه. والواقف على باب الجنة فأحمد بن حنبل، أُمر أن ينظر في وجوه أهل السنة، فيدخلهم الجنة[1].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٤٩)، و«البداية والنهاية» (جـ١٠، ص٣٦٩).

الشافعي وأحمد مع رسول الله ﷺ

قال محمد بن يحيى الرملي: نمت فرأيت النبي ﷺ وقد أسند ظهره للكعبة وعن يمينه الشافعي وأحمد بن حنبل وهو يبتسم إليهما، فقلت: يا رسول الله، بِمَ آخذ؟ فأومأ إلى الشافعي وأحمد وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ (الأنعام: ٨٩).

من هذا الذي يعطي الناس الخواتيم؟

قال علي بن إسماعيل: رأيت كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس جاؤا إلى قنطرة ورجل يختم ويُعطيهم. فمن جاء بخاتم جاز. فقلت: من هذا الذي يعطي الناس الخواتيم؟ قالوا: أحمد بن حنبل.

غفر الله لي ولكل من صلى عليّ

قال إبراهيم بن لؤلؤ: رأيت أحمد بن حنبل في النوم، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس قَدْ مُتَّ؟ قال: بلى، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من صلى عليًّ، قلت: فقد كان فيهم أصحاب البدع، قال: أولئك قد أُخّروا.

ما لي اراك مغضبا

قال بُندار: رأيت أحمد بن حنبل في النوم كالمُغضب، فقلت: ما لي أراك مُغضبًا؟، قال: وكيف لا أغضب وقد جاءني منكر ونكير يسألاني من ربك؟ فقلت: ولمثلي يقال هذا؟ فقالا: صدقت يا أبا عبد الله، ولكن بهذا أمرنا.

أولست تروي خبره؟

قال أبو جعفر محمد بن الفرج جار الإمام أحمد: لما نزل بأحمد ما نزل دخل عليَّ مصيبة، فأُتيتُ في منامي فقيل لي: ألا ترضى أن يكون أحمد عند الله بمنزلة أبي السَّوَّار العدوي، أولست تروي خبره؟[١].

وأبو السوار هو حسان بن حُريث، وكان يروي عن الإمام علي بن أبي طالب.

إلى أي دين أفر؟!

قال محمد بن الفرج: دعا بعض مُترفي هذه الأمة أبا السوار العدوي، فسأله عن شيء من أمر دينه، فأجابه بما يعلم، فلم يوافقه ذلك، فقال: وإلا أنت بريء من الإسلام. قال: إلى أي دين أفر؟!، قال: وإلا امرأته طالق. قال: فإلى من آوي بالليل؟ فضربه أربعين سوطًا. قال: أتيت أبا عبد الله فأخبرته بذلك، فسُرَّ به.

سيأتيك موسى عليه السلام فسأله

قال حُبيش بن الورد: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا نبي الله، ما بال أحمد بن حنبل؟ قال: سيأتيك موسى عليه السلام فسأله، فإذا أنا بموسى عليه السلام، فقال: أحمد بن حنبل بُلي في السراء والضراء، فوُجِد صادقًا فأُلحق بالصديقين[٢].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٥١)، و«البداية والنهاية» (جـ١٠، ص٣٦٩-٣٧٠).

(٢) «السير» (جـ١١، ص٣٥١-٣٥٢)، و«البداية والنهاية» (جـ١٠، ص٣٧٠).

فقيل: أحمد بن حنبل قد بايع الله ـ عزّ وجلّ ـ

قال عبد الله بن إسحاق: رأيت في المنام، كأن الحجر الأسود انصدع. وخرج منه لواء، فقلت: ما هذا؟ فقال: أحمد بن حنبل قد بايع الله ـ عزًّ وجلًّ ـ.

ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك

قال سلمة بن شبيب: كنا جلوسًا مع أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال: مَن منكم أحمد بن حنبل؟ فسكتنا فقال: أنا أحمد، ما حاجتك؟ قال: صرت إليك مع أربع مئة فرسخ برها وبحرها، جاءني الخضر في منامي، فقال: تعرف أحمد بن حنبل؟ قلت: لا، قال: ائت بغداد وسل عنه، وقل له: إن الخضر يقرئك السلام ويقول: إن ساكن السماء الذي على عرشه راض عنك والملائكة راضون عنك بما صبرت نفسك لله. فقال أحمد: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ألك حاجةُ غير هذه؟ قال: ما جئتك إلا لهذا وانصرف.

مات العبد الصالح

قال أحمد بن محمد بن محمود: كنت في البحر مُقبلاً من ناحية السند في الليل، فإذا بهاتف يقول: مات العبد الصالح، فقلت لبعض من معنا: من هذا؟ قال: هذا من صالحي الجن. ومات أحمد تلك الليلة.



ذاك من أصحاب عمر بن الخطاب

قال حجاج بن الشاعر: رأيت عـمًّـا لي في المنام، كان قد كتب عن هشيم فسألته عن أحمد بن حنبل فقال: ذاك من أصحاب عمر بن الخطاب.

فخرج أحمد بن حنبل عليه رداء من نور

قال الخلال: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة، فإذا قـصر من فضة فانفتح بابه، فخرج أحمد بن حنبل، وعليـه رداء من نور، فقال لي: قد جئت؟ قلت: نعم. فلم يزل يردد حتى انتهيت.

هذه الجنة

وقال: ورأيت في المنام جبال المِسك والناس مجتمعون وهم يقولون: قد جاء الغازي فدخل أحمد بن حنبل متقلداً السيف ومعه رمح، فقال: هذه الجنة.

مات خير البغداديين

قال إبراهيم الحربي: لما قدمت من عُمان أرسينا إلى جزيرة، وقوم جاءوا من العراق، إنما نستـعذب الماء. فسمعت صيـحة وتكبيراً وصيـاحًا. قلت: ما هذا؟ قال: قد مات خيرُ البغداديين، يعنون: عالمهم أحمد بن حنبل.

دُفن عندنا أحمد بن حنبل، فغفر لأهل القبور

قال عُبيد بن شريك: مات مُخَنَّث فرُئي في النوم، فقال: قد غُفر لي، دفن عندنا أحمد بن حنبل فغفر لأهل القبور[1].

لا، أنا حادي عشر

قال محمد بن فوران: رأى إنسان رؤيا، قال: رأيت أحمد بن حنبل فقلت: إلى ما صرت؟ قال: أنا مع العشرة. قلت: أنت عاشر القوم، قال: لا، أنا حادي عشر.

ما هذا في كمك

قال بندار بن بشار: رأيت سفيان الثوري، فقلت: إلى ما صرت؟ قال: إلى أكثر مما أمَّلتُ. فقلت: ما هذا في كُمك؟ قال: دُرٌّ وياقوت. قدمت علينا روح أحمد بن حنبل، فأمر الله أن يُنثَر عليه ذلك، فهذا نصيبي.

قوموا حتى نُصلي على أحمد بن حنبل كما صلى النبي ﷺ على النجاشي

قال محمد بن حصن: بلغني أن أحمد بن حنبل لما مات فوصل الخبر إلى الشاش سعى بعضهم إلى بعض فقال: قوموا نُصلي على أحمد بن حنبل كما صلى النبي ﷺ على النجاشي. فخرجوا إلى المصلى فصفوا فصلوا عليه.

(١) «السير» (جـ١١، ص٣٥٣)، و«البداية والنهاية» (جـ١٠، ص٣٦٩-٣٧٠).

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

قال محمد بن وهب: كنت مؤدبًا للخليفة المتوكل فلما استخلف أدناني، وهو ذات يوم جالس إذ ضحك فقال للقوم حوله: ألا تسألوني مم ضحكت؟ إني ذات يوم واقف على رأس الواثق، وقد قعد للخاصة، ثم دخل هنا، وأردت الدخول فمُنعت ووقفت حيث ذاك الخادم واقف وعنده ابن أبي دؤاد وابن الزيات وإسحاق بن إبراهيم. فقال الواثق: لقد فكرت فيما دعوت إليه الناس من أن القرآن مخلوق وسرعة إجابة من أجابنا وشدة خلاف من خالفنا مع الضرب والسيف، فوجدت من أجابنا رغب فيما في أيدينا ووجدت من خالفنا مَنَعهُ دين وورع، فدخل قلبي من ذلك أمر وشك! حتى هممت بترك ذلك.

فقال ابن دؤاد: الله الله يا أمير المؤمنين! إن تُميت سُنَّة قد أحييتها وإن تُبطل دينًا قد أقمته. ثم أطرقوا. وخاف ابن دؤاد. فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن هذا القول الذي تدعو الناس إليه لهو الدين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورسله وبعث به نبيه ولكن الناس عموا عن قبوله. قال الواثق: باهلوني (أي تلاعنوا) على ذلك. فقال أحمد بن دؤاد: ضربه الله بالفالج إن لم يكن ما يقول حقًا، وقال ابن الزيات: وهو فسَّمر الله بدنه بمسامير في الدنيا قبل الآخرة إن لم يكن ما يقول أمير المؤمنين حقًا بأن القرآن مخلوق، وقال إسحاق بن إبراهيم: وهو فأنتن الله ريحه في الدنيا إن لم يكن ما يقول حقًا، وقال نجاح: وهو فقتله الله في أضيق محبس، وقال ايتاخ: وهو فغرَّقه الله، فقال الواثق: وهو فأحرق الله بدنه بالنار إن لم يكن ما يقول حقًا من أن القرآن مخلوق.

فأضحكُ أنه لم يدع أحد منهم يومئذ إلا استجيب فيه. أما ابن دؤاد فقد ضربه الله بالفالج، وأما ابن الزيات فأنا أقعدته في تنور من حديد وسمرت بدنه بمسامير، وأما إسحاق فأقبل يعرق في مرضه عرقًا منتنًا حتى هرب منه الحميم والقريب، وأما نجاح فأنا بنيت عليه بيتًا ذراعًا في ذراعين حتى مات، وأما ايتاخ فكتبت إلى إسحاق بن إبراهيم وقد رجع من الحج فقيده وغرقه، وأما الواثق فكان يحب الجماع، فقال: يا ميخائيل: ابغني دواءً للباه. فقال: يا أمير المؤمنين بدنك فلا تهده، لا سيما إذا تكلف الرجل الجماع، فقال: لابد منه، وإذا بين فخذيه مع ذلك وصيفة، فقال: من يصبر عن مثل هذه؟ قال: فعليك بلحم السبع، ويؤخذ رطل فيُغلى سبع غليات بخل خمرٍ عتيق. فإذا جلست على شُربك فخذ منه زنة ثلاثة دراهم فإنك تجد بغيتك فلها أيامًا، وقال: عليَّ بلحم سبع الساعة فأُخرج له سبع فذبح واستعمله قال: فسُقى بطنه، فجُمع له الأطباء، فأجمعوا على أنه لا دواء له إلا أن يُسجر له تنور بحطب الزيتون حتى يمتلئ جمرًا، ثم يكسح ما فيه ويُحشى بالرُّطبة، ويقعد فيه ثلاث ساعات، فإن طلب ماء لم يُسق، ثم يخرج فإنه يجد وجعًا شديدًا ولا يعاد إلى التنور إلا بعد ساعتين، فإنه يجري ذلك الماء، ويخرج من مخارج البول. وإن هو سُقى أو رُد إلى التنور تَلف. قال: فسجرُ له تنور ثم أُخرج إلى الجمر، وجعل على ظهر التنور ثم حُشي بالرُّطبة فعري الواثق وأجلس فيه، فصاح وقال: أحرقتموني، اسقوني ماء، فمُنع فتنفط بدنه كله وصار نُفاخات كالبطيخ، ثم أُخرج وقد كاد أن يحترق، فأجلسه الأطباء فلما شم الهواء اشتد به الألم، فأقبل يصيح ويخور كالثور ويقول: ردوني إلى التنور، واجتمع نساؤه وخواصه وردوه إلى التنور ورجوا الفرج. فلما حمي سكن صياحه، وتفطرت تلك النفاخات، وأُخرج وقد احترق واسود وقضى بعد ساعة[1].

---

(١) «السير» (جـ١١، ص٢٩٣-٢٩٥).

هذا من دواب البحر

قال عبد الرحمن بن أحمد: حضر قوم من أصحاب الحديث في مجلس أبي عاصم الضحاك بن مخلد، فقال لهم: ألا تتفقهون وليس فيكم فقيه؟، وجعل يذمهم. فقالوا: فينا رجل. فقال: من هو؟ فقلنا: الساعة يجيء. فلما جاء أبي قالوا: قد جاء. فنظر إليه فقال له: تقدم. فقال: أكره أن أتخطى الناس. فقال أبو عاصم: هذا من فقهه وأخذه فقال: وسعوا له، فدخل فأجلسه بين يديه فألقى إليه مسألة فأجاب، وألقى ثانية فأجاب، وثالثة فأجاب، ومسائل فأجاب. فقال أبو عاصم: هذا من دواب البحر.

تدري من دفنا اليوم

قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم: قال لي رجل من أهل العلم ـ وكان حبرًا عالمًا يكنى أبا جعفر ـ في العشية التي دفنا فيها أبا عبد الله: تدري من دفنا اليوم؟ قلت: من؟ قال: سادس خمسة. قلت: من؟ قال: أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل. قال أبو العباس: فاستحسنت ذلك منه وعنى بذلك أن كل واحد في زمانه[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٦٦).



ما اتقيت الله تذكر حبرا من أحبار الأمة؟!

قال محمد بن يعقوب الكرابيسي: لما قدم أحمد بن حنبل البصرة ساء من الشاذكوني مكانه. قال: فكأنه ذكره عند يحيى بن سعيد القطان، فقال له يحيى ابن سعيد: حتى أراه؛ فلما رأى أحمد بن حنبل قال له: ويلك يا أبا سليمان، ما اتقيت الله، تذكر حبرًا من أحبار الأمة؟![1].

«إن يكفر بها هؤلاء ....»

قال يحيى بن الجلاء: رأيت النبي ﷺ في المنام واقفًا في صينية وابن أبي دؤاد جالسًا عن يسرته وأحمد بن حنبل جالسًا عن يمينه، فالتفت النبي ﷺ وأشار إلى ابن أبي دؤاد فقال: ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ (الأنعام:٨٩)، وأشار إلى أحمد بن حنبل.

إن كنت قضيت عليَّ بقضاء أحمد بن حنبل رضيت

قال نوح بن حبيب: كان عندنا ـ يعني في بلدهم ـ امرأتان مجوسيتان فاختصمتا في مواريث لهما إلى رجل من المسلمين، فقضى لواحدة منهما على الأخرى فقالت له: إن كنت قضيت عليَّ بقضاء أحمد بن حنبل رضيت وإلا فإني لا أرضى[1].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٧٢).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص١٧٢-١٧٣).

ألم ترني اشترطت عليه؟

قال عبد الله بن محمد بن زياد بن هانئ: كنت عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعلني في حِلٍّ، قال: أنت في حل إن لم تعد. فقلت له: أتجعله في حل يا أبا عبد الله وقد اغتابك؟، قال: ألم ترني اشترطت عليه.

قصة الإمام أحمد في البحر

قال يعقوب بن إسحاق: خرج أبي وأحمد بن حنبل في البحر في طلب العلم فكسر بهما المركب فوقعا في جزيرة قفراء على صخرة معنونة مكتوب عليها: غدًا يتبين الغني والفقير إذا انصرف المنصرفون من بين يدي الله تعالى، إما إلى جنة وإما إلى نار[1].

لِمَ لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلين خشنتين؟!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت جالسًا عند أبي - رحمه الله - يومًا فنظر إلى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق فقال لي: ما هذان الرجلان، لم لا تمشي حافيًا حتى تصير خشنتين، قال عبد الله: وخرج إلى طرسوس ماشيًا على قدميه، قال عبد الله: وكان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا في مسجد أو حضور جنازة أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق.

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٧٥).



يا أبا عبد الله، بمَ تلين القلوب؟

قال عمر بن صالح: ذهبت أنا ويحيى الجلاء - وكان يقال أنه من الأبدال - إلى أبي عبد الله فسألته فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟، فأبصر إلى أصحابه فغمزهم بعينه ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: يا بني بأكل الحلال. فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له: يا أبا نصر، بم تلين القلوب؟ قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب. قلت: فإني جئت من عند أبا عبد الله، فقال: هيه إيش قال لك أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال. فقال: جاء بالأصل. فمررت إلى عبد الوهاب بن أبي الحسن فقلت: يا أبا الحسن بم تلين القلوب؟ قال: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»، قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله، فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال لي: إيش قال أبو عبد الله؟ قال: بأكل الحلال. فقال: جاءك بالجوهر. جاءك بالجوهر، الأصل[١].

تحدث الناس وقد مات خير الناس - أحمد بن حنبل؟

قال عثمان بن يحيى: كنا عند سفيان بن عيينة وكان في مجلسه زحمة شديدة فغشي على أحمد بن حنبل وكان أصابه حر الزحمة فقال رجل من أهل المجلس - وكان يخدم سفيان -: يا سفيان، تحدث الناس وقد مات خير الناس أحمد بن حنبل؟ فقال: هات ماء، فأخرج من منزل سفيان كوز ماء فقال: صبوه على أحمد فلما أحس ببرودة الماء كشف عن وجهه واتقى الماء بيده وأفاق. وقطع سفيان الحديث وقام[٢].

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٨٢).

(٢) «الحلية» (جـ٩، ص١٨٥).



لماذا لا يصلون؟!

قال صدقة: رأيت في النوم كأنا بعرفة وكأن الناس ينتظرون الصلاة، فقلت: ما لهم لا يصلون؟ قالوا: ينتظرون الإمام. فجاء أحمد بن حنبل فصلى بالناس. قال محمد: وكان صدقة يذهب إلى رأي الكوفيين. فكان بعد ذلك إذا سئل عن شيء قال: سلوا الإمام.

ما تقول في أحمد بن حنبل

قال بلال الخواص: رأيت الخضر عليه السلام في النوم فقلت له: ما تقول في بشر؟ قال: لم يخلف بعده مثله، قلت: ما تقول في أحمد بن حنبل؟ قال: صِدِّيق، قلت: ما تقول في أبي ثور؟ قال: رجل طالب حق. قلت: فأنا بأي شيء وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك بأمك.

ليس الخبر كالمعاينة

قال أحمد بن الجلد: اليوم الذي مات فيه أحمد بن حنبل كان يوم الجمعة، فانصرفت، فلما أردت أن أنام قلت: اللهم أرنيه الليلة في منامي، فرأيته كأنه بين السماء والأرض على نجيب من نور وبيده خطام من نور، فضربت بيدي الخطام فأخذته فقال: أقِر ليس الخبر كالمعاينة. فتركته وانتبهت.

سطران مكتوبان من نور

قال إسحاق بن حكيم: رأيت أحمد بن حنبل في المنام، فإذا بين كتفيه سطران مكتوبان من نور كأنهما بحبر: ﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة: ١٣٧)[(١)].

يا رب ... فبقدرتك على كل شيء لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء

قال أبو عبد الله بن خزيمة: لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غمًا شديدًا فبت من ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له: يا أبا عبد الله، أي مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوّجني وألبسني نعلين من ذهب وقال لي: يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي غير مخلوق. ثم قال: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري كنت تدعو بها في دار الدنيا. قال: فقلت: يا رب كل شيء بقدرتك، فبقدرتك على كل شيء لا تسألني عن شيء واغفر لي كل شيء، فقال: يا أحمد، هذه الجنة فقم فادخل إليها. فدخلت فإذا أنا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (الزمر: ٧٤)، فقلت: ما فعل عبد الوهاب الورَّاق؟، قال: تركته في بحر من نور في زلالة من نور يزور ربه الملك الغفور. فقلت: ما فعل ببشر الحافي؟ قال لي: بخ بخ. ومن مثل بشر، تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول: كُلْ يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب، وانعم يا من لم ينعم!

---

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٨٥).

قصة الإمام أحمد مع الشهداء

قال ابن مجمع بن مسلم: كان لنا جار قتل بقزوين، فلما كان الليلة التي مات فيها أحمد بن حنبل خرج إلينا أخوه في صبيحتها فقال: إني رأيت رؤيا عجيبة، رأيت أخي الليلة في أحسن صورة راكبًا على فرس فقلت له: يا أخي أليس قد قتلت بقزوين؟ قال: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أمر الشهداء وأهل السماوات أن يحضروا جنازة أحمد بن حنبل، فكنت فيمن أمر بالحضور فأرخنا تلك الليلة، فإذا أحمد بن حنبل مات فيها[1].

عليكم بأحمد بن حنبل

قال رجل من أهل سجستان: رأيت رسول ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من تركت لنا في عصرنا هذا من أمتك نقتدي به في ديننا؟ قال: عليكم بأحمد بن حنبل.

منام يحيى المقدسي

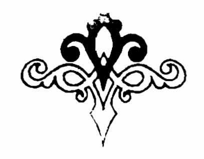
قال يحيى بن أيوب المقدسي: رأيت النبي ﷺ كأنه نائم وعليه ثوب مغطًّى، وأحمد ويحيى يذبَّان عنه.

(١) «الحلية» (جـ٩، ص١٩٠).



... وجميع الملائكة يشهدون أن القرآن كلام الله

قال معروف الكرخي: بينما أنا نائم في أيام المحنة إذ دخل رجل عليه جبة صوف بلا كمين، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، فقلت: أنت موسى بن عمران الذي كلمك الله وما بينك وبينه ترجمان؟ فبينما أنا كذلك إذ هبط علينا رجل من السقف عليه حُلَّتان جعد الشعر فقلت: من هذا؟ قال: عيسى بن مريم، ثم قال موسى: أنا موسى بن عمران الذي كلمني الله وما بيني وبينه ترجمان، وهذا عيسى بن مريم ونبيكم ﷺ، وأحمد بن حنبل وحملة العرش وجميع الملائكة يشهدون أن القرآن كلام الله غير مخلوق[1].



(١) «حلية الأولياء» (جـ٩، ص١٩٣).